

تأليف

فهد المارك

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

من شيم الملك عبد العزيز

الطبعة الأولى
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م

الجزء الثالث



تتمة الفصل الحادي عشر

حماية عبد العزيز لمن يلوذ بجواره



كان العربي يشارك أهل البلاد السعوديين

كان العربي الذي يأْتي إلى بلاد عبد العزيز قاصداً أَن يعمل فيها بأَيٍّ عمل يستعين به على كسب الرزق يجد الباب مفتوحاً أَمامه ، يعمل في أَي مجال من المجالات التي تتاح له فرصة العمل فيها ، بصرف النظر عما إذا كان العمل الذي يريد ممارسته من الأَعمال العادية التي بإمكان أَي مواطن سعودي القيام بها – أَو غير ذلك ، المهم أَن المواطن العربي يجد الباب مفتوحاً أَمامه – يعمل كغيره من أَهل البلاد أَنفسهم .

وقد ظلَّت هذه التسوية ، وعدم التمييز بين أَي عربي يريد العمل في المملكة السعودية وبين المواطن السعودي إلى سنة ١٣٧٤ هـ – ١٩٥٤ م أَي بعد وفاة الملك عبد العزيز

بعام واحد ، وكانت ستظل إلى يومنا هذا لولا أن هناك من السعوديين من قائدي السيارات ممن ولد في بلد عربي ، ونشأ في ذلك البلد إلا أن حكومة تلك البلاد منعتهم من ممارسة قيادة السيارات ـ لا العمومية أي سيارات الأجرة (التكسي) ولا السيارات الخاصة ، بل منعت أن يعمل أحدهم بالأجرة عند صاحب السيارة .

وكنت تلك الأيام قنصلاً في تلك البلاد . فورد إليَّ (عريضة) من قبل قائدي السيارات السعوديين الذين في تلك البلاد ، وكان مضمونها : نحن السعوديين الجنسية ـ ومن مواليد البلاد العربية (.....) وأمهاتنا من أهل هذه البلاد التي نشأنا فيها ، ومع ذلك تمنعنا حكومة هذه البلاد من أي عمل نمارسه فيها ، فنرجو من حكومتنا السعودية أن تعامل مواطني هذه البلاد بالمعاملة نفسها التي تعاملنا بها حكومتهم، ما لم تبدل هذه الحكومة أمرها بمنعنا عن العمل.

وبعد هذه العريضة ذهبت المملكة العربية السعودية تعامل القادم العربي كما تعامل به حكومته مواطنيها السعوديين .

كل شرط ينافي شريعة الاسلام وشيم العرب باطل

إذا كان كل شرط ينافي ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه باطلاً كما ورد في الحديث الشريف ، فإن كل شرط ينافي شيم العرب فهو بطبيعة الحال باطل ، فما بالك إذا كانت هذه الشيم من الأخلاق التي أمر الإسلام بالالتزام بها كحماية المستجير التي نص القرآن الكريم على الالتزام بها كما ورد في قوله تعالى (وإنْ أَحدٌ من المشركين استجارك فأَجِره) الآية .

وإذا كان لدى الفقهاء قاعدة تقول : (الضرورة تبيح المحذور) فإنَّ ضرورة ماسة وظروفاً قاهرة إضطرت الملك عبد العزيز أَن يبرم معاهدة بينه وبين حكومة العراق ، وفي تلك المعاهدة شرط ـ وإن كان من الوجهة الشرعية فيه ما فيه

إلا أَن عبد العزيز عندما أَقدم عليه كان معذوراً بسبب الضرورة ، هذا من ناحية ومن ناحية أُخرى كان عبد العزيز واثقاً أَنه سوف لا يواجه من قبل العراقيين مشكلة فيها إحراج ، تنافي الشرع الإسلامي والخلق العربي ، ومن ناحية ثالثة كان وطيد الثقة بنفسه أَنه حينما يواجه هذا الإحراج سوف يخرج منه بعذر مقبول شرعاً وعقلاً .

كان عبد العزيز يدرك بثاقب فكره أَن رواسب النهب والسلب والغزو ، الراسخة جذورها في نفوس الأَعراب منذ العهد الجاهلي وما قبله إلى أَن استطاع ببطولته وقوة شخصيته أَن يقضي على دابر هذه العادة قضاء مبرماً في وسط بلاده ، وخاصة في الطرق المؤدية إلى البلاد المقدسة ، فإن حدود بلاده من الناحية الشمالية ، ولا سيما الحدود المتاخمة للعراق تلك التي سيكون المجال فيها فسيحاً للغارات والغزوات سواء التي ستقوم بها بادية المملكة الذين إذا غزوا ونهبوا أَو أَثاروا الفتنة وجدوا في حكومة العراق ملجأً يحميهم ويلتجئون إليه ، أَو من بادية العراق الذين يتسربون من العراق ، وينهبون من بادية المملكة العربية السعودية ، ويندسون في وسط قبائل العراق .

أراد عبد العزيز القضاء على بواعث النهب

إن إدراك عبد العزيز لهذه الحقيقة جعله يفكر طويلاً لالتماس الوسائل التي تقطع الطريق إلى الأَبد على أُولئك العابثين بالأَمن ، وكان أَهم عمل قام به للحيلولة دون ممارسة أُولئك البدو للعادات التي ورثها الأَحفاد عن الأَجداد السعي لتوطيد العلاقات الودية والسياسية مع الدول العربية المجاورة وخاصة مع الحكومة العراقية التي هي مدار البحث ، وقد عقد معاهدة ينص أَحد بنودها على تسليم اللاجئين السياسيين ، ولما كانت قبيلة (شَمَّر) غالباً ما تقطن المنطقة الشمالية من الجزيرة العربية المتاخمة للحدود العراقية ، يضاف إلى ذلك أَن هذه القبيلة قسم منها يقطن العراق وقسم آخر يقطن شبه الجزيرة ، فقد رأَى الملك عبد

العزيز أَن خير طريق لوضع حد يفصل بين شمر الذين ينتمون إلى بادية العراق وبين من ينتمي إلى بادية الجزيرة العربية هو أَن يعتبر كل من كان يقطن شمال الجزيرة من هذه القبيلة من قبل توحيده البلاد من بادية نجد ، يتحتم على الحكومة العراقية أَن تسلمه للحكومة السعودية فيما إذا هرب إليها وطالبت السعودية بتسليمه ، وكل من كان يقطن العراق من هذه القبيلة قبل أَن توحد الجزيرة فإنه يعتبر من بادية العراق وعلى السعودية أَن تسلمه للعراق في حالة طلب حكومته له . ولم تكن هذه المعاهدة مقصورة على قبيلة شمَّر فقط ، بل كانت شاملة كل من كان من بادية المملكة وحضرها ، وإنما ذكرت قبيلة شمر لأَن الشواهد في هذه القصة تدور حول رجلين من رؤساء هذه القبيلة وهما عقيل الياور شيخ مشايخ قبيلة شمر في العراق ، وممثل القبيلة في مجلس النواب العراقي ، وعقاب بن عجل رئيس أَكبر فخذ من فخوذ عشيرة (عَبْدَةَ) من قبيلة شمر ويعتبر عقاب من بادية شمر نجد إلا أَنه رحل من الجزيرة العربية واستوطن العراق ، وذلك قبل توحيد



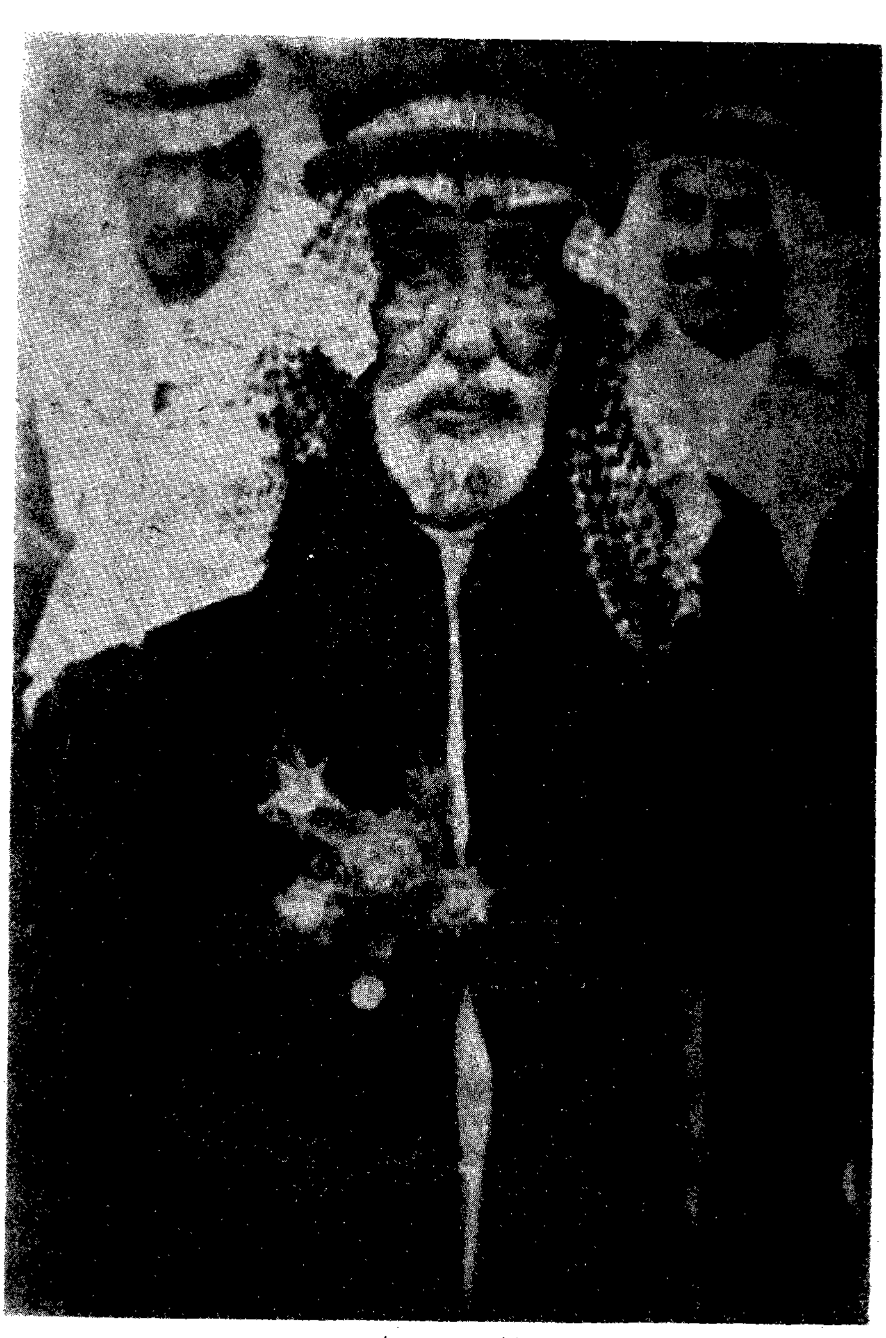
عقيل الياور

الملك عبد العزيز للجزيرة بسنين قليلة ، وكان نزوحه عن بلاده وسكناه في العراق بدافع سياسي محض ، ولما كان عقاب من أَبرز رجال القبيلة شخصية ورأْياً وشجاعة فقد رأَى الملك عبد العزيز أَن يطالب الحكومة العراقية بتسليمه تنفيذاً لنصوص المعاهدات التي تقضي بذلك ، ولم يكن للحكومة العراقية بُدٌّ من الإِذعان للأَمر الواقع ، فراحت تسعى لتحقيق رغبة الملك التي تتفق نصاً وروحاً مع تطبيق المعاهدة ، ولا بد والحالة هذه من أَن يقف عقيل الياور موقف المعارض لتنفيذ هذه الغاية لا كممثل في البرلمان العراقي بحيث يدافع عن حقوق رجال قبيلته فحسب ، بل كعربي استجار بحماه ، ولاذ بجواره عربي لا حول له ولا طول ، وكان الأَمر بالنسبة للشيخ عقيل حرجاً للغاية ، فهو أَضعف من أَن يتحدَّى دولة ذات كيان ، كما يرى أَنه أَمنع جانباً وأَشمُّ أَنْفاً من أَن تُخْفر ذمته ، ويؤخذ منه مستجيره ، لقد حاول الياور أَن يقنع الحكومة العراقية ، بأَن هذه المعاهدة تنافي الشيم العربية ، ولكن الجواب كان يأْتي إِليه من المسؤولين في العراق وقتذاك

بما يلي : (ليس أعلم من الملك عبد العزيز بن سعود بتقاليد العرب وعاداتهم ، فلو كان الأَمر كما تظن لما أَقدم الملك على توقيع هذه المعاهدة ، ولا أَقدم أَيضاً على مطالبته لنا بتسليم ابن عجل) فيعود الياور مؤكداً بأَن الملك عبد العزيز يعرف أَنه لا يعاب فيما إذا طالبكم بتسليم المستجير بل يعتبر تسليمكم لمستجيركم نصراً له بقدر ما هو عار عليكم حسب الخلق العربي ، كما أَنه يعلم أَيضاً بأَنه لا عيب عليه بتوقيع معاهدة كهذه ما دام تنفيذها من جانبكم من مصلحته ولكنه عندما يأْتي التنفيذ من جانبه سوف يتقيد بالعادات العربية ، ويعتبر معاهدتكم حبراً على ورق. ومن المستحيل كل الاستحالة على الملك ابن سعود أَن يسلمكم أَي إنسان من بادية العراق وحاضرتها فيما إذا هرب منكم واستجار به ، ثم طالبتم بتسليمه فإِنني أُؤكد لكم بأَن ابن سعود لن يسلمكم مستجيره مهما بلغ جرمه السياسي من الفظاعة ، ومهما بذلتم من الجهد في المطالبة .

حاول الياور أَن يقنع المسؤولين بوجهة نظره علهم يبدلوا رأْيهم ولكن محاولته لم تُجْد ، ولما كان الياور من

عباقرة الرجال كما أكد بعض ساسة الغرب بقوله : (لم أؤمن الإيمان الكامــل بأن محمداً (ﷺ) أُمِّيٌّ حتى عرفت أن مفكراً وسياسياً كعقيل الياور أمي ، فإنه بدهائه وقوة حجته ووضوح بيانه استطاع أن يوقف المسؤولين في العراق في ذلك الوقت عند حدهم بمطالبتهم بتسليم مستجيره ، وفي الوقت نفسه جعل الملك ابن سعود يترك مطالبته بتسليم ابن عجل إلى الأبد ، وذلك بفضل الحجة الدامغة التي قابل بها حكومة العراق بقوله : (اكتبوا للملك عبد العزيز بن سعود رسالة عن لساني وقولوا له : إن عقيل الياور يناشدك الله والشيم العربية هل تسلم عقاب ابن عجل إلى حكومة العراق فيما لو كان من بادية العراق وطالبتك حكومته بتسليمه بعدما لاذ بحماك كما استجار بحماي ؟!) .



عقاب بن عجل

فيك الخصام وأنت الخصم والحكم

أَلقى الياور هذه الكلمة في مجلس النواب العراقي ولم يكن بعد إِلقائها بحاجة إِلى دفاع عن ابن قبيلته ومستجيره ، بل كانت هذه الكلمة وحدها تعادل قوة جيش الدفاع الأَمامي والخلفي والاحتياطي معاً ، فكأَنَّ لسان حال الياور يشير إِلى المعنى الذي قصده المتنبي بقوله :

يا أَعدل الناس إلا في معاملتي
فيك الخصام وأَنتم الخصم والحكم

فلم يطالب الملك عبد العزيز حكومة العراق بعقاب بن عجل كما أَنه لم يُجِب حكومة العراق على قول الياور جواباً سلبياً وإِنما كان الرد من الملك العربي عملاً واقعاً ولكن بعد تلك المدة التي طالب فيها بتسليم ابن عجل

بزمن طويل ، وبعد أن توفي عقيل الياور رحمه الله ، وكان الجواب العملي لحكومة العراق من عبد العزيز أنه عندما استجار به رشيد عالي الكيلاني الذي كان رئيساً لحكومة العراق فأعلن الثورة إبّان الحرب العالمية الثانية ضد الاستعمار البريطاني وذهبت حكومة العراق تطالب بتسليمه من عبد العزيز .. وبما أن موحد عرب الجزيرة العربية ضليع في معرفة أُصول المعاهدات الدولية وفروعها ، كما أنه في الوقت ذاته دائرة معارف يُرجع إليه لمعرفة العادات والشيم العربية فقد كان جوابه العملي ذا جانبين ، وكل جانب مقنع ، فمن الناحية السياسية كان جوابه لحكومة العراق ما معناه : (ان المعاهدات التي بيني وبين الحكومة العراقية تقضي بأن يسلم المجرم السياسي ، فيما إذا كان هذا السياسي مجرماً بحق الوطن العراقي وحكومة العراق ، أما أن مواطناً كرشيد الذي كان رئيس حكومة العراق الشرعي يقوم بعمل ضد حكومة أجنبية كحكومة الإنجليز فإنه قد يكون مجرماً في حق الحكومة المستعمرة البريطانية ولكن ليس مجرماً بحق الحكومة العراقية الوطنية .

هكذا كان جواب الملك عبد العزيز من ناحية المعاهدات السياسية المتبادلة ، أَما من ناحية العرف والعادات العربية فقد كان جواب الملك العربي صريحاً وصارماً كصراحة الخلق العربي الأَصيل حيث قال ما معناه : (أَنا رجل عربي ومؤمن بالتقاليد والشيم العربية ومطبق لها قبل أَن أَكون ملكاً عربياً يقتضيني الأَمر أَن أَكون رمزاً لخلق العرب وشيمهم ولذلك لكم عليَّ أَن تطالبوني بتسليم من تشاؤون من أَبنائي وعليَّ أَن أُجيب طلبكم فوراً ، أَما أَنني أَسلم من استجار بي فهذا شيء مستحيل تنفيذه ما دام يوجد في دمي عرق ينبض بالحياة) .

وهكذا تحقق صدق ظن الشيخ عقيل الياور بالملك عبد العزيز ، وهكذا أَيضاً كان الملك عبد العزيز خصماً وحكماً في آن واحد ..

رويت هذه القصة ، من الشيخ أَحمد بن عقيل الياور ، وأَوردتها في كتابي « من شيم العرب »[1] . وقد أَضفت إليها قليلاً من التعديل الذي هو من صميم جوهر الحادثة .

---

(١) ج ٢ ص ١٣٧ .

الشيم العربية لا تخضع للشروط السياسية

لما كان رشيد عالي الكيلاني رئيس الحكومة العراقية السابق محكوماً عليه بالإعدام من قبل الحكومة العراقية أو الإنكليزية على الأصح فإن من مسلمات الأمور أن يبحث عن ملاذ يلتجيء إليه . وقد وجد في الحكومة الألمانية الأمل الوحيد الذي يمكن أن يركن إليه ، بصفتها العدو اللدود لبريطانيا ، وكانت الدول العالمية الكبري ذلك الحين منقسمة إلى معسكرين : معسكر الحلفاء ومعسكر المحور ، وكانت الحرب بينهما قائمة على قدم وساق ، كما هو معروف .

وإذا كان كل إنسان على وجه البسيطة ينظر إلى نتائج الحرب بعين ملؤها الحذر والرعب ، فإن طبيعة حال

الكيلاني ومقتضيات ظروفه تجعله ينظر إلى نتائج تلك الحرب نظرة حياة أَو موت .

وعندما كانت الجيوش (النازية) تزحف قُدُماً إلى الأَمام في انتصارات مذهلة ، كان الكيلاني ولا ريب يرى أَن كل خطوة تتقدم بها المانيا نحو النصر إنما هي إمتداد في أَجله ، بل وباعثة لآماله ومنعشة لأَمانيه . وعندما خسرت المانيا الحرب لا يكفي أَن يقال ان آماله تحطمت فحسب ، بل لقد أَصبحت أَيام حياته معدودة ، وأَصبح شبح الموت منه قاب قوسين أَو أَدنى . وكان طبيعياً أَن تضيق به الأَرض بما رحبت ..

فأَين يذهب الكيلاني ؟ ... أَيفرُ إلى روسيا وهل هو آمن على نفسه فيما إذا ذهب إليها ؟ طبعاً لا ، فروسيا حليفة بريطانيا حينذاك . وما يقال عن روسيا حريٌّ به أَن يقال عن أَمريكا بل وعن جميع الدول الأُوروبية .

أَو لعله يذهب إلى دول الحياد الإِيجابي ولكن اين هي هذه الدول ؟ .. انها لم تكن بل ولم يوجد من يفكر بها من الناحية العملية .

أَينتحر ويريح نفسه من هذا المستقبل الأَسود الذي يهدده بكل وحشية وضراوة ؟ ..

ولكن كيف ينتحر وهو مسلم ومؤمن بالله واليوم الآخر ، والمسلم يعتبر الانتحار جريمة ما بعدها جريمة ، وقد حكم على مرتكبها بالنار في الآخرة باعتبار أَن الانتحار يأْس وقنوط ، بينما تعاليم الدين الإسلامي تنهى عن اليأْس والقنوط وتحذر منهما ، بل وتعتبر مرتكبهما من أَحط الظالمين ، كان الأَمر طبيعياً أَن تضيق به الدنيا ، فالأَرض التي وسعت الثقلين وجد أَنها أَضيق من أَن تسعه ، والسماء التي أَظلت الإنسان والحيوان وكل من على وجه الأَرض خيل إلى الكيلاني أَنها أَعجز من أَن تظله .

التقيت بالسيد رشيد عالي الكيلاني في منزل اللـواء محمود شيت خطاب في مصيفه الكائن في جبل لبنان – في (فالوغا) ، وذلك في صيف عام ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) . وكم سررت في ذلك اللقاء ، ومصدر سروري هذا يعود إلى كوني نقلت عنه خبر استجارته بالملك عبد العزيز من أَلفه إلى يائه ، وهو لم يخرج عما سجلته في مؤلفي « من شيم

العرب »[1] .

وإن يكن شيء من التغيير عما كتبته فإن هذا التغير سيكون من حسن إلى أحسن ، لأن الحادثة إذا نقلها الكاتب من مصدرها الأساسي . وبصورة مباشرة يكون لها وقع في نفس كاتبها وقارئها ، أكثر وأقوى من وقعها فيما إذا كانت منقولة عن طريق الرواة ، وإن كنت في روايتي ونقلي للأحداث لا أنقل إلا الحقائق التي أعتمد عليها من الرواة الثقات كاملة . ممن لا مجال للريب في صحة روايتهم .

---

(١) ج ٢ ص ٢٧ .

كان لا يرى ملجأ يلوذ به إلاّ عبد العزيز

سبق أَن ذكرت في هذا الفصل أَن أَي مجاهد من مجاهدي العرب ومناضليهم إذا ضاقت به الأَرض بما رحبت ، واسودت الدنيا في وجهه ، فانه لا يرى ملاذاً يلجأُ إليه بعد الله إلا الملك عبد العزيز .

وإذا كنت ذكرت آنفاً العدد الوافر من رجال العرب المناضلين الذين استجاروا بعبد العزيز في الحين الذي لم يكن في بلاد العرب قاطبة عدا ذلك الطود الشامخ ، الذي كان هو الحصن المنيع لكل مجاهد عربي ، فإنه ليحسن بي أَن أُضيف إلى أُولئك المناضلين المجاهد رشيد عالي الكيلاني .

نقلت عن السيد رشيد الحديث الآتي : عندما وثقت

حكومة المانيا أَنها خسرت الحرب ، جاء رسول من قبلها يقول لنا : إننا خسرنا الحرب ، وبإمكاننا أَن نضع تحت تصرفك طائرة تقلك إلى المكان الذي تريد أَن تذهب إليه ! فكان الجواب من الكيلاني على ما روي لي أَن قال : لا أَتصور أَن هناك من يستطيع أَن يحميني إذا لُذْتُ بجواره ، ونزلت في داره ، إلا الملك عبد العزيز بن سعود . فذهب الرسول الكبير إلى من هم أَكبر منه وأَخبرهم بذلك ، فأَيد المسؤولون الأَلمان وجهة نظر الكيلاني في استجارته بعبد العزيز ، ولكنهم اصطدموا بعقبة كأَداء ، وهي قلة (الوقود) الذي يمولون به الطائرة التي تقله إلى الأَرض السعودية . ويقول الكيلاني : ان الرسول عاد إليه يؤكد له أَسَف حكومة أَلمانيا على عدم قدرتها بسبب عدم (البترول) الكافي للطيارة التي توصله الأَرض السعودية ، وكل الذي يمكن صرفه من الوقود الكمية التي توصل الطائرة إلى الحدود المصرية فقط . وكان الكيلاني يدرك جيداً أَن حكومة القاهرة لن تستطيع أَن تحميه بصفتها رازحة تحت النفوذ الإنجليزي .

وهكذا ظل الكيلاني في حيرة من أَمره ، فهو وإن كان – في ماضيه – شريفاً في نظر المخلصين من أَمته العربية ، ولكنه في نظر دولة بريطانيا مجرم جرماً يستحق صاحبه (الإعدام) وهو في حاضره أَشبه ما يكون بامرئٍ تحيط به السباع الجائعة – من كل فج عميق – ومستقبله (بات على كفّ عفريت) .

ويؤكد الكيلاني أَنه بعد هذا اليأْس المرير عاد يداعب خياله الأَمل الأَول ، أَي الذهاب إِلى الملك عبد العزيز . والوقوع بين يديه – ، ولكنه وجد أَمامه عقبتين الأُولى : الوسيلة التي توصله إِلى الأَرض السعودية ، وكيف يصل إِليها ما دام أَنه في قلب (برلين) العاصمة الأَلمانية المغلوب حكامها على أَمرهم ، والذين سيقدم الحي منهم إِلى المحاكمة ثم إِلى حبل المشنقة ، كما حصل ذلك فعلاً . أَما العقبة الثانية فإِنها تأْتي بعد وصوله إِلى عبد العزيز ، وذلك أَن رشيد عالي الكيلاني يدرك أَن بين الحكومة العراقية والملك عبد العزيز معاهدة تقضي بأَن يسلم المستجير بأَي جانب منهما لحكومته إِذا طالبت به ، وسبق لحكومة العراق أَن

سلمت المستجيرين بها من رجال المملكة السعودية ، كفيصل الدويش ورفاقه ، وآخر من سلمته حكومة العراق مثلّ التمياط السالف الذكر ، كل ذلك يفهمه الكيلاني جيداً إلا أن هناك عزاء يثلج صدره ، ويدخل إلى قلبه الأَمل وهو ما يذكره من رسالة الشيخ عقيل الياور التي بعثتها الحكومة العراقية – وهي الرسالة السالفة الذكر – هذه الرسالة جعلت الكيلاني يعتقد أَن عبد العزيز الذي لم يأْت منه ردٌّ على حكومة العراق يشير إلى أَنه سيسلم المستجير به ولو كان هذا الرد مجرد كلام ، فإن من يتحاشى الاعتراف بتسليم مستجيره كلاماً سيكون أَكثر تصميماً على عدم تسليم المستجير به عَمَلاً .

وهكذا شخص الكيلاني نحو الملك عبد العزيز ، ولكنه لم يصل إليه إلا بعد مغامرة عنيفة .

ولسنا بصدد شرح تلك المغامرة التي قام بها الكيلاني حتى وصل إلى شبه الجزيرة ، لأَن شرحها يحتاج إلى بحث مطول خاص ، وعلى كل فإن الفضل يعود للشابين البطلين ممدوح الميداني وجميل الجابي اللذين سوف أَضع بحثاً

خاصاً تقديراً لوفائهما مع رفيقهما وتخليداً لذكرهما ، وسيكون هذا البحث في الجزء الخامس من كتاب « من شيم العرب » .

حرص الكيلاني بأن يفعل جل الأسباب التي تجعل الملك ابن سعود لا يعلم شيئاً عنه حتى يلتقي به وجهاً لوجه ، وفعلاً وصل الرياض بدون أن يعلم ابن سعود شيئاً عنه ، وكل ما في الأمر أن الملك أُخبر أن نفراً جاءوا من سورية يقصدون الاتصال به لمهمة تجارية ، فرحَّب بهم الملك ، وأذن لهم بمقابلته ، فدخل عليه الثلاثة وكان الكيلاني هو آخرهم في السلام . وبعدما أدوا التحية التقليدية استأذن الإثنان من الملك بالخروج ، كما استأذن الثالث أي الكيلاني في البقاء من أجل أن يشرح للملك المهمة التي جاءوا من أجلها .

وهكذا التقى الكيلاني بالملك عبد العزيز بصورة لم يشعر بها الأخير حتى فاجأه قائلاً إنه رشيد عالي الكيلاني .

ها قد وصل الكيلاني
إلى عرين الأسد

دهش الملك طبعاً ، وظل في شكٍّ من صحة النبأ ، فظن أن هذا الرجل مُدَّعٍ ، ولكن سرعان ما اتضح للملك بأنه الكيلاني ، وذلك بعدما حضر السيد حمزة غوث الذي كان يعرف الكيلاني جيداً لأنه كان قنصلاً للمملكة العربية السعودية في بغداد ، فأزاح الشكوك عند الملك وأثبت له أن ضيفه هذا هو رشيد عالي الكيلاني بذاته . وعندما تأكد الملك من ذلك أبرق لوزير بريطانيا المفوض في جدة ، بأن يحضر لمقابلة الملك فوراً ، وعندما حضر الوزير أمره الملك بأن يبلغ حكومته بأن رشيد عالي الكيلاني قد وصل إلى المملكة ، وأنه سوف يعتبره عربياً مستجيراً بعربي . وقد أكد الملك السعودي للسفير أنه سوف يُجيره

ولن يسلمه مهما كانت النتيجة ، وفقاً للعادات والشيم العربية .

ولما كانت الحكومة الإنجليزية تعرف أن أي عربي يغار على كرامته لا يمكن أن يسلم من يستجير به بأيّ وجه من الوجوه ، فقد رأت أنه ليس من الحكمة أن تتحدى الملك ابن سعود ، ولذلك كان جواب حكومة بريطانيا أن الكيلاني مطلوب من قبل حكومة العراق لا من قبل حكومة بريطانيا ، وعند ذلك راح الملك يتفاهم مع حكومة العراق بنفس الطريقة التي تفاهم بها مع حكومة انجلترا ، وقد حاولت حكومة العراق الخاضعة للنفوذ الإنجليزي وقتذاك أن تغض طرفها وتتجاهل العادات والشيم العربية التي أشار إليها الملك عبد العزيز ، ولكن محاولتها باءت بالفشل ، أمام الشيم العربية الأصيلة ، التي هي أعز جانباً من المعاهدات السياسية في نفسية العربي .

قلت : لو أن حكام العراق في ذلك الوقت تخلقوا بالعادات العربية وآمنوا بالشيم العربية لكان بإمكانهم أن يريحوا أنفسهم من مطالبتهم ابن سعود بتسليم مستجيره ،

وكل من يعرف العادات العربية أَو اطلع على ما جاء في كتابنا ـ الجزء الأَول « من شيم العرب » ـ يدرك للوهلة الأُولى أَن الموقف الذي اتخذه المرحوم عبد العزيز بن سعود بصدد قضية رشيد عالي الكيلاني إنما هو موقف تفرضه عليه الشيم العربية ، ويفرضه عليه عرف المجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية ، وحتى لو قدر المستحيل وأَراد الملك عبد العزيز أَن يتساهل مثلاً ويسلم الكيلاني لأَعدائه ، فإنه سوف يعرض نفسه لا لسخط عرب شبه الجزيرة بصورة عامة فحسب ، بل لسخط أُسرته من أَبنائه وغيرهم .

ومن أَوضح الأَدلة على صحة ما أُشير إليه أَنه ساعة أَن بلغ الخبر أَبناء الملك الكبار أَن رشيداً الكيلاني قد وصل إلى الرياض مستجيراً بوالدهم ذهبوا إلى والدهم فوراً ، وأَكد له كل فرد منهم بأَنه على أَتم الاستعداد أَن يسلم نفسه لحكومة بريطانيا أَو لحكومة العراق ـ المدفوعة بإيعاز من الأُولى ـ وهو مطمئن البال ، بدلاً من تسليم ضيفهم المستجير بحماهم واللائذ بجوارهم ..



رشيد عالي الكيلاني

نقلت عن السيد رشيد عالي الكيلاني قوله : إن الأَمير فيصلاً ـ الملك فيصل ـ قال لوالده : إنني على استعداد بأَن تسلمني يا والدي للحكومة الإنجليزية بدلاً من الكيلاني .

وبصفتي عربياً نشأْت في صميم الجزيرة العربية وتأَثرت بالعادات العربية تأَثراً جاء بعضه عن طريق البيئة والمجتمع والمحيط الذي ترعرعت به يافعاً ، كما جاء بعضه عن طريق دراستي للأَدب العربي المدون في الأَسفار من تاريخ وقصص وشعر ونثر وغير ذلك ، فإني لا أَرى ما قام به عبد العزيز من حمايته للمستجير به أَمراً غريباً بل شيء طبيعي بالنسبة لملك عربي منيع الجانب كعبد العزيز ، وإنما يتشخص أَمامي الآن أَمران : أَحدهما أَستغربه ، والثاني أَمقته .

فالأَول هو مطالبة حكومة العراق عبد العزيز بتسليم الكيلاني ، فإذا كان المسؤولون يجهلون العادات العربية ، بل ويجهلون تعاليم الدين الإسلامي التي تنص على حماية المستجير ؟ وهل نسوا الحديث المعقول المنطقي الذي أَكد

لهم الياور حين قــال : إن ابن سعود سوف لا يسلم من يستجير به من العراقيين ؟ ...

ان جهل المسؤولين هذه الأَخلاق العربية الإسلامية ، ونسيانهم الحكمة المعقولة التي أَوردها عقيل الياور أَمــر يدعو إلى الغرابة حقاً .

أَما الأَمر الثاني الذي أَمقته فهو ما قام به حسني الزعيم بتسليمه المستجير به (انطون سعاده) لحكومة لبنان ، ذلك العمل الحقير ، وقد كان لي صلة بالمرحوم حسني الزعيم قبل انقلابه عام ١٩٤٨ . وبعد الانقلاب ، بصفتي ممثلاً وموحداً لجنود الفوج السعودي المرابط في سورية أَيام حوادث فلسطين ، ومساعداً لآمر الفوج المذكور ، كما سلف ذكر ذلك ، وقد كنت أَشعر أَن لدى حسني الزعيم قسطاً من صفات الرجولة التي أَحببته من أَجلها ، ولكنه ما إن قام بعمله الشنيع عندما سلم انطون سعاده لحكومة لبنان حتى سقط الرجل من عيني وعين كل عربي يؤمن بشيم العرب .

وهنا نجد الأَديب الشاعر الأُستاذ راغب العثماني بقدر

ما يمتدح الملك عبد العزيز في البيت الأَول يسخر ويهجو حسني الزعيم في البيت الآخر إذ يقول :

وضيفُ مليكِ الْعُرب أَمنعُ حوزةً
من الليث في البيد الذي ليس يقرع

وبعضُ ملوك الناس يغدر ضيفَــهُ
ويُلْقى بأَحضان الطغاة ويُصْــرَعُ

كان موقف آل سعود متحداً في حماية الكيلاني

ويسرني أن أذكر ما رويته عن الأمير الفارس سلمان بن محمد آل سعود ـ الذي ورد اسمه في هذا الكتاب في أكثر من مناسبة ـ رويت عنه قوله : (إنه عندما سمعنا نحن أسرة آل سعود جميعاً بأن رشيد عالي الكيلاني وصل إلى الملك عبد العزيز ، اضطربنا اضطراباً شديداً والسبب في اضطرابنا أننا وإن كنا واثقين أن عبد العزيز سوف يتفانى في حماية الكيلاني ، وإنما خوفنا من أن يأتي من يؤثر على عبد العزيز من مستشاريه السياسيين الذين لا نفهم مدى معرفتهم وإحساسهم في مثل هذه العادات) .

ويمضي الأمير الفارس فيقول : (كانت اللحظات التي ننتظر فيها النتيجة التي يصدر بها عبد العزيز أمره



الأمير الفارس سلمان بن محمد آل سعود ممسكاً بيد المؤلف

النهائي ، في موضوع الكيلاني لحظات قاسية وشديدة ، فكأنها سنون ولكن سرعان ما خرج الينا (ابو تركي) يؤكد لنا أنه لن يسلم الكيلاني ، ما دام يوجد من آل سعود شخص واحد) .

وكمْ كنت أتمنى من صميم قلبي أن الشيخ عقيلاً الياور كان على قيد الحياة ، عندما استجار الكيلاني بعبد العزيز ، فلو كان حيًّا لكان ـ على الأقل ـ نصح حكومة العراق وعلى رأسها الوصي (عبد الإله) بأن لا يتعب نفسه في مطالبة الملك عبد العزيز بالكيلاني ، مؤكداً لعبد الإله ولحكومة العراق بأن عبد العزيز الذي رفض الرد كلاماً على الرسالة السالف ذكرها من المستحيل أن يطبق عملاً ما تعنيه تلك الرسالة من تسليم المستجير به .

أكد الملك الشهيد رواية الكيلاني

قلت في أكثر من مكان وأكثر من مرة : إنني شديد الحرص على تلقي الرواية من مصادرها الثقات ، ولا أكتفي بما أنقله عن راوٍ واحد ، ما دام يوجد راوٍ آخر يعضد ويؤيد الرواية التي عندي .

ولما كان الملك الشهيد فيصل هو الطرف الثاني في رواية السيد رشيد عالي الكيلاني التي نحن بصدد الحديث عنها ، ولما كان الكيلاني هو الذي نقلت عنه مباشرة قوله : (إن الأمير فيصلاً قال لوالده الملك عبد العزيز : فَلأُسَلِّم نفسي نيابة عن الكيلاني) فقد وجدتني ملزماً وفق الأسلوب الذي انتهجته باستقصائي وتمحيصي للرواية وقناعتي بصحتها مستهدفاً نقلها وإثباتها من مصدرها

الأَساسي الذي هو الملك فيصل ، وقد تم لي ذلك في المناسبة التي سلف ذكرها [1] في ٢٦ من شهر ذي القعدة ١٣٩٤هـ الموافق ١٠ ديسمبر ١٩٧٤ ، وفي ذلك اليوم بالذات وجدتها فرصة مناسبة سأَلت بها الملك السمح المتواضع [2] عن عدد من الموضوعات التاريخية التي لن أَجد مصدراً مقنعاً وصادقاً مثل جلالته .

ولما كان مليكنا الفيصل ليس من نوع الملوك الذين قال عنهم أُدباء عصرهم (ان الملوك لا يجوز أَن يسأَلوا) . فقد شجعني خلقه الكريم النبيل بأَن أَتحيَّن الفرصة التي يتناول فيها طعام الغداء لأَسأَله عما أُريد ، وهكذا فعلت ، حيث دنوت منه عن كثب ، وبدأْت سؤالي معه أَولاً بحادثة ذات صلة بشيم عبد العزيز [3] ، وبعد أَن أَجابني

---

(١) راجع ج ٢ ص (٧٠) .

(٢) هذه المعاني التي ذكرتها كنت قد كتبتها في الوقت الذي كان الملك فيصل على قيد الحياة . ومن أسلوب الملك الشهيد في تواضعه يدرك القارىء البعيد عن صلته بالملك فيصل أن كل انسان ينوي اغتياله والغدر به يستطيع ذلك بكل سهولة .

(٣) راجع ج ٢ صفحة (٧٣) .



الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز

بوقار ورزانة وتؤدة ممزوجة بتواضعه الذي لا يستغرب منه ، عرضت عليه رواية الكيلاني السالف ذكرها ، وبعد أَن أَصغى إلى حديثي بكل حواسه كما هو شأْنه بحسن استماعه لكل من يتحدث معه ، صمت قليلاً ثم اتجه إليَّ وقال : كنت جالساً عند المغفور له (*) حينما كان السفير

(*) هذا ما نقلته عن الملك الشهيد في التاريخ نفسه الذي أشرت إليه آنفاً أي قبل وفاة الملك بأربعة أشهر وأربعة عشر يوماً فقط . ومما تجدر الإشارة إليه أن التجارب التي مارستها وعشتها وخاصة التجارب التي عرفتها في نقلي لأخبار الأحداث عن الرواة ، وأخص بالذات الرواة الذين تتصل تفاصيل الحادثة بهم بصورة مباشرة أو الرواة الذين يكون أحدهم هو الطرف الأول في الحادثة ، أو إذا كان كما يقال : يكون هو بطل القصة . فالرواة الذين من هذا النمط وجدتهم حسب تجاربي ينقسمون إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول – إذا كانت الحادثة فيها ثناء وإطراء لنفسه نجد هذا النوع يختصر الحادثة يذكر جوهرها اختصاراً ربما يحوج المؤلف إلى طلب الوضوح من الراوي . وهذا النوع من اختصاره للرواية . أما أنه سمع ورأى من الإطراء له والثناء عليه القدر الذي لا يحتاج إلى المزيد كما هي الحال بالنسبة للملك فيصل ، وإما أنه اختصر الحديث عن نفسه لئلا يجد من يتهمه بالمبالغة في إطراء نفسه .
أما القسم الثاني فهو الذي يروي الحادثة المتصلة به رواية عفوية كما وقعت لا زيادة ولا نقصان فيها حتى يخيل للسامع أنه يبالغ في إطرائه لنفسه وان كان صادقاً في حديثه صدقاً لا يعتريه أدنى شك ولا أقل ريبة ؟ وأخطر الرواة الثالث الذي لا يبالي ولا يتورع من المبالغة في رواية أية =

الإنجليزي يطالبه بتسليم الكيلاني ، وفي أثناء استمرار السفير بالمطالبة قلت : (إذا كان ولا بد من أن تتخذ بريطانيا عقاباً لرشيد الكيلاني فإنني أنا أو أحد إخواني على استعداد بأن نسلم أنفسنا إلى بريطانيا لتعاقبنا بدلاً من الكيلاني) .. ويمضي الفيصل ويقول : إن والده نظر إلى

= حادثة فيها إطراء لنفسه ما دام طرفاً فيها أو مشاركاً أو هو بطلها ، والذي لا جدال فيه ، ان الملك فيصلاً من النوع الأول. فنجده أسقط قسماً من رواية الكيلاني التي نقلتها عنه مباشرة .. لقد أكد لي الكيلاني عبارة قال فيها ان الأمير فيصلاً قال لوالده انني على استعداد بأن تسلمني للحكومة الإنجليزية بدلاً من الكيلاني . فاذا كانت الرواية التي نقلتها عن الكيلاني معقولة ومنطقية للغاية .. فإننا نجد المغفور له الملك فيصلاً عندما جاء إلى ذكر هذه العبارة ، أثبت رواية الكيلاني من حيث جوهرها ولكنه ترفعاً عن إطراء نفسه ، جعل الأمر مشتركاً بينه وبين إخوته ، ومن ناحية أخرى ، نجده طيب الله ثراه اختصر جواب والده عندما اعتذر عن حديثه الذي قاله أمام السفير البريطاني ، فأي شخص يعرف أجوبة الملك عبد العزيز حين يستحسن أي عمل من أي إنسان يدرك أن جوابه المألوف قوله (بارك الله فيك) .. فما بالك بجواب عبد العزيز لابنه فيصل عندما قال كلمته التي أوصد بها الباب في وجه السفير البريطاني مما لا جدال فيه أن عبد العزيز قال لنجله الفيصل عبارة لا تقل عن قوله (بارك الله فيك يا ابني) .. هذه الجملة — — هي أقل تعبير .. ومن يعرف أخلاق الملك الشهيد ويعرف تواضعه يجده عزوفاً عن ذكر كل شيء يمت إلى الدعاية لنفسه بأدنى صلة.. لذلك رأيناه اختصر الرواية على الجملة السالف ذكرها غفر الله له ولوالده .

السفير البريطاني وقال له : أَسمعت ؟ ! . وواصل الملك الشهيد حديثه في هذا الشأْن وقال : إِنه بعد أَن قام والده من مكانه اتبعه وقال : (لعلي يا والدي لم أَكن أَسأْت الأَدب وأَخطات في حديثي هذا) ؟ ! ، ويؤكد الفيصل أَن والده) قال : (إِنك لم تقل خطأً) ! !

قال عبد العزيز لفرنسا :
إقبلوه سفيرًا، وإلاّ فلن يأتيكم منّي سفير

من رجال العرب الذين هربوا من بلادهم عندما كانت تحت حكم الاحتلال الأجنبي ، واستجاروا بحماية الملك عبد العزيز ، الدكتور رشاد فرعون المستشار الخاص لجلالة الملك الشهيد فيصل ، والذي يتولى المهمة نفسها مع جلالة الملك خالد الآن .

عندما عين الدكتور رشاد فرعون سفيراً في باريس ، رفض الفرنسيون قبوله باعتباره من السوريين الذين تمردوا على الاحتلال الفرنسي لسورية ، وهرب منهم والتجأ بجوار الملك عبد العزيز ، مما جعل الحكومة الفرنسية تصدر حكمها عليه بالسجن وتعتبره ضمن المجرمين السياسيين في حقها . فكيف والحالة هذه يأتي إلى فرنسا سفيراً يمثل الملك عبد

العزيز وهو محكوم عليه بالسجن غيابياً .

وإذا كان أي سفير تبعثه حكومته يسبقه مذكرة للحكومة التي يبعث إليها ويعبر عن هذه المذكرة بـ(الاستمزاج) .. أي أخذ رأي الحكومة التي سيمثل بلاده فيها ، ولهذه الحكومة الحق في الرفض وعدم قبول السفير المبعوث ، فإن هذا العرف الديبلوماسي المألوف قد طبقته وزارة خارجية جلالة الملك عبد العزيز مع حكومة فرنسا بشأن الدكتور رشاد ، ومن المسلم به أن فرنسا لا تبدي رأيها بالموافقة أو بالرفض إلا بعد أن تبذل جهداً في دراسة تاريخ حياة السفير المبعوث إليها ، فإن وجدت أدنى إشارة تعبر عن أقل موقف معادٍ لها صادر من السفير القادم إليها ، فان لها الحق في رفضه وعدم قبوله .

ولما كان الدكتور رشاد محكوماً عليه بالسجن من قبل حكومة فرنسا كما سبق ذكره فقد كان الأمر مفروغاً منه بأن ترفض فرنسا قبوله سفيراً عندها .

ما تراه فرنسا جريمة في حق الدكتور، يراه عبد العزيز فضيلة

عندما عاد جواب الجمهورية الفرنسية يحمل عبارة تشير إلى الرفض لقبول ترشيح الدكتور سفيراً ، وحينما أَدرك الملك عبد العزيز أَن سبب الرفض يعود إلى عداء مزمن من عدو غاصب كفرنسا في غزوها واحتلالها سورية العربية ، وتجسد هذا العداء في حق مواطن شريف ، أَبت نفسه أَن ترضخ للحاكم الغازي لبلاده ، والناهب لخيراتها والمغتصب لمقدراتها ، عند ذلك يرى موحد جزيرة العرب أَن ما تراه فرنسا جريمة يستحق عليها الدكتور رشاد العقاب ، يراه (أَبو تركي) فضيلةً يستحق عليها الدكتور ومن أَجلها التقدير والإجلال ، ولذلك أَمر بأَن يعاد (الاستمزاج) إلى الحكومة الفرنسية ، إعادة تحمل إصرار العربي الأَبيّ الشهم

المقدر والمحترم لأَخيه العربي اباءه وشموخ أَنفه وعزوفه عن قبول حكم المستعمر الغاصب كفرنسا ..

أَعاد عبد العزيز (استمزاج) بعث الدكتور رشاد سفيراً إلى فرنسا ، مؤكداً لها بأَن تقبل أَحد الاختيارين : إما أَن لا يأْتيها سفير منه إلى الأَبد ، وإما أَن تقبل الدكتور رشاداً سفيراً لجلالته في بلادها ..

عندما عاد رجال الحكومة الفرنسية إلى رشدهم ، وجدوا أَن الملك عبد العزيز جادّ في الموضوع ، كما وجدوا أَنه على جانب كبير من الصواب والعدل ، فيما إذا نظر إلى ما تراه فرنسا جريمة بحق الدكتور ، يراه هو مفخرة يستحق عليها التقدير .

وهكذا أَذعنت حكومة فرنسا للحق والصواب ، وقبلت الدكتور سفيراً لجلالة الملك عبد العزيز .. وقد ظل سفيراً عدة سنوات في باريس ، إلى أَن تولى منصب وزير الصحة في المملكة العربية السعودية .

وبما أَنني لا أَكتفي بنقل الحادثة من مصدر واحد ، بل ولا من مصادر متعددة ، وإن كان رجال هذه المصادر

كلهم عدول وثقات ، لا أكتفي بذلك ما دام صاحب العلاقة أو الطرف الثاني في الحادثة على قيد الحياة .

ولهذا فقد اجتمعت بالدكتور رشاد في مكتبه في الرياض وذلك بتاريخ ٢٥ـ١٠ـ١٣٩٤ هـ (الموافق ١١ـ٩ـ١٩٧٤) فسألته عما علمته من الرواة الثقات وكان جواب الدكتور على سؤالي يؤكد كل ما أوردته في السياق ، وزادني تأكيداً بقوله : إنه لا يعلم شيئاً عن تعيين جلالة الملك عبد العزيز له إلا بمناسبة جاءت بمحض (الصدفة) هنأه بها الأمير فيصل (الملك الشهيد) كما لا يعلم شيئاً عما دار حوله بين الملك عبد العزيز وبين حكومة فرنسا إلا فيما بعد .

أود أن أختم هذا الفصل بجملة تعبر لنا أن الملك عبد العزيز لم يكن لفئة من العرب دون الأخرى ـ بل كان ملكاً مشاعاً لكل عربي يرى أنه والد روحي له ـ وهذا ما قاله الأمير عبدالله المتعب بن رشيد ـ وهو ما سيراه القاريء في الصفحات الآتية .



الدكتور رشاد فرعون

أنتَ للعَربِ جميعًا ولستَ لفئةٍ دونَ أخرى

عندما يجلس الملك عبد العزيز في ناديه الذي يضم أَعيان مواطنيه – يكون الحديث في هذا المجلس . بعيداً كل البعد عن الخوض بأَي معنى من المعاني التي تمت إلى القضايا السياسية الخارجية ، أَو السياسية المحلية الماضية – التي قد يؤدي الحديث عن الأَخيرة إلى إثارة رواسب الأَحقاد والضغائن ، على اعتبار أَن الحاضرين في مجلس عبد العزيز من قبائل متباينة وبين بعضها من العداء والثأْر ما الله أَعلم به ، ويكاد يكون من المستحيل الوفاق بينهم لولا أَن الله أَعان عبد العزيز ووحدهم ، ثم أَلف بين قلوبهم ، وجعل ذلك الجيل الذي عاش القتال القبلي ، ان لم يكن ينسى تلك العداوة بصورة فورية ونهائية فانه مع مرور

الزمان يتناساها شيئاً فشيئاً .

هذا بالنسبة لذلك الجيل الذي مارس تلك الحروب وعاشها ، أَما جيل البلاد المعاصر ، فانه لم يبق في نفسه أَدنى شيء من تلك الرواسب البالية إلى غير رجعة ، لأَنه لم يعشها ، ولم يتأَثر بها .

وحديثي الآن عن ذلك الجيل - اي جيل الملك عبد العزيز ، وأَخص بالذات أَصحاب الزعامات السابقة ورؤساء القبائل الذين يضم نادي عبد العزيز عدداً وافراً منهم .

والجلسة التي يجلس بها عبد العزيز مع هؤلاء تكون بعد العصر حيث يكون الحديث تارة من الملك نفسه ، فنجده يتحدث مع جلسائه - حديثاً ينطلق به على سجيته ، بعيداً عن التكلف - ويؤكد جلساؤه ان عبد العزيز اذا تحدث بحديث ما فانه لن يعيد الحديث الذي تحدث به مرة ثانية ، أَما حديث جلسائه فانه في أَغلب الأَحيان حديثاً ، وان كان فيه مساجلات ، ومجادلات بين بعضهم البعض ، ولكن هذه المساجلات وتلك المجادلات - لا تخرج عن نطاق الحشمة والوقار .

وإذا كان التنافس ، على المثل ، والتسابق بالقيم ، والتفاخر بالشيم ، أمراً مألوفاً عند العرب ، منذ العهد الجاهلي ، فاننا نجد تنافسهم وتفاخر شعرائهم فيما بينهم أكثر ما يكون بالشجاعة والكرم ، على اعتبار ان جميع الشيم مشتقات من هاتين السجيتين .

فالشجاعة والسخاء هما الأصل . وما عداهما فرع من أصل .

واذا كان التفاخر بالكرم بين الأفراد او القبائل قد لا يثير الضغائن وينشىء الغضب ، كما هي الحال بالتفاخر بالشجاعة ، فإنه في إحدي المناسبات الطارئة والنادر وقوعها ، حدث في مجلس الملك عبد العزيز تفاخر بالكرم بين قبائل شمال نجد وبين قبائل جنوبها ، وكان الذي تولى الدفاع عن قبائل الشمال الأمير عبدالله المتعب الرشيد ، والذي تولى الدفاع عن جنوب نجد عدد من بعض رؤساء قبائلها ، وذلك في بداية الأمر ، ثم برز بالدفاع عن قبائل الجنوب أحد رؤساء قبيلة مطير وهو الفارس مشاري ابن مصيص .

ولما كان مشاري معروفاً بأَنه فارس لا تخفر ذمته ولا يبات على الضيم ، بقدر ما هو معروف بعدم كرمه بل منعوت بالبخل ، فقد تفوق عليه عبدالله المتعب بجملة أَقام بها عليه الحجة من جهة ، ومن جهة أَخرى شهد له ابن متعب بالشجاعة والفروسية وذلك عندما قال موجهاً كلامه لمشاري : « لو كان الحديث عن الشجاعة لقلنا لك الحق ان تتحدث يا مشاري بلسان طويل ، وما علينا إلا أَن نقول لك ، نعم ونعم ونعم ، أَما ما دام الحديث الآن بالكرم فلا يحق لك أَن تنطق بكلمة واحدة ، لأَنك أَشهر من عرف بالبخل بين رؤساء قبيلة مطير قاطبة » .

ولما كان أَدبنا الشعبي مصدراً من أَهم وأَصدق الوثائق التاريخية التي يركن اليها باقامة الحجة ، بل ويكون الحكم الفاصل عندما يحتدم الجدال بين المتجادلين — لذلك فان هناك بيتين أَنشدهما شاعر يكاد يكون من أَبرز شعراء قبيلة مطير قاطبة ، التي منها ابن مصيص ، وهذا الشاعر هو حنيف بن سعيدان ، والبيتان فيهما معنيان مزدوجان : معنى فيه مدح وإطراء لمشاري كفارسٍ يحمي الذمار

وفيهما هجاء لمشاري نفسه يهجوه الشاعر بالبخل هجاء مراً ـ وهما الآتيان :

والله لَولاَ البخْلَ مَا خَزْخَزْن فِيْك
زَبِنَ الْحِصَانْ وَزَبن حِرْدَ الأَيَادِيْ
البخل عذر وبك ولاني بخَاخَشِيَــكْ
ولا انت مَضيّفْنِي إلى جِئْت بَادِيْ

من معنى هذين البيتين اللذين يقسم بهما الشاعر بالله انك يا مشاري بن بصيص الشجاع الفارس المغوار الذي قلَّ أَن يعتلي صهوات الخيل فارس يضارعك بالشجاعة ، ولكن عيبك يا مشاري الذي تعاب به هو البخل ، أَقول ذلك ولست مجاملاً لك لأَنني واثق ان لو آتي إليك ضيفاً فانك بخيل بخلاً يجعلك لا تقوم بالواجب الذي يقوم بـه المضيف العربي تجاه ضيفه .

هذه المعاني ربما لو أَنشدها شاعر من قبيلة أَخرى من قبائل العرب لم يكن لها ذلك المفعول وانما الذي جعل لها وقعاً في النفوس هو أَن الذي أَنشدها من قبيلة الفارس مشاري . بل وهو أَشعر قبيلة مطير في عهده .

كان الجدال بين الجانبين متكافئاً ولم ترجح كفة أَحدهما على الأُخرى وربما لو تصدى لمجادلة الأَمير عبدالله المتعب شخص من رجال الجنوب غير مشاري المشهور ببخله لما رجحت عليه كفة عبدالله كرجوحها بهذه الصورة .

كان الملك عبد العزيز منصتاً لجدال الطرفين ، بدون أَن يبدو منه أَدنى إِشارة تعبر عن ميله مع جهة دون الأُخرى ، إِلى أَن جــاء نايف بن محمد بن هندي ، وأَدخل نفسه طرفاً في الجدال ، وقال : دعوني أَحكم في الموضوع بصفتي من أَهل الجنوب ، وناشئاً في الشمال ، فذهب نايف في بداية الأَمر يتحدث عن مزايا أَهل الجنوب حديثاً حسناً حتى ظن السامعون انه سوف يميل بحكمه بجانب أَهل الجنوب ، غير أَنه في نهاية حديثه ـ بدأَت ظواهر المعاني تشير بوضوح بأَنه سوف يصدر حكمه بجانب أَهــل الشمال ، فما وسع الملك عبد العزيز إِلا أَن نهر نايفاً لائماً له على إِجحافه بجانب أَهل الشمال الذين نشأَ عندهم ، ومعاتباً له على تنكره لأَصله بصفة أَن والده محمد بن هندي رئيس عشيرة برقا التي هي أَكبر عشيرة في قبيلة

عتيبة ، ولما كان عبد العزيز معطياً النخبة من جلسائه حرية التعبير وفي مقدمة هؤلاء النخبة عبدالله المتعب لذلك فقد وجد عبدالله في اقامته على ابن مصيص الحجة ، في شهادة نايف بن حميد بجانب وجهة نظره ، مما يجعله يرى أنه منتصر في رأيه الذي يرى أن رجال الشمال الذي هو منهم أكثر سخاء من أهل الجنوب ، ولذلك ذهب يوجه حديثه للملك عبد العزيز ، وجميع المواطنين الذين عاصروا الملك عبد العزيز وفي مقدمتهم جلساؤه من سراة القوم ، فان الواحد منهم لا يحدث الملك عبد العزيز بلقب الجلالة ، وانما يحدثه باسمه المجرد قائلاً يا عبد العزيز .

وهكذا كان عبدالله يعبر عن وجهة نظره مع الملك عبد العزيز ويرد عليه الملك عبد العزيز جواباً يفند به وجهة نظره ، وفي اللحظة التي كان الخلاف في وجهة النظر قائماً بين الملك والأمير عبدالله جاء ـ المضيف «أو المضايفي» بتعبيرنا ، وأبدى الاشارة التي جرت بها العادة أنه إذا جاء المضيف يقوم الملك والحاضرون ليتناولوا وجبة العشاء ، إلا أن الملك في هذه المرة ، لم يذهب للطعام بل قال : (لم يترك لنا ابن

متعب نفساً تقبل الطعام) .

وفي اليوم الثاني جاء عبدالله المتعب إلى الملك كعادته ولم يبدر منه الحديث الذي عادة يداعب به الملك والذي كثيراً ما يأْنس الملك إلى مداعبته ، بل قل أَن يوجد بين جلساء الملك من يأْنس به الملك كما يأْنس بحديث ومداعبة عبدالله المتعب إلى درجة ان هناك رواية متواترة يقول رواتها : منذ أَن توفي عبدالله المتعب ، لم يصدر من الملك عبد العزيز ذلك الحديث الذي اعتاد ان يصدر منه في حياة عبدالله .

ثم جاء اليوم الثاني والثالث ، وعبدالله صامتاً عن حديثه المعتاد .

ويؤكد لي عبدالله ان ولي العهد الأَمير سعود ـ سأَله عن أَسباب صمته ـ فقال ـ أَظن ان الملك في نفسه شيئاً علي ـ فأَكد له الأَمير سعود أَنه لم يكن في نفس والده عليه شيء .

وعندما وثق عبدالله انه لم يكن في نفس الملك عليه شيء ـ جاء اليه وقال المعنى الذي أَنقله عن الأَمير عبدالله المتعب وهو الآتي :

(انت يا عبد العزيز لست لاهل الجنوب دون أَهل الشمال ولا لأَهل الشرق دون أَهل الغرب بل أَنت للعرب جميعاً) .

فانفتحت أَسارير الملك عبد العزيز من كلام الأَمير ابن رشيد المليء بالمنطق والصواب .

وتأْتي الحكمة من عرضي لهذه الحادثة على الوجه الآتي :

وهو وجود الجو العربي الذي لا كلفة به في مجلس الملك عبد العزيز جواً مليئاً بالبساطة بعيداً عن (البروتوكولات) الأَجنبية ينادي المواطن الملك عبد العزيز باسمه المجرد عن الأَلقاب الدخيلة علينا ، ومما يحز بالنفس ان هذه الأَلقاب الأَعجمية والتي أَدخلها علينا أُخواننا المجاورون لنا ، وهؤلاء أُدخلت عليهم من الأَعاجم ، وانما الذي يؤسف له هو أَن الذين أَدخلوا علينا هذه الأَلقاب عادوا يتنصلون منها - بينما ظللنا نحن متمسكين بها - أَكثر من ذلك يأْتي مثلاً رئيس دولة عربية من الدول التي سلخت عن نفسها

الأَلقاب ـ وظلت تلقب رئيس دولتها أَو أَحد وزرائها بلقب مجرد عن الفخفخة الدخيلة ـ بينما إعلامنا وصحافتنا تسميه ـ صاحب الفخامة ـ ان كان رئيس دولة أَو صاحب المعالي ان كان وزيراً .

والأَسوأ من هذا وذاك أَيضاً هو أَننا نجد إعلامنا عندما يأْتي شخص ما قد وضع لنفسه من الهالة لقب مولاي ، أَي يؤتى بلقب مولاي مقدماًعلى اسمه ـ فنجد إعلامنا ـ يسير على أُسلوب الفخفخة والتعظيم اللذين يتنافيان ليس مع الخلق العربي فحسب ، بل يتنافيان مع آداب وأَخلاق وتواضع النبي الكريم محمد عليه الصلاة والسلام .

أَجل فلو كانت هذه البدعة جائزة عرفاً وشرعاً وديناً ، أَما كان ـ أَحق بها النبي محمد ـ فهل كان أَصحابه يقولون له مولاي محمد ؟؟ وهل كان هناك من يقول لابي بكر او لعمر او لعثمان او لعلي : مولاي عمر ، او مولاي علي ؟؟ .

لست عاتباً على الذين أَدخلوها علينا ، بقدر ما أَعجب وأَعتب على الذين تبنوها عندنا وأَخص بالذات رجال الإعلام في المملكة العربية السعوديـــة الذين تبنوا في إعلامنا فضلات ومخلفات الأَعاجم .

اما آن الأَوان ان ننبذ هذه البدع الدخيلة على شيمنا العربية ، وعلى ديننا الإسلامي معاً .

الفصل الثاني عشر

سخاء عَبد العَزيز وَكرَمه



في إحدي المناسبات وفي هذه الأَيام القريبة بالذات . وفي مزرعة الأَمير نايف بن عبد العزيز التي في الخرج وجه إليَّ الأَمير سلمان بن عبد العزيز السؤال الآتي : هل الكريم أَفضل ام الشجاع أَفضل ؟؟ .

فقلت : يعود الأَمر إلى منزلــة المرء الاجتماعية ، فإِذا كان المرء أَميراً فإِن المطلوب منه أَن يكون كريماً ، أَما إِذا كان جندياً أَو يشبه الجندي فينبغي منه أَن يكون شجاعاً ، وإِذا كان الجبن ممقوتاً من الجندي ، فإِنَّ البخل ممقوت أَكثر من الأَمير ، والواقع أَن افتراق الشجاعة والسخاء في خلق الإِنسان نادر الوقوع ، وإِذا نظرنا للتاريخ بعمق وجدنا الشجعان هم الذين غيروا وجه التاريخ ، مع العلم

أنهما سجيتان يكمل بعضهما بعضاً ، أما القائد في مثل جزيرتنا العربية فإنه يستحيل أن تتم له السيطرة على قومه ما لم تتوفر فيه الشجاعة والكرم ، وهكذا كان عبد العزيز. فإذا كانت كل سجية حسنة من سجايا عبد العزيز تكاد تكون في نظر من يعرفه عن كثب ، هي السجية البارزة في أخلاقه ، وعلى سبيل المثال : إذا ذكرت شجاعته تصور المرء أن هذا الخلق طاغٍ على ما سواه من السجايا الأُخرى ، وإن جاء ذكر عفوه وتسامحه أكد عارفوه أن هذا الخلق يحتل المكانة الأُولى بين شيمه وسجاياه ، وإذا جاء ذكر سخائه وكرمه ، سنجد من يقول : إن كرمه من أبرز سجاياه .

فإذا كان الكرم من أبرز صفات القائد التي تجعله محبوباً بين أفراد شعبه ، فإن من أهم السجايا التي عرف بها عبد العزيز الكرم ، والكرم في الوقت ذاته من أهم العوامل التي مكنته من إذعان أبناء شعب الجزيرة لنفوذه وقبول سيادته عليهم .

والكرم في حد ذاته عمل حيويٌّ من أهم الأَسباب التي

تكسو صاحبها هيبة ، وتمنحه محبة الناس وولاءهم ، وتجعل الأَلسنة تلهج بشكره ، وتفوح عبيراً بذكره ، خاصة في عالمنا العربي .

ولهذا نجد رب السيف والقلم محمود سامي البارودي يقول :

يلومونني بالجود والجود مَزْنَـةٌ
إذا هملتْ في موضعٍ نبت الشكرُ

والمثل الدارج عندنا يقول : (الكريم حبيب الله ، وحبيب الناس) .

مَن كانَ سخيًّا يبذل المَال
خليق أن يملك الرقابُ

عندما استولى عبد العزيز على مدينة الرياض عاصمة حكم آبائه ، وفد إليه الفارس السالف الذكر محمد بن هِنْدي رئيس عشيرة بَرْقاء من قبيلة عُتَيْبَةَ ، كان عبد العزيز لا يملك قِطْمِيْراً من المال عندما وفد إليه هـذا الرجل ، إلا أَنه في اليوم الثاني من مجيء الفارس الوافد وصلت إليه زكاة بلدة الخرج ، فوهبها كلها لابن هندي قبل أَن ينظر إليها .

وقد كان لهذه الهِبة أَكبر الأَثر لا في نفس ابن هندي فحسب ، بل كان لها مغزى سياسي آخر ، فهي بقدر ما زرعت الرغبة في قلوب الموالين له أَو المترددين بين الانضمام إليه وبين التخلي عنه ، قد أَوجدت الرعب في نفوس

خصومه ، ذلك أن الإمام عبد العزيز عندما احتل مدينة الرياض بعث إلى الأَمير عبد العزيز بن رشيد الذي كان ذلك الوقت الحاكم لنجد ، بعث إليه رسالة يقول فيها ما معناه : إنه استولى على مدينة الرياض التي هي ملك لآبائه ولأَجداده وأَن لا مطمع له بغيرها الخ ... وصلت رسالته هذه في الحين الذي بلغ ابن رشيد الخبر عن هبة الملك عبد العزيز لابن هندي المال الذي وصل إليه من زكاة الخرج ، فما وسع ابن رشيد إلا أَن جمع أَعيان رجاله بدوهم وحضرهم ، وعرض عليهم رسالة عبدالعزيز ، آخذاً رأْيهم ، فأَجمع الرأْي على أَن عبد العزيز بن سعود لم يقل إلا الحق ، وأَنَّ من الإنصاف والعدل أَن تترك له إمارة بلاده الخ ... فابتسم عبد العزيز بن رشيد إبتسامة الساخر من رأْي قومه الذين قد لا يعرفون عن هبة ابن سعود لابن هندي ما يعرفه أَميرهم ، أَو ربما أَنهم يعرفون ذلك ولكنهم لا يدركون أَبعاد هذه الهبة كما يدركها أَميرهم ، ولذلك قال الأَمير بعد إبتسامته هذه : أَتظنون أَن الرجل الذي لا يملك من المال شئياً ، ومع ذلك يبلغ به

السخاء بأَن يهب محمد بن هندي كل المال الذي وصل إليه من زكاة الخرج ، أَيعقل أَن من يكون سخياً إلى هذا الحدِّ أَن يقف به طموحه إلى أَن يقنع بإمارة بلاده ما لم يأْت ليقاتلني عند أَسوار بلادي حائل ؟! ..

فكان الأَمر كما خافه الأَمير وكما توقعه ...

وها هو الإمام عبد العزيز يقول :

قولوا لبو متعب نبيه   فوق النضا والمكرمات

لو ما يجي منا نجيه   ونشبع طيور حائمات

وحينما أَضع خبر هبة عبد العزيز لابن هندي في مقدمة هذا الفصل ، فإن غايتي من ذلك تعود إلى رغبتي بـأَن يرى القاريء صورة عما طبعت عليه نفسية عبد العزيز من السخاء ، وعن كونه لا يرى المادة أَمام الفوز المعنوي إلا وسيلةً ولا غير ذلك ، هذا من ناحية ومن ناحية أُخرى ربما يرى القاريء أَن مواد هذا الفصل الخاص بسخاء عبد العزيز وكرمه أَقل كثيراً مما هو معروف عن جُوده ، فأَردت أَن أَقول لمن يرى هذا الرأي : عليه أَن يتخيَّل هذه الصورة

في ذهنه ، ليأْخذ منها مقياساً يستطيع به أَن يحكم على مقدار ما تتمتع به نفس هذا الرجل من الجود والسخاء اللذين لا حدود لهما ، لأَن من يبذل لابن هندي تلك الهبة ، وهو صفر اليدين من المال ، جدير به أَن يبلغ كرمه هذا منتهى ما يوصف به السخي الكريم ، لأَنَّ من يكون سخيًّا وهو مقل معسر حَرِيٌّ به أَن يكون أَكثر سخاءً إذا أَيسر ، وأَوفر كرماً إذا وجد .

يفضل عبد العزيز أن يستولي على أهل البلاد بسخائه لا بسلاحه :

ذكرت في الفصول السابقة أَن عبد العزيز دائماً يفضل الانتصار المعنويَّ المطبوع بطابع الأَخلاق والشيم ، على الانتصار العسكري الماديِّ ـ ذكرت ذلك وأَوردت عدة أَدلة تؤكد صحة قولي هذا ـ .

وإذا كان عبد العزيز يفعل ذلك عندما يتم له النصر على أَعدائه ، فإنه يحاول أَن يبذل ما استطاع من السخاء والبذل لخصومه ، وذلك قبل أَن يمتشق السيف ، قانعاً قناعة أَكيدة أَن للسخاء والكرم والجود أَثرها العملي في

انقياد النفوس أكثر من أثر السيف والبارود والمدفع ، خاصة متى كانت الحرب بين عربي وعربي تجمعهما أَواصر الأُخوة العربية والعقيدة الروحية واللغة والأَرض والمصير المشترك .

ولا عجب والحالة هذه إذا أَكد لنا الرواة الثقات أَن عبد العزيز قال لابنه الأَمير محمد عندما كان محاصراً للمدينة المنورة ، حينما كانت خاضعة لحكم الملك علي إبن الشريف حسين الذي كان محاصراً في جدة قال له : (امنح يا محمد للرجال كل ما في يدك من المال ، وإذا انتهى المال إمنح الخيل والجيش يعني الإبل النجائب وإذا انتهت الخيل والجيش إمنحوا السلاح) .

وهذا يعني أَن السخاء وحده يفتح القلوب ، ويقوم بأَعمال إيجابية تغني عن الخيل والجيش بل وعن السلاح .

مع العلم أَن الأَمير محمداً كريم مِتْلاف ، لا يحتاج إلى من يوصيه بالكرم ، وإنما أَراد والده أَن يعطينا دليلاً واضحاً بأَن فتحه للبلاد بكرمه وسخائه أَحب إليه من فتحه لها بسلاحه .

قلم الكريم كريم، وهو أكرم من قلمه

جاء إلى الملك عبد العزيز رجل من قومه يشكو إليه ما يعانيه من الديون التي تراكمت عليه ، وأثقلت كاهله ، وليس لديه قدرة على أن يسدد ما يطلبه منه الدائنون ، فأمر الملك بأن يحقق في أمره ، وقد أثبت المحققون أن الرجل مطلوب منه مئة جنيه من الذهب - فكتب له على الفور بخط يده (١٠٠٠) ألفاً بدلاً من أن تكون مائة ، وعندما ذهب الرجل إلى (شلهوب) المسؤول عن المالية ، نظر إلى المبلغ ، فوجده يزيد عشرة أضعاف على دين الرجل فعاد شلهوب إلى الملك ، وأخبره بهذه الزيادة فما كان من الملك إلا أن قال : (ليس القلم بأكرم مني) [1] .

---

(١) السيد عبد الحميد الخطيب . في كتابه « الملك العادل » .

وعلينا أَن نفهم بأَن الأَلف جنيه في الوقت الذي كان شلهوب صاحب المال لدى عبد العزيز ـ أَي قبل وزير المـال الشيخ عبد الله آل سليمان ، وقبل وزير الخاصة الملكية الشيخ عبد الرحمن الطبيشي ، أَي منذ خمسين سنة ، وقبل أَن تتفجر ينابيع الزيت ـ علينا أَن ندرك أَن ذلك المبلغ يقوم مقام مئات الأُلوف من الجنيهات في أَيامنا هــذه .

هبني الآن قبل أن تنفد خزينتك يا عبد العزيز !

الحديث عن كرم عبد العزيز وعن بذله لا يستطيع كاتب أَن يحيط به أَو يحصره ، لأَن عبد العزيز يلتذ بالإِنفاق ، كما يلتذ الظمآن بشرب الماء الزلال ، ومن العبث أَن يحاول كاتب الإِحاطة بكل ما بذله عبد العزيز ، فحياته كلها بذل وسخاء ، ولم يَرَ المال يوماً من الأَيام إلا أَنه وسيلة ـ فقط ـ ويكفي أَنه عندما توفاه الله لم يكن له في أَي مصرف (بنك) من المصارف درهم واحد .

والذي شاهد كثرة الوافدين عليه كل صبيحة يوم خاصة في أَيام الصيف حيث يكثر عدد الوافدين من مختلف أَنحاء المملكة ، بل ومن غير المملكة ، وكل واحد من هؤلاء يمنح هبة من المال ، ومعها كسوة (عباءة) أَو أَلبسة أُخرى ، أَقول : إن أَي إنسان نظر ذلك المشهد يتصور أَن لو أَن عبد العزيز يعطي كل وافد إليه ريالاً واحداً لنفد كل ما عنده .

وهذا مما حمل أَحد المواطنين المدعو حميد الغاشم المشهور بسرعة البديهة ، وخفة الروح وابتكار النكتة حين قدم إلى عبد العزيز من بلاده وبادله السلام ــ قال له : أَعطني يا عبد العزيز (شرهتي) [1] من الآن ، وقبل أَن أَخرج من عندك ، أَما إذا خرجت من عندك فإنك سوف لا تجد ريالاً تهبني إياه ، لأَن الوف الناس الذين رأَيتهم قد وفدوا إليك ، وسيتبع هؤلاء الأُلوف أُلوف آخرون بعد ساعات ، فهؤلاء لو انقلب المال الذي عندك إلى رمال الدنيا وأَعطيت كل واحد من هؤلاء الوافدين قبضة من الرمل لما بقي عندك مثقال ذرة من هذا الرمل .

(١) الشرهة ــ الهبة .

من يُوهَبُ يطلب المزيد ومَن لم يُوهَبُ يطلب المسَاواة

ومما يزيدنا إعجاباً بسخاء عبد العزيز وكرمه ، أَنه ما من شخص يكتب اسمه في سجلات الوفود ويوهب (شرهته) إلا ويأْتي بعد عام يطالب بهذه الهبة بصورة يرى أَنها حق من حقوقه ، ولا يبارح البلاد حتى ينالها ، وتعتبر (عادة) سنوية تدفع له كل عام .

هذا بالنسبة للمواطن الذي منح هبة ، ولو مرة واحدة ، أَما الذي لم يسبق أَن أُجْري له شيء ، فإنه يطالب بأُسلوب آخر قائلاً : إن جميع المواطنين أَمثاله لهم (عادة) سنوية . ومن العدل أَن يشمله كرم عبد العزيز كغيره ممن يضارعه من إخوانه .. الخ ، ومتى منح الهبة التي تلائم مقامه فإنه يأْتي السنة القادمة يطالب بعادته السنوية ، وهكذا دواليك

من له هبة سنوية يطالب بها كما يطالب الدائن بحقه الشرعي ، ومن لم يكن له عادة يطالب بأَنْ يقرر له هبة ثابتة كما يطلب الوارث حقًّا من حقوقه الشرعية التي ورثها عن آبائه .

وهذه القاعدة لم تكن محصورة على السعوديين – بل تشمل كل عربي وفـد إلى عبد العزيز من أَي بلد عربي – وبصورة خاصة رجال قبائل العراق وسورية والأُردن ، وحتى قسم من رجال حضر هذه المدن .

وجدير بالذكر – كما سبق أَن قلت – وهو أَن أَي شخص أُجريت له قاعدة [1] سنوية أَو شهرية بأَمر من عبد العزيز ، فإن هذه القاعدة تجري لصاحبها إلى يومنا هذا وفقاً للأَوامر التي أَصدرها الملك فيصل وأَيدها من بعد الملك خالد – اللذين رأَيا أَن من برهما لوالدهما ، ومن وفائهما له أَن تكون أَوامره النافذة في حياته نافذة بعد وفاته .

---

(١) المنحة إذا تكررت تسمى (قاعدة) .

كرم عبد العزيز وسخاؤه لضيوفه

ذكرت نماذج من سخاء عبد العزيز وجوده في سبيل إكرام ضيوفه الوافدين عليه سنوياً من أَبناء بلاده بصورة خاصة ، ومن مختلف البلاد العربية بوجه عام وشامل .

ولا بد لي أَن أُوافي القاريء بإِيضاح جانب مما يبذله عبد العزيز تجاه ضيوفه الدائمين ممن كانت لهم زعامة وسلطة في بلادهم ، ومن ثم استولى عليهم عسكرياً في ميدان الحرب ، وأَراد بعد ذلك أَن يستولي عليهم معنوياً وأَخوياً في ميدان الأَخلاق ، وعالم الشيم ، باذلاً كل ما لديه من الجهد والجود لكي يجتث بقية رواسب العداء ، وينسيهم ما كانوا يتمتعون به من سيادة أَو سلطة حكم القضاء والقدر أَن ينتهي أَجلها ، ينسيهم ذلك على النحو

الذي أَشرت إِليه في الصفحات السابقة .

جميع سراة القوم الذين من هذا النوع ، يعاملهم عبد العزيز معاملة مطابقة لسمو منزلة كل واحد منهم ووجاهته فأَصحاب الدرجة الأُولى الممتازة يخصص لكل واحد منهم الكمية الكافية لكل ما يحتاج إِليه هو وأَهله وأَتباعه ، من الغذاء الشعبي المأْلوف ، المكون من الأَرز [1] ، والتمر والسمن والسكر ، والشاي والقهوة والهيل ، هذه الأَشياء تصرف لهؤلاء في كل شهر ، ويضاف إِليها مبلغ من الريالات لشراء الامور الكمالية . وأَما اللحم فإِنه يصل لكل واحد منهم إِلى منزله من ثلثي الخروف إِلى ربعه كل يوم ، وإِذا جاء الصيف أُرسل لكل شخص من هؤلاء كمية كافية من الرطب الذي يقوم في ذلك الزمن مقام جميع الفواكه ، وأَما الكساء فهو يعمم على هؤلاء في العام مرتين في مناسبة العيدين عيد الأَضحى ، وعيد رمضان ، ويأْتي مع هذه الكسوة (شرهة) العيد ، هذا خلاف الهبات

---

(١) الأرز والتمر كانا هما الغذاء الدائم لساكني نجد ، والأرز هو الغذاء إلى الآن أما التمر فقد تقلص الاهتمام به تقلصاً يكاد يكون نهائياً .



الملك عبد العزيز

التي يمنحها عبد العزيز لهؤلاء في بعض المناسبات مثلاً إذا أَراد أَحد أَبنائهم أَن يتزوج ، أَو إذا أَراد أَحدهم أَن يتزوج هو ، أَو إذا أَراد أَن يعمر منزله أَو يوسعه ، أَو أَية مناسبة من هذا النوع ، وما أَكثر المناسبات ، وهذا عدا (القواعد) السنوية التي تجري لكل واحد منهم .

أَما السكن فيمنح للرجال الذين من هذا النوع يتصرفون فيه كيف يشاؤون مع العلم بأَن الضيوف الدائمين هم بهذه الصفة . وإن كان كل ما ذكرته من غذاء ورواتب شهرية وسكن .. الخ شاملاً للجميع – إلا أَنهم درجات فكل يأْتيه مما سلف ذكره حسب منزلته الاجتماعية .

وإذا جاءَ موسم الحج فإن عبد العزيز يوفر لجميع ضيوفه الدائمين الكبار وسائل المواصلات التي تقلهم إلى مكة ، كما يوفر لهم الرواحل ، وذلك قبل أَن تصل السيارات إلى البلاد ، أَما بعد وصولها – فإنه وفر لهم السيارات بصورة جعل لكل واحد أَو اثنين أَو ثلاثة على أَقصى عدد ممن تتلاءم طبائعهم ، جعل لهم سيارة واحدة صغيرة من نوع (فورد) كما جعل لهم (كميوناً) لحمل

أَمتعتهم ورجالهم القائمين بخدمتهم ، وعندما يصلون مكة يجدون السكن مهيئاً لهم بكامل ما يحتاجون إليه من أَثاث المنزل بكامله وأَوانيه كاملة - وفي الوقت نفسه تجري لهم المؤونة التي كانت تجري لهم في الرياض ، بدون أَن ينقص من كل ما كان يجري عادة ، وإذا أَدوا مناسك الحج يدفع لهم ما يلزم من تكاليف الحج ، كالفدية والخيام التي تهيأ لهم في منى .

وعند عودتهم إلى أَهلهم بصحبة الملك عبد العزيز يمنحون القاعدة المعتادة من الريالات التي يتقاضاها الواحد منهم في هذه المناسبة .

وإذا ذهب عبد العزيز إلى (القنص) وَفَّرَ لهم من الطعام الذي يأْتي إلى كل واحد في خيمته ، أَما السكر والشاي والقهوة والهيل فانها توفر لهم وتنصب لهم الخيام وأَكثر هؤلاء يتناولون الطعام مع عبد العزيز في الرياض ، أَو في مكة أَو في المقناص ، وخاصة طعام العشاء .

الأوسمة التي يمنحها عبدُ العزيز

لم يكن في عهد الملك عبد العزيز ما يسمى بنظام (الأَوسمة) التي اعتادت الدول منحها ، فالوسام من عبد العزيز لمواطنيه هو الحفاوة والعناية اللتين يبديهما علناً لكل من استحق التقدير .

والنوع الآخر من هذه الأَوسمة أَو بالأَحرى (الوسام) الذي هو أَعلى الأَوسمة هو اللباس الخاص لعبد العزيز ، الذي يهبه لأَحد المواطنين ، سواء أَكان هذا الوسام لواحد من أَبناء الأُسر العريقة أَو من رجال حرسه الخاص ، ومن المعلوم أَن لباسه لا يختلف عن لباس مواطنيه ، إلا أَنه يرتدي أَحياناً نوعاً من (الكشمير) الذي يصنع في الهند ويقال له (تِرْمَهْ) وهذا النوع لا يلبسه عبد العزيز إلا

أَيام الشتاء ، والمواطن الذي يمنح بدلة من هذا النوع يكون كمن منح أَعلى الأَوسمة . ويكون لهذه (البدلة) وقع في النفس إذا سبق أَن عبد العزيز ارتدى هذه (البدلة) وغالباً من يمنح (البدلة) يمنح معها العباءة و (غترة التِّرمه) أَو ما يقال لها (كوفية) ويحدثنا : الأُستاذ الزركلي نقلاً عن مراسل جريدة « المقطم » الصادرة في اكتوبر ١٩٣٥ يقول : وكان من عادته أي عبد العزيز أَن يبدل ثيابه مرات في اليوم ، ويندر أَن يعود فيلبس رداءً نزعه ، ونوه بعض الصحافيين (يقصد صاحب المقطم) بمعمل خاص قال : إنه أُنشيء في دمشق لصنع ملابس الملك عبد العزيز وأَنجاله وخاصته وبعض هداياه ، كان يشتغل فيه مئات من العمال وقدر المراسل ما ينفق سنوياً على صنع هذه الملابس بثلاثة عشر الف جنيه ذهباً .

هكذا يمنح عبد العزيز الأوسمة للوافدين الرسميين

ذكرت في الصفحات الأُولى كرم عبد العزيزبالنسبة لضيوفه الوافدين من أَبناء بلاده ، كما ذكرت كرمه لضيوفه الدائمين ، وأَشرت إلى نوع الهبة التي يمنحها هؤلاء وتقوم في نفوسهم مقام الأَوسمة .

ويطيب لي بعد ذلك أَن أَذكر نماذج من الهبات التي يمنحها عبد العزيز للوافدين الرسميين كرؤساء الدول وموفديهم ، وأَمثال هؤلاء .

ولما كنت قد ذكرت أَنه لا يوجد في عهد عبد العزيز نظام للأَوسمة ، ولو وجد نظام فإن عبد العزيز سوف لا يتخذه بديلاً عن أَوسمته التي يمنحها ، فإنه ليطيب لي بأَن أُؤكد بأَن الهبات التي يمنحها عبد العزيز لأَمثال

أُولئك الأَجانب هي أَوسمة معنويه ومادية في آن واحد ، فإِذا كان الوسام عبارة عن قطعة نحاس أَو فضة أَو ذهب فإِن وسام عبد العزيز للضيوف الأَجانب يتكون من سيف مذهب ، وخنجر مذهبة ، وساعة يد أَو ساعة جيب فيها الصورة الشمسية لعبد العزيز ، ولباس عربي كامل من العباءة إِلى الكوفية وحتى العقال المقصب ، مضافاً إِلى ذلك هبة مالية جزلة .

وإِذا كان للوسام درجات عند الدول – التي تعمل بنظام الأَوسمة – فإِن لوسام عبد العزيز للوافدين الأَجانب درجات أَيضاً – وما يقال بأَن الوسام في العالم الدولي يجب قبوله ، ولا يجوز بوجه من الوجوه رده ، فإِن وسام عبد العزيز هذا لا يجوز لمن يُمْنَحُهُ أَن يرده أَو يرفضه ، بل عليه أَن يعتزَّ به كما يعتز صاحب الوسام في الدول التي تقوم بمنح الأَوسمة الراقية.

خاتمة ما أُحطتُ بهِ علماً في هذا الفصل

اذا كنت ختمت فصل الشجاعة بما صدر من عبد العزيز بقصة شجاعة أَدبية قام بها وهو لا زال يافعاً ، فإنني كذلك ، أَود أَن أَختم فصل الكرم بقصة صدرت من عبد العزيز ، وهو لا زال في مستهل فتوته .

وتأْتي روعة سخائه لا من حيث حداثة سنه وحسب ، بل ومن حيث كان الظرف الذي قام به عبد العزيز بسخائه النادر ظرفاً لم يكن مواتياً لا من حيث الزمان ولا من حيث المكان .

يضاف إلى هذا وذاك ان الكرم الذي بذله عبد العزيز في المناسبة الآتي ذكرها لم يكن من نوع الكرم الذي يستوجب على صاحبه القيام به ، بل من نوع الكرم الذي

يقوم به الكريم بدافع أَخلاقه وطباعه ، لأَنه خلق كريم ، ولا يستطيع إلا أَن يكون كريماً ، وسيان أَكان ينفق من سعة ويسر ، أَو أَنه لا يملك إلا ما أَنفقه ، وسيان أَيضاً أَكان سخاؤه على ذويه الأَقربين ، أَم على أَعدائه اللدودين ، فالكريم المطبوع خلقه على الكرم ، يجد لذة وسعادة بسخائه على أَعدائه ، بنفس اللذة التي يجدها بسخائه وبذله على ذويه وأَقربائه ، بل قد يشعر بالأُولى بنشوة النصر عندما يضع منته في عنق عدوه على اعتبار أَن من يدرس جانباً من أَخلاق عبد العزيز ، يتضح له الأَمر جلياً ، بأَنه كما سبق أَن قلت ، وأَقول الآن بأَنه يفضل انتصاره على أَعدائه بأَخلاقه وبسخائه وبكرمه ، لا أَن ينتصر عليهم بسيفه .

الأخلاق لا ترى تنافيًا بين العدوّ والصّديق

من يكن خلقه الوفاء مثلاً فإن وفاءه يجعله يفي مع أَلد أَعدائه ومن يكن خلقه الغدر ، فانه لا يتورع من أَن

يغدر بأَصدق صديق حميم له ، وكذلك من يكن خلقه الكرم ، فانه يبذل كرمه هذا حتى لأَعدائه ، وعندما يكون المرء بخيلاً فانه يبخل لا على أَصدقائه فحسب ، بل ويبخل حتى على ذويه الأَدنين ، وعلى أَهله الأَقربين .

والشيء الذي تجدر الإِشارة إِليه هو أَن هناك نعوت يلتبس على المرء الفرق والتمييز بينها « لأَن الفرق بين واحد وآخر خيط أَرق من سلك العنكبوت ، وأَدق من شعرة الحاجب ، وأَخف من ريشة العصفور [1] » .

فهناك مثلاً من يفتعل الكرم ويتصنع به إما لان مجتمعه وبيئته ومحيطه تفرض عليه اصطناع الكرم ، وإما لأَن كرمه جاء لا بحافز خلقي ولا بدافع إنساني وإنما فعل الكرم لغاية ما ، او لتحقيق هدف من الأَهداف ، ومع ذلك قد ينعت بالكرم . حدثني السيد عمر السقاف أَن شخصاً دعاه إلى حفل عشاء ـ وكان السقاف قد عزله الملك سعود عن منصبه كوكيل لوزارة الخارجية ، والداعي له

---

(١) انظر صفحة ١٧ ـ كتاب « الهدامون والبناؤون » للمؤلف .

لم يبلغه خبر عزل السيد السقاف مع العلم انه من موظفي الخارجية ـ ولكنه مجرد ان علم بعزل السيد ذهب واعتذر من إقامة الدعوة له .

والشاهد هنا هو أن هذا الشخص ينعت في مجتمعه بالكريم الذي لا يبارى في كرمه ، ومن هنا يأتي الالتباس والخلط ، وعدم التمييز بين أمثال هذا المرائي الذي ينعت بالكرم وهو أبعد ما يكون عنه ، وبين من ينعت بالكرم لأنه كريم بطبعه ، ولأن نفسه كريمة ، ولأن أخلاقه كريمة ، كما عبر عن ذلك أبو الطيب المتنبي بقوله :

وللنفس أخلاق تدل على الفتى

أكان سخاء ما أتى أم تساخياً ؟؟

فشتان بين من يفعل الكرم مرائياً أو مزايداً او لغاية يريد تحقيقها ، وبين من يبذل الكرم من أجل الكرم يبذل الكرم مع أعدائه بنفس الروح والخلق الذين يبذلهما مع أصدقائه .

أوّل بادرة عُرِفَ بها كرم الملك عبد العزيز

اذا كان أَول بادرة عرفت بها شجاعة الملك عبد العزيز الأَدبية والمنطقية تلك التي واجه بها الأَمير محمد بن رشيد السالف ذكرها ، فان أَول بادرة عرف بها كرم عبد العزيز هبته لفرسه لرئيس وفد الأَمير محمد بن رشيد ، وقصة هبة عبد العزيز لفرسه جاءت على الوجه الآتي :

غزا الأَمير محمد بن رشيد إحدى القبائل الرافضة الإِذعان له بصفته الزعيم على قبائل نجد بلا منازع ، وتم له النصر في تلك الغزوة ، والعادة المتبعة المأْخوذ بها أَنه اذا انتصر الأَمير بغزوة كغزوته هذه يبعث من عنده رجالاً إلى أَصدقائه – يرأَسهم شخص ما – مهمتهم تدور حول رفع خبر انتصار الأَمير في تلك الغزوة ، ويسمى الوفد المبعوث « البشير » او « البشراء » بالجمع .

وبما أَنه بين الأَمير محمد الرشيد وبين الشيخ مبارك الصباح صداقة وان كانت شكلية ، لذلك فان الأَمير عملاً بالعادة المتبعة بعث إلى مبارك الصباح رجالاً من أَهل بلاده

يرأسهم سعدالحازمي ، والأُصوك المرعيةتلزم الشيخ مباركالصباح ان يمنح البشير الوافد إليه هبة مالية، ومعها ألبسة عربية .

والعادة المتبعة تستلزم من الناحية الأَدبية . ووفقاً للتقاليد التي يسير عليها أي وفد قادم لابن صباح من قبل ابن رشيد ، بأَن يذهب هذا الوفد ليسلم على الامام عبد الرحمن الفيصل بصفته صاحب السيادة القديمة في نجد عملاً بما أَنشده الشاعر حسان بن ثابت عندما قال :

نسوِّد ذا المال القليل اذا بدت

مروءته فينـــا وان كان معدمـــا

وهكذا ذهب وفد الأَمير بن رشيد إلى الامام عبد الرحمن ، وسلم عليه سلام القدوم ، وبلغه سلام أَميره ، كما انه بعدما انتهى من مهمته ، ودَّعَ الشيخ مبارك الصباح الذي أَتحفه بالهبة المعتادة ، بعد ذلك ذهب يودع الامام عبد الرحمن .

واذا كان رئيس الوفد متوقعاً من الشيخ مبارك الهبة التي منحها له ، فإنه في ذهابه بالسلام على الامام سواء سلام القدوم أَو سلام الوداع ، لم يتوقع ، ولم يخطر له ببال أَنه سوف ينـــال من الفتى عبد العزيز هبة أَثمن

معنوياً ومادياً من الهبة التي منحها له مبارك الصباح ، ولهذا نجد رئيس الوفد عندما خرج من عند الامام عبد الرحمن مودعاً فوجيء حينما رأى أحد رجال عبد العزيز يقود فرساً من الخيل الأَصايل ويقدمها إليه قائلاً : هذه هبة لك من عبد العزيز بن عبد الرحمن .

وقد سبق أَن قلت : إن هبة الفرس تعتبر أَرفع وسام يعتز به من توهب إليه ، فما بالك إذا كانت جواد عبد العزيز الأَصيلة التي من سلالة خيل أَهله الأَوائل ؟ فتكون في الوقت ذاته بقدر ما هي عزيزة من الناحية المعنوية والأَدبية ، بقدر ما هي غالية الثمن من الناحية المادية لأَن فرساً أَصيلة كفرس عبد العزيز تساوي مائة ناقة من الإِبل ، ويتجلى كرم عبد العزيز في هبته هذه من الوجوه الآتية :

أَولاً – أَنه وهب جواده تماشياً مع العادات المتبعة وإن كان الموهوبة اليه من رجال أَعدائه .

ثانياً – أَثبت بهبته لجواده ، انه وان كان من الناحية الواقعة لاجئاً سياسياً لا حول له ولا طول ، ولكنه من الناحية التاريخية الماضية والقادمة التي تتوق نفسه اليها يرى انه ابن سعود صاحب السيادة العريقة التي تفرض عليه ان يقوم بعبئها ، ويتحمل مسؤوليتها ، ويدفع ثمنها

من ماله ، على الصورة نفسها التي سعى بنضاله بسيفه لإعادة سيادة آبائه إلى مكانها الطبيعي .

ثالثاً ـ وهب عبد العزيز جواده ، بشيرَ ابن رشيد ، وهو بأَمّس الحاجة اليها ، وقد لا يملك غيرها ، ثم لمن وهبها ؟ وهبها لبشير الأَمير محمد بن رشيد العدو له رقم واحـــد .

وهكذا نجد صحة المثل القائل : الشجاع يقاتل بخلق الشجاع حتى مع أَعدائه ، والجبان يفر حتى عن أَبيه ، والكريم يدفعه خلقه بالواجبات ، بأَن يبذل كرمه لأَعدائه والبخيل يمنعه بخله وشحه ، عن القيام بالواجبات مع أَهله وذويه ، بل ويبخل حتى على أَمه وأَبيه .

ذكر الاستاذ خير الدين الزركلي في كتابه « شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز» ج ٤ ص٩١٩ العبارة الآتي نصها الحرفي :

قال بعض الناس : انك (أَي = يا عبد العزيز) تعطي كثيراً ، فلو اقتصدت ؟ . فقال : إن الله عودني عادة أَن يتفضل علي ، وعودت عباده عادة أَن أُوسع عليهم ، فأَخاف أَن أَقطع عادتي فيقطع الله عادته عني ـ وأَنا لن أَبني قصراً ولن أَشتري بها مزرعة ، كل ما يرد أُنفقه على المسلمين وهذا حق لهم .

الفصل الثالث عشر

بيان الملك عبد العزيز وبلاغته



إذا كان المؤرخون والأُدباء والحكماء ، أَجمعوا على أَن أَهم مؤهلات الزعامة ، ومقومات القيادة ، تتكون من ثلاثة أُمور وهذه الأُمور هي : الشجاعة ، والسخاء ، والبيان.

وإذا كانت قيادة الأُمة ترتفع إلى القمة بقدر ما تكمل هذه الصفات ، فإن عبد العزيز ممن منحه الله حظاً وافراً من جميعها .

أَما الشجاعة والكرم ، فقد سبق أَن ذكرت قسماً مما أَحطت به علماً منهما .

وأَما البيان الذي يتفرع منه الشعر والنثر والخطابة ، فهذه المواهب الثلاثة ، وإن كانت جميعها متوفرة في عبد العزيز بِنِسَبٍ متباينة ، فإن حظه في الخطابة كان أَوفر مما

سواها ، ومن المعلوم أَن توفر هذه المواهب جميعها في شخص ما يكاد يكون مستحيلاً ، لأَنه لا يمكن للمرء أَن يكون خطيباً مفوهاً ، وشاعراً مطبوعاً ، وكاتباً رائع البيان ، وإذا كانت الخطابة تكاد تكون في نظر الجميع وفي واقع الأَمر أَهم مواهب البيان الثلاثة ، خاصة بالنسبة لمن يتولى قيادة الأُمة على اعتبار أَنه بحاجة مستمرة إلى مخاطبة الجماهير الشعبية على مختلف نزعاتهم وميولهم ، وهو مضطر أَن يقنعهم في بيانه الخطابي ، إذا كان الأَمر كذلك ، فان لعبد العزيز الباع الوافر في هذا الميدان .

ضاع الكثير من تاريخنا بين جيلين

سبق أَن قلت ـ في هذا السفر ، وفي غيره من مؤلفاتي ، وأُكرر القول مرة أُخرى وأُخرى ، مؤكـداً أَن الكثير من تاريخ بلادنا ذهب في صدور الرواة الشعبيين ، فكم من حادثة من الحوادث ذات الشأْن ، درست واختفت باختفاء الشيوخ الذين توفاهم الله ، سواء أُولئك الشيوخ الذين عاصروا عبد العزيز منذ بروزه على مسرح الأَحداث ، أَو الذين سبقوه بجيل أَو أَكثر .

فخذ على سبيل المثال : سمعنا الكثير عن عبد العزيز بـأَنه علاوة على ما يتمتع به من موهبة الزعامة ، ومن شيم جمة متنوعة ، يتمتع أَيضاً بموهبة الشعر ، فهو ينظم الشعر في المناسبات الحربية ، وإِن كان يوجز ، إِلا أَن

شعره يحمل معاني حماسية مثيرة ، ولكن هل وجدنا كاتباً من الكتاب الذين كتبوا عنه ، أتحفنا بجميع القصائد التي نظمها عبد العزيز ، وإذا كنا لم نجد ذلك الكاتب ، فالسبب في ذلك سهل جداً ، هو أن الكثير من الذين تصدوا للكتابة عن عبد العزيز لم يكن من بينهم واحد جمع الأمرين الرئيسين وهما :

١ - أن يكون المؤلف من معاصري صاحب الترجمة معاصرة قوية يكون فيها سائراً في ركابه وتحت لوائه في جميع مراحل حياته ، منذ فتحه الرياض إلى أن توفاه الله .

٢ - أن يكون المؤلف ممن يدرك معاني الأدب الشعبي ويحفظ طرفاً منه ، لأنه هو الترجمان الأمين في تسجيل الأحداث ، وإذا اختل أحد هذين الأمرين انعدمت الفائدة من الهدف المنشود .

وهكذا ضاع الكثير من أدب بلادنا بين رجال الجيل الذين عاصروا الأحداث ولم يكتبوها لأنهم أُمِّيُّون ، وبين الجيل الحاضر الذي انتشر فيه العلم ، ولكنه يجهل الأدب

الشعبي الذي لا يستطيع الكاتب عرض أَحداث أَمّة من الامم بدون معرفته .

نزر من شعر عبد العزيز :

وكل ما هنالك أَني وجدت بيتين نقلهما الأُستاذ الزركلي [1] عن الشيخ إبراهيم السليمان العقيل ، وهما من الشعر الذي ينشد فوق صهوات الخيل ويقال له (الحُدَاء) ، وإليك نصَّهما :

يا (هَجْر) يا زَين البنــاتْ
لا تَحْسِبِيْنَا هارِبِيْـــــنْ
إنْ طَوَّل اللهْ بَالْحَيَـــاةْ
جينـــا إليـــك راجعيـــنْ

وهجر هي المعروفة بالإِحساء ، فالبطل الشاعر يؤكد في هذين البيتين أَنه وإن لم تتح له الفرصة باحتلالـه للإِحساء وطرد الأَتراك منها ، فإِنه لا بد أَن يعود إليها كرة بعد كرة إلى أَن يحتلها . وقد وفى (أَبو تركي) بوعده

---

(١) كتاب « شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز » .

هذا حيث تم له احتلال الإحساء في ٥ـ٥ـ١٣٣١ هـ .

ومما هو جدير بالإشارة أَنني وجدت أَيضاً قصيدة شعبية أَوردها الشيخ حمد بن إبراهيم الحقيل في كتابه « عبد العزيز في التاريخ » كما أَورد الأَديب الحقيل بعد هذه القصيدة بيتين ، والبيتان على الوزن الذي يسمى (هُجَيْنِي) . وسوف يرى القاريء بياناً أَوضح فيه أَوزان الشعر الشعبي وأَسماء أَنواعه ، لأَن له أَوزاناً متباينة . وإلى القاريء القصيدة مع شرح الشيخ الحقيل لها :

رَوَّحَنْ مِثْلَ القطا صَوْبَ الثِّمِيْلَهْ
ضُمَّرٍ تِضْفِيْ عليهنَّ الْعَبَاةِ
وَاهَنِيَّ التَّرْفِ مَنْسُوعَ الْجِدِيْلَهْ
مَاضُواهَ اللَّيْلِ عِند (مْغَرَّزاتِ)
وَرَّدُوْهِنْ (هِيْتِ) وَاَخْطَاهَ الدَّلِيلَهْ
والمُوارِدْ غَيْرِ (هِيتِ) مْقَضِّبَاتِ
آهِ من قَلْبٍ عَلَى حَاما الْمليلـه
لاَ تذكَّرتَ العصورَ الماضياتِ

عصرِ من ينطَحْ مقادِيْمَ الدِّبِيْلَـــهْ

لأَبتِي لاَجَـا نهـارَ الْمُوْجِبَـاتِ

دُونِ دِيْنَ الله نتْعِبْ كلَّ ٱصِيْلَـهْ

نبذلَ المَجْهودِ دُون مْخَاشِبَـات

من تعَبَّثْ بَالْفرايِضْ عِزَّتي لـــهْ

تِقْعِدِهْ حِذْبَ السُّيُوفُ الْمرهَفَاتِ

هيت : منهل معروف في نجد ، وهيت مدينة في العراق ، وهناك ضيعة يقال لها الهيت من أعمال حوران من ناحية اللوي .

واستطرد الحقيل وقال : وروى لي بعضهم – كان عبد العزيز في عنفوان شبابه قد عمَّد خادمه شلهوب أَن يبحث عن زوجة له صالحة ، وذلك في بعض أَسفاره لأَنه كان عفيفاً منذ نعومة أَظفاره ، وقد بحث شلهوب ولم يوفق للغرض المطلوب فقال عبد العزيز على سبيل المداعبة :

حسْبي الله على (شلهوب)

يوم سَيَّرْ عــلى رَبْعِـــهْ

خِطْبَتِهْ ما تِسِدَّ النُّـــوْبْ
ظَبْيِنِه اللِّيْ ذَكَر (ضَبْعَــهْ)

ومن أُخرى :

حسبي الله على (شلهوب)
و (القصيبي) و (ابن جبر)

كدت أفلس من الحصول على شيء من شعر عبد العزيز

حرصاً مني على إسناد الحوادث إلى مصادرها ، وهو الأسلوب الذي سرت عليه في تدوين مؤلفاتي كلها بصورة عامة ، وفي تسجيل أحداث هذا الكتاب بمفهوم خاص ، من أجل ذلك أعترف أنني أوشكت فعلاً أن أكون خاوي الوفاض من تدوين أي بيت من شعر عبد العزيز ، لولا أنني في ١٠-١٠-١٣٩٤ (الموافق ٢٥-١٠-١٩٧٤) وفقت بلقاء الصديق الشاعر الواسع الاطلاع بتراثنا الشعبي - أمير الجوف وجازان سابقاً - محمد السديري، مؤلف كتاب« أبطال من الصحراء» الذي التقيت به في مدينة الرياض، ولهذا الأديب الفضل في تزويدي بما لديه من شعر عبد العزيز .[1]

---

(١) ولا عجب، فالشاعر محمد الأحمد السديري، من هواة الأدب الشعبي=

صُورة موجَزة عَن تعريف أوزان الشعْر الشعبيْ

الشعر الشعبي النجدي له عدة أَوزان ، كما أَن له أَسماء متعددة ، وكل وزن له موسيقى خاصة به ، وله الحان متباينة ، فالقصائد التي تنشد في الاستعراضات الحربية (العرضة) لا يصح أَن تنشد بـ (السّامِري [1]) والذي ينشده رعاة الإِبل في الفلاة لا ينشده الفلاحون في الحقول ، وبالعكس ، والذي ينشده راكبو (الهجن) [2] لا ينشده فرسان الخيل ، إذا امتطوا صهوات أَفراسهم .

والجدير بالذكر أَن جميع القصائد التي نظمها عبد العزيز – أَو بالأَحرى القصائد التي نقلتها عن الأَديب محمد السديري – كلها من وزن القصائد التي ينشدها الفرسان فوق صهوات خيولهم ، والقصائد التي من هذا النوع لها موسيقى تبعث النشوة في الأَعماق في نفوس

= بكل ما تشير إليه هذه الكلمة من معنى ، ويكفي أنه أول أديب في بلادنا ألف مسرحية في الأدب الشعبي .

(١) السامري أو السوقية : الشعر الذي ينشده الشعبيون في الأفراح .

(٢) الهجن : الإبل النجائب أو القلائص – مفردها قَلُوص .



أمير جازان سابقاً محمد الأحمد السديري

الذين يتذوقون معانيها ، كما أَنها مثيرة للشعور ، ومهيجة للعواطف ، خاصة إذا لحنها الفرسان وهم ممتطون صهواتِ خيولهم ، وكثيراً ما يكون التلحين بصورة جماعية ، ينشدها بصوت عال صفٌّ عن اليمين ، وصفٌّ عن اليسار ، والشاعر الذي ينشد القصيدة هو الذي يبدأ بتلحين قصيدته ، وكل ما كان للشاعر مكانة اجتماعية مرموقة وذيوع صيت في عالم البطولة والفروسية كان لقصيدته التي ينشدها ويلحنها وقع أَكثر في نفوس الفرسان ، فما بالك إذا كان منشدها وملحنها البطل عبد العزيز نفسه .

وهذا النوع من القصيد يُقال له في تعبيرنا الشعبي (الحدَاء) وهو في أَغلب الأَحيان يتكون من بيتين أَو ثلاثة ولا يتجاوز أَربعة أَبيات إلا في صورة استثنائية ونادرة ، ويقال في الوقت نفسه للقصيد الذي ينشد فوق ظهور الإبل النجائب (هجيني) وهذا النوع محصور عدده أَيضاً على أَربعة أَبيات وما دونها ، وقد روى لي أَكثر من واحد من الرواة الثقات أَنه سمع عبد العزيز ينشد قصيدة هجينية بصورة مرتجلة ، ولكن هؤلاء الرواة منهم من لا يحفظ إلا مصراعاً واحداً من القصيدة ، ومنهم ممن أَسمعني قصيدة



الملك عبد العزيز

كاملة . ولكن عندما أَردت أَن أَنقلها عنه كتابة رفض بل أَصر على رفضه .

نماذج من شعر عبد العزيز :

وإِنه ليسرني أَن أَورد ما استطعت أَن أُحيط به علماً من شعر عبد العزيز وهو :

قُولُوا لـ (آبو متعب) : نِبيّهْ
فوقَ النِّضـا والمكرمَـات [1]
إنْ لكان مـا جانا نِجيْـهْ
وْنِشْبِع طْيُـورٍ حايمـاتْ
ردَّ النَّقـا منِّـي عليْـهَ
قولـه يـأَهْلَ الموجْفـاتْ [2]
مَهْبُولِ يَا قايِلْ : (قضَتْ)
تَـوَّه عَمَـرْ دَخَّانْهَـا [3]

---

(١) أبو متعب : الأمير عبد العزيز بن متعب بن رشيد . المكرمات : الخيل .
(٢) رد النقا : أي أنني أعلن الحرب على (أبو متعب) . الموجفات : الإبل النجائب .
(٣) الذين يتصورون أن الحرب بيني وبين ابن رشيد أي الأمير عبد العزيز

يَلْحِقْ بِهَـا وِرْعٍ صغيـرْ
خيْـلٍ بْقِطْيِ حْصَانْهَـا (1)

يا سابْقِي حِـرّمْ عليـك
شَبْوَ الْحصان اللّي غَرِيْـبْ (2)
بـ (البُرّ) أَنا بَرْهِيْ عَلَيْـكَ
ما دام (أبو متعب) حَرِيْبْ (3)

* * *

عَيُّـوا يطيعـونَ النَّصايِـحْ
وأَنـا عَـن الْبَوْقَ اتـدَرَّأْ (4)

ابن رشيد انتهت بفتح الرياض من يتصور ذلك فهو مهبول أي مجنون ، وإنما من الآن بدأت تستعر جذوتها .

(1) سيقاتل في هذه الحرب الأطفال ــ وستطارد في هذه الحرب الخيل التي لا زالت في صهوات الحصن ، ولم يُحمل بها بعد .
وقد ظلت الحرب بين عبد العزيز وابن رشيد إحدى وعشرين سنة وأربعة شهور وبضعة أيام .

(2) لن يعلوك يا جوادي حصانٌ لم يكن أصيلاً .

(3) وسوف أزيد لك الغذاء ما دمت في حرب مستمرة مع عبد العزيز بن رشيد (أبو متعب) .

(4) رفض العدو قبول السلم ، وأنا أبتعد عن الغدر .

يااللِّيْ تِريــدون المدايـــخْ
ما خَيرٍ إلاً عِقْبِ شــرًّا [1]

* * *

يا نايْـمٍ تحتَ الْعَرِيْشَــهْ
يــا ناسْـفٍ فوقِــهْ ذَرَا [2]
لا تـحسبِــنَّ النــوم عِيْشَــهْ
الْحَرْبِ زَيْزُوْمَـــهْ سَرَي [3]

الغوج ردّيتِهْ بْتَالَ الْخَيْــلْ
يوم ادْبَحَنَّ الْخيل بالفرسانْ [4]

---

(١) لن يأتي الخير إلا بعد الشر.

(٢) أيها النائم لا تظن أن النوم غذاء.

(٣) قم أيها النائم لأن الحرب اشتعلت نارها.

(٤) الغوج: الحصان. ادبحن الخيل بالفرسان: هربت الخيل بفرسانها. يقول الشاعر الفارس: إنه حمى مؤخرة قومه عندما هرب الفرسان من شدة هول المعركة.



الملك عبد العزيز ممتطياً جواده

لِعْيُونِ من رِيْحَهُ زِبَادُ وْهَيْـــلْ
شَامَتْ عن الجاهِلْ تَبِي الشِّيْبَانْ [1]

* * *

وِشْ ٱنْت خابِــرْ يَا نِفِيْــشْ
(المَجْمَعَـــةْ) خليتهـــا
يومِــكِ تتَقَّــي بَالْعَرِيْــشْ
(والشُّــرْفِ) مــا فَكَّيْتَهَـا
منْ فِعْلِنَـــا قَلْبِكْ خَرِيْــشْ
وَالْمَرْجِلَـــةْ خَلِّيْتَهـــــا
كِلٍّ يلومِــكْ يـ (الدَّوِيْشْ)
مـــنْ ذَلَّـــةٍ ذَلَّيْتَهـــــا

أَحبَّ العافيــــهْ وٱشرِيْهـــا
وٱسُوقَ عُمْــرِي والدِّبَـــشْ [2]

---

(١) وقفت هذا الموقف البطولي كل ذلك حماية للفتيات المحصنات . شامت (عزفت) اللواتي عزفت نفوسهن عن الفتيان السفهاء ، لا يرغبن إلا الأبطال وان كانوا شيوخاً مسنين .

(٢) انني ممن يحب السلم وأدفع في سبيله حياتي ، وكل ما أملك من المال والإبل ، ولكن إذا ركب العدو رأسه وأعرض عن قبول السلم لا يسعني إلا أن أنتضي سيفي مقاتلاً .

وِٱلَى عَصَوْا عذَّالْهُـــــــمْ
رَدَّيْـــتِ لِرْقَـــابَ النِّمَشْ

أَعتقد أَن معاني البيتين الأَخيرين تعبر أَصدق تعبير عن اتجاه عبد العزيز وسلوكه في محاربة خصومه ، فهو يفضل دائماً السلم ، ولم ينتضِ السيف حتى يستنفد كل ما لديه من الوسائل في سبيل السلم .

بعض هذه الأَبيات كنت أَحفظها كما يحفظها كثير من رواة الأَدب الشعبي ، ولكن لو سأَلتني أَو سأَلت الرواة عن اسم الشاعر الذي نظم هذه القصيدة أَو تلك لما وجدت من يفيدك ، ولعل السبب الذي جعل الأَديب محمداً السديري يكون أَوفر حظًّا من الرواة الآخرين في حفظ هذه القصائد كونه الآن يعد كتاباً خاصاً في تدوين القصائد التي على هذا الوزن ، أَي التي يقال لها (الحداء) وعن طريق حرصه على تسجيل هذا التراث لئلا يدرس في صدور الرواة استطاع أَن يوفق إلى معرفة هذه القصائد من شعر عبد العزيز فأَتحفنا بها (أَبو زيد) مشكوراً ، وذلك أَنه إذا وجد القصيدة عند أَحد الرواة لا يكتفي بأَن ينقلها

ويحتفظ بها على علاتها ، بل يحرص أَن يعرف اسم الشاعر الذي قالها ويؤكد الأَديب السديري أَن الكثير من قصائد عبد العزيز وجدها عند الراوي الشَّعْبِي رشيد العبيلان ، رئيس شرطة الحرم المكي سابقاً .

وإذا كان الشعر أَو بعض المواهب أَحياناً تكون وراثة فان الإمام تركي الجد الثاني لعبد العزيز شاعر مطبوع ، وقصيدته الرائية مشهورة ومحفوظة في دواوين الشعر القومي وفي صدور الرواة .

أَما ما يتمتع به عبد العزيز من موهبة النثر ، فإن من يقرأْ الرسائل والبرقيات التي يمليها على كتاب ديوانه يبدو له الأَمر واضحاً أَن لديه ملكة قوية ذات قدرة على صوغه المعاني الجيدة العارية عن التنميق والتزويق ، وقد أَشار إلى هذه الناحية في أَكثر من مناسبة . أَجل.. أَو ليس عبد العزيز القائل : أَنا ترعرعت في البادية ، فلا أَعرف آداب الكلام وتزويقه ، ولكن أَعرف الحقيقة عاريةً عن كل تزويق .

أَما موهبة الخطابة فهي بلا شك متوفرة في شخصه بحيث

تعتبر أَكثر وفرة لديه من جميع أَنواع البيانوالبلاغة.

وإذا كنت حريصاً ما استطعت بأَن أُوافي القاريء بما أَسعدني الحظ بالعثور عليه (من شيم عبد العزيز) التي لم يسبق تدوينها . فانني في هذا الفصل مضطرٌ إلى أَن أَورد قسماً من خطب عبد العزيز التي أَوردها المؤلفون ممن نقلوها أَيضاً عن الصحف السعودية في وقتها ، ولما كان مصدر الكثير مما أَوردته في هذا الكتاب ليس إلا ما ظفرت به من الرواة الثقات الشعبيين ؛ فإن مثل هذه الخطب يصعب على أُولئك الرواة حفظها ، بخلاف الكتاب الذين سجلوها ونشروها في الصحف .

ويطيب لي أَن أُورد نبذاً من خطب عبد العزيز وهي خطب تملأُ كتاباً مستقلاً فيما لو أَردت أَن أُوردها كاملة ، وإنما وجدت من الأَنسب أَن أَختار مقتطفات منها ، لأُثبت للقاريء مقدرة صاحب الترجمة الخطابية ، وقوة معانيه ووضوح بيانه ، أُورد ذلك على الصورة التي نقلت فيها هذه المختارات من مصادرها مؤكداً أَن عبد العزيز يلقي هذه الخطب ارتجالاً ، وها هي بنصها الحرفي .

ماجئنا هنا لنطمع أو لننعم بنعمة الملك

هذه الخطبة أَلقاها الملك عبد العزيز في ذي القعدة سنة ١٩٤٥ عندما استقبله أَهل المنطقة الغربية . وهو قادم من الرياض – وبعد تبادل التحية بينه وبينهم قال : [١]

« تكاثرت – ولله الحمد – النعم ، وهي ليست من عمل المخلوق ، وإنما هي من نعم الله جل وعلا . وقد قال في كتابه الكريم : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) .

يجب أَن نتعظ بالماضي ، لأَن الإِنسان الذي لا يتعظ بالماضي لا يكون التوفيق حليفه في المستقبل ، فكم من قبيلة وعشيرة أَرسل الله إليها الرسل كعاد وثمود ولكنها

---

(١) عن كتاب « الملك العادل » ج ٢ – ص ١١٣ لمؤلفه السيد عبد الحميد الخطيب .

لم تتعظ فأَبادها الله ، والرسل هم من أَفضل البشر ، وقد جعلهم الله حجة على بني الإِنسان .

لننظر إِلى الحالة التي وقعت هنا ، كان هنا ملوك نقول لهم سادات العرب ، ونحن لا ننكر شرفهم ولا تعقلهم ، ولكن الله يجعل التوفيق حليف أُناسٍ دون آخرين ، ولم يوزع التوفيق بين الناس بالمساواة ، إِذ لو كان الأَمر كذلك لما حصل التوفيق ، وكان من نعم الله أَن جعل التوفيق حليفنا .

كلنا نحن المجتمعون لنا أَموال وصناعات ، ولا نعطي هذه إِلا لمن يحرص عليها ، وهي من نعيم الدنيا زائلة لا محالة بقيت أَو لم تبق ، بل وكثيرها نقمة على صاحبها .

ولكن هنالك نعمة حقيقية لا تزول ، وخزينة لا ينضب معينها ، هي الاعتقاد بأَن لا إِله إِلا الله ، وهذه النعمة هي مشروعة في كل مكان ولكنها بهذه البقعة المباركة أَلزم ، لأَن الحسنات والسيئات تتضاعف فيها ، ولأَن الله اختارها لتكون مهبطاً للوحي ، وجعل زيارة حرمها من أَركان الإِسلام .

نحن ما جئنا إلى هنا لطمع أو للتنعم بنعمة الملك ، فإننا نبرأ إلى الله من ذلك ، ولا نحن أَفضل من إخواننا بل هم أَفضل منا ، وإنما (اتسع الخرق على الراقع) .

وإنا نحمد الله على جمع الشمل ، وعليَّ جعل الحكم في هذه الديار بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، لا يد طائلة عليكم اليوم ، فكتاب الله فوق الجميع ، وقد أَصبحتم مربوطين بإخوانكم العرب ، ويسر الله علاوة على ذلك بأَن جعل الأَمن والرخاء مخيِّماً في هذه الديار . قال الله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأَنفسهم) فتغيير ما بأَنفسنا يعود علينا بالضرر ، وهذا الضرر هو أَعظم من الجهل والفساد والجرائم .

فالواجب عليكم هو معرفة الله تعالى والتمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، وترك البدع والخرافات والتأدب بآداب الشريعة السمحاء وتوثيق عرى الأُلفة وأَواصر النصيحة والإخلاص .

كانت العرب قبيل ظهور الإسلام ذليلة خاضعة لسلطان الفرس ، ولما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم أَخضع

العربُ الْفُرْسَ لسلطانهم ، وقد تمَّ لهم ذلك لتمسكهم بكلمة التوحيد ، وهي (لا إله إلا الله) .

للإنسان مال وولد وأَقارب وأَعمال ، كل ذلك يذهب ماخلا الأَعمال ، والأَعمال تحتاج إلى النية والإخلاص ، واتباع كتاب الله وسنة رسوله ، فمن أَحسن نيته مع الله فقد كفاه الشرَّ ، والمسلم لا يرقى إلا بالدين ، والله لا يُعبد بالبهرجة ، وإنما يعبد بالحقائق ، فإذا أَنا حملتكم على ما يُرضي الله فأَبشروا بالخير ، والعكس بالعكس ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » .

إنّ التباعد بين الراعي والرعيّة يدع مجالاً للنفعيّين

بمناسبة انتهاء دورة مجلس الشورى ـ أَمر الملك عبد العزيز بإِجراء انتخاب جديد ، ودعا أُولي الحَلِّ والعقد من المواطنين ، وذلك في مستهل سنة ١٣٤٦ هـ ـ ثم ألقى الخطاب الآتي (١) :

أُريد أَن أَشرح لإِخواننا أَهل مكـة أَسباب هـذا الاجتماع ، نحن نحبُّ من صميم القلب أَن يكـون اختلاطهم معنا والتصاقهم بنا أَكثر مما هو واقع الآن ، لأَن هذا إِشعار يمكن القلوب ويطمس ما فات ، كما أَنه يقضي على الدساسين الذين يصطادون في الماء العكر .

إِن التباعد بين الراعي والرعية يدع مجالاً للنفعيين ،

---

(١) المصدر السابق .

فيجعلون الحقَّ باطلاً ، ويصورون الباطل حقاً ، إذا لم تكن هنالك صلة بين ولاة الأُمور والأَهلين ، وجاء أَيُّ شخص من أَرباب المقاصد السيئة لولاة الامور وقال لهم : إن المسأَلة الفلانية كيت وكيت فمن أَين يعلم ولاة الأُمور أَن الأَمر على الضد من ذلك ، وان هذا النفعيَّ قد قلب الحقائق ؟ !

أَما إذا اختلط الشعب مع ولاة الأُمور ، فإن النفعيين الدساسين يخشون من مخاطبة أَمرائهم بعكس الواقع ، ويخافون من أَن ينكشف الغِطاء فتعرف نياتهم السيئة .

إن بعض الشياطين هم من خدمة ولاة الامور ، الذين يخافون على مراتبهم وكراسيهم ، وجل ما يرمون إليه هو قضاء مآربهم بأَية واسطة كانت ، فاختلاط الرعية بالحكام يقضي على أُولئك من جهة ، ويسهل الأُمور ويحل المشكلات من جهة ثانية .

هذا ما قصدنا إليه ، وهذا ما نريده ، فليس بيننا وبين أَحد حجاب ، فباب قصرنا مفتوح لكل إنسان ، ونحن ولله الحمد ما زلنا نوصي مأْمورينا كلهم بتمشية

أمور الناس وتسهيل مصالح الرعية .

لا ريب في أنه كلما توحش الإنسان وابتعد عن الناس كان ذلك سبباً لراحة نفسه ، ولكن دينه وشرفه ينهيان عن ذلك ، فالدين لا يأمر باعتزال الناس ، والشرف لا يامر بالابتعاد عنهم ، لأن الاختلاط والتقارب والتعارف أطيب للنفوس وللبلد ، ولقضاء الحاجات ، ولإصلاح الأمور ، وثقوا بأننا ما فتئنا نجدُّ في إصلاح الأحوال ، وسنصلح هذا العام أشياء كثيرة . (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله) وابن آدم إذا عمل الخير يكون قد أدَّى الواجب فبرئت ذمته .

ومما لا جدال فيه أن صلاح أحوال الولاة صلاحٌ لأحوال الرعية ، فالواجب يقضي علينا أن نلتمس الخير الذي نرى فيه صلاحاً للمسلمين من جهة ، ويقربنا من الله من جهة أُخرى .

قد بدلنا بعض مأموري الحكومة ، ولم يكن ذلك ناشئاً عن قصور ، أو أي شيء آخر ، فنحن لم نر فيهم ما يوجب أقلَّ ريبة ، وإنما تبدُّلُ الأُمور أحسن .

فأنا أَشكرهم على الأَعمال التي قاموا بها وأَنجزوها ، وقد أَلفنا لجنة منكم للنظر في أُمور الدوائر ودرس تشكيلاتها ، وتركنا المسؤولية على عاتق هذه اللجنة ، لأَن (أَهل مكة أَدرى بشعابها) ، وإنا لنرجو أَن يقوموا بالواجب أَحسن قيام .

ثم نظرنا في أَمر (مجلس الشورى) الذي عليه مدار النظر في شؤون الناس ، فأَحببنا أَن نترك أَمر انتخاب أَعضائه للأَهلين ، وكان بودنا أَن يشترك الأَهلون كلهم في انتخابهم ، ولكن ضيق الوقت وكثرة أَشغال الأَفراد هذه الأَيام يحولان دون أُمنيتنا ، فانتدبنا من كل (حارة) فريقاً من أَخيارها ، ولا أَقول : إن المدعوين هم وحدهم أَخيار ، فالمسلمون هم كالعضو الواحد .

دعوناكم لانتخاب أَعضاء لمجلس الشورى الجديد ، فالواجب يقضي أَن لا ينقاد الإنسان في مثل هذه الحالة إلى قلبه ، لأَن القلب يكون دائماً مَيَّالاً . يجب أَن تنتخبوا الأَكْفاء من أَهل الخبرة ، بحيث إذا قام هذا المجلس على أَساس قويم تجني البلاد من ورائه الفوائد الجزيلة ،

يجب أَن تنتخبوا من تعتقدون فيهم الإِخلاص في العمل والمقدرة في الدفاع عن حقوق الأَهلين .

فإِن أَحسنتم اختيارهم وانتقاءهم؛ أَحسن هؤلاء الدفاع عن حقوقكم، فأَحسنتم بذلك للبلاد والعباد . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

إننا لا تهمنا الأسماء والألقاب

ذهب الملك عبد العزيز إلى المدينة المنورة وهناك استقبله المواطنون . وكان ذلك في يوم الأربعاء ١٢ ذي القعدة ١٣٤٦ هـ (الموافق ٢ مايو ١٩٢٨) وقد تكلم أمام أولئك الجماهير بما هو آت [١] :

إننا نبذل النفس والنفيس في سبيل راحة هذه البلاد وحمايتها من عبث العابثين ، ولنا الفخر العظيم في ذلك ، وإن خطتي التي سرت ولا أزال أسير عليها هي إقامة الشريعة السمحاء ، كما أنني أرى من واجبي ترقية جزيرة العرب والأخذ بالأسباب التي تجعلها في مصاف البلاد

---

(١) المصدر السابق .

الناهضة مع الاعتصام بحبل الدين الإسلامي الحنيف .

إنني أَعتبر كبيركم بمنزلة الوالد ، وأَوسطكم أَخاً ، وصغيركم إبناً ، فكونوا يداً واحدة ، وأَلِّفوا بين قلوبكم لتساعدوني على القيام بالمهمة الملقاة على عاتقنا .

إنني خادم في هذه البلاد العربية لنصرة هذا الدين ، وخادم للرعية ، إن الملك لله وحده ، وما نحن إلا خدمٌ لرعايانا ، فإذا لم ننصف ضعيفهم ، ونأْخذ على يد ظالمهم ، وننصح لهم ، ونسهر على مصالحهم نكون قد خُنَّا الأَمانة المودعة إلينا .

« إننا لا تهمنا الأَسماء ولا الأَلقاب [1] » وإنما يهمنا القيام بحق واجب كلمة التوحيد ، والنظر في الأُمور التي توفر الراحة والاطمئنان لرعايانا .

إن من حقكم علينا النصح لكم في السر والعلانية ، ومن حقنا عليكم النصح لنا ، فإذا رأَيتم خطأً من موظف

---

(١) قلت : في أكثر من مكان في هذا السفر ، كما قلت في أكثر من مكان في مؤلفاتي بأن الألقاب دخيلة علينا ، وهذا أبو تركي يؤكد ذلك ويؤسفني أننا نجد الذين أدخلوها علينا نبذوها ، وظللنا نحن نتمسك بفضلاتهم .

أَو تجاوزاً من إنسان فعليكم برفع ذلك إلينا للنظر فيه ، فإذا لم تفعلوا ذلك فقد خنتم أَنفسكم ووطنكم وولايتكم ، وأَسال الله أَن ينصر دينه ، ويعلي كلمته إنــه على ما يشاءُ قدير » .

تعلمونَ أنّا ما دَخلنا الحِجاز إلاّ بعدَ أن حورِبنَا

في مناسبة سفر عبد العزيز من مكة إلى مصيفه (الطائف) حضر عدد وافر من أَعيان أَهل مكة لوداعه ، وقد وجه إليهم كلاماً جوهرياً له معان ذات مغزى وكان ذلك في ١٦ محرم عام ١٣٥١ هـ وإليك خلاصة كلامه :

« الشريعة كلها خير ، وإن الله سبحانه وتعالى أَنزل الكتب ، وأَرسل الرسل ووضح فيها ما أَمرهم به وما نهاهم عنه .

والأَمر لا يتم إلا بمسأَلتين . الأُولى : التوفيق ، والتوفيق لا يكون إلا بالله ... (وما توفيقي إلا بالله) والإنسان بلا توفيق لا يستطيع أَن يعمل شيئاً . والثانية : الاجتماع والائتلاف ، وهذان هما أَساس كل شيء ،

(واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) .

وقد شرع الله مشاريع في الدين مثل اجتماع المسلمين في الصلوات الخمس ، والجمعة والحج ، والنظر في مصالحهم باتباع ما أَمر به واجتناب ما نهى عنه ، ومصالح العباد لا تكون إلا بالاجتماع ، فإذا تـأَلفت القلوب وتوحدت الكلمة نالوا السعادة في الدين والدنيا والآخرة ، وإذا اختلفت القلوب وتفرقت الكلمة أَضاعوا الدين والدنيا والآخرة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وإن من طبيعتي ، ومن الأَشياء التي أُحبها وأَحرص عليها وأَدعوكم إلى الأَخذ بها ما سأُبديه لكم ، والإنسان عليه حقوق وواجبات والأَمر بيد الله ، ما شاء كان وما لم يشأْ لم يكن ، وكل شيء بقضاء وقدر ، وليس للإنسان في الأَشياء حولٌ ولا قدرة ، وما عليه إلا أَن يعمل ، ولا ينظر إلى أَقوال الناس ، لأَنَّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أَفضل الخلق ، وصفوة الرسل ، ونبي الله وحبيبه ، وخاتم أَنبيائه ، وأَفضل أَهل السموات والأَرض ، قد عابوا عليه ، ولكن كل ذلك لم ينفعهم ولم يفدهم

شيئاً ، فقد نصره الله وآواه وأعزه وخذل أعداءه .

« تعلمون أننا ما دخلنا الحجاز إلا بعد أن حُوربنا في وطننا »[1] ، وإنا والله لا نقبل على أمر إلا إذا بلينا فيه ، وإذا بلينا في شيء دافعنا عن ديننا وأنفسنا وقوميتنا ووطننا فيأخذ الله بيدنا ، وهذا من فضل الله علينا ، وإذا ما بلغنا إلى جهة من الجهات أمرنا أهلها باتباع كتاب الله وسنة رسوله ، وما نحن إلا مجاهدون في سبيل الله .

وإن أول شيء نحافظ عليه ، ونعض عليه بالنواجذ ونحارب دونه ولو أجمع أهل الأرض : هو ديننا ووطننا ، وهذان الأمران لا نقبل فيهما قولاً ولا صرفاً ولا عدلاً ، ولا هوادة ، إنا نبذل النفس والنفيس دونهما ، لأنهما عظيمان عندنا ولا يمكن أن نتخلى عنهما قيد شعرة ، ومن لامنا في ذلك فليضرب برأسه الجدار .

وإني أوصيكم بتقوي الله والنظر في حالة وطنكم وبلادكم ، ورفع أحوال الناس ومظالمهم إليّ ، لأن الملقى

(١) هذا ما يؤكد صحة ما ذكرته بأن عبد العزيز ما يريد فتح الحجاز لولا أن حكامه ذهبوا يتحرشون به .

على عاتقي من الأُمور عظيم ، وبعضكم به أَبخص (أَي أَعرف) وإني مع كل ذلك أَسأَل عن أَحوال الناس وأَتفقد مصالحهم ، بقدر الجهد والاستطاعة ، وإذا ما اطلعت على شيء عينت له هيئة مخصوصة منكم للنظر في ذلك ثم أُشرف على أَعمالها بنفسي ، وأَتراجع وإياهم في خصوصها حتى يبت في أَمرها بما جاء في كتاب الله .

ووالله يا أَهل هذه البلد الطاهر المقدس أَرى الكبير فيكم كأَبي ، والوسط كأَخي ، والصغير كإبني ، وإن الذي أَقوله هو الذي أَعتقده ، والله على ما أَقول شهيد » .

نحنُ لسْنا أصحابَ مَذهَبٍ جَديْد أوعقيْدةٍ جَديْدة

أَراد السلاطين الأَتراك أَن يشوهــوا سمعة الدعــوة الإِصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وآزره بنشرها آل سعود الأَوائل ،وذلك في أَواخر القرن الثاني عشر الهجري ، ولا لوم على الأَتراك العثمانيين فيما إذا شوهوا تلك الدعوة التي انبثقت من صميم كتاب الله وسنة نبيه ، نعم لا لوم عليهم لأَنهم يخشون أَن تعود القيادة العربية الإِسلامية إلى جزيرة العرب كما بدأَت . وإنما اللوم كل اللوم على أُولئك العرب الذين روجوا هذه الدعاية الموبوءة ، ولذلك نجد الملك عبد العزيز أَراد في خطابه الذي أَلقاه في مكة يوم الأَربعاء ٣٠ ذي القعدة سنة

---

(١) المصدر السابق .

١٣٥١ هـ أن يفند تلك الدعاية المختلقة عندما قال :

« يسموننا بـ (الوهابيين) ويسمون مذهبنا بالوهابي باعتباره أنه مذهب خاص ، وهذا خطأٌ فاحش نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض ، نحن لسنا أصحاب مذهب جديد ، وعقيدة جديدة ، ولم يأْت محمد بن عبد الوهاب بالجديد ، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح ، التي جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ، وما كان عليه السلف الصالح ، ونحن نحترم الأئمة الأربعة ، ولا فرق عندنا بين الأئمة مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة ، وكلهم محترمون في نظرنا .

هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها ، وهذه هي عقيدتنا ، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله عز وجل خالصة من كل شيء ، منزهة عن كل بدعة ، فعقيدة التوحيد هذه هي التي ندعو إليها ، وهي التي تنجينا مما نحن فيه من إحن وأوصاب .

لقد كنت لا شيء وأصبحت اليوم وقد استوليت على بلاد شاسعة واسعة ، يحدها شمالاً العراق وبر الشام ،

وجنوباً اليمن ، وغرباً البحر الأَحمر ، وشرقاً خليج فارس .

لقد فتحت هذه البلاد ولم يكن عندي من العتاد سوى قوة الإيمان ، قوة التوحيد ، ومن التجديد غير التمسك بكتاب الله وسنة رسوله ، فنصرني الله نصراً عزيزاً ، لقد خرجت وأَنا لا أَملك شيئاً من حطام الدنيا ومن القوة البشرية ، وقد تـأَلب الأَعداء عليَّ ، ولكن بفضل الله وقوته تغلبت على أَعدائي ، وفتحت كل هذه البلاد .

إن المسلمين متفرقون اليوم طرائق ، بسبب إهمالهم العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ومن خطل الرأْي الذهاب إلى أَنَّ الأَجانب هم سبب هذه التفرقة ، وهذه المصائب ، إن سبب بلايانا من أَنفسنا لا من جانب الأَجانب ، والله إني لا أَخشى الأَجانب بقدر ما أَخشى المسلمين ، إنني أَخاف من المسلمين أَكثر مما أَخاف من الأَجانب ، المسلمون هم بلاءُ أَنفسهم ، يـأْتي أَجنبي إلى بلد ما فيه المئات بل الأُلوف بل الملايين من المسلمين ، فيعمل عمله بمفرده ، فهل يعقل أَن فرداً في مقدوره أَن يؤثر على ملايين من الناس إذا لم يكن له من هذه الملايين أَعوان يساعدونه

ويمدونه بآرائهم وأَعمالهم ؟! كلا ثم كلا ، فهـؤلاء الأَعوان هم سبب بليتنا ومصيبتنا ، أَجل إن هؤلاء الأَعوان هم أَعداء الله وأَعداء أَنفسهم ، إذاً فاللوم والعتاب واقع على المسلمين وحدهم ، لا على الأَجانب ، إن البناء المتين الصلب لا يؤثر فيه شيء مهما حاول الهدامون هدمه ، إذا لم تحدث فيه ثغرة تدخل فيها المعاول ، كذلك المسلمون لو كانوا متحدين متفقين لما كان في مقدور أَحدٍ خرق صفوفهم وتفريق كلمتهم .

في بلاد العرب والإسلام أَناس يساعدون الأَجنبي على الإضرار بجزيرة العرب والإسلام ، وضربها في الصميم وإلحاق الأَذَى بنا ، ولكن لن يتم لهم ذلك إن شاء الله وفينا عرق ينبض ، أَجل إن المسلمين هم مصدر البلاء الذي أَصابهم ، وأَكثر ذلك يأْتي عن طريق بعض الملوك والأُمراء وعلماء السوء ، وأُولئك هم الذين يسعون إلى مصالحهم الخاصة ، ومنافعهم الذاتية فيدوسون في سبيلها كلَّ شيء يعترضهم في الطريق ، إن هؤلاء الذين يكتنزون الذهب والفضة وينامون على الوثير من الفراش لا يفكرون

إلا في أَنفسهم ولم يحسبوا لله حساباً .

إن المسلمين بخيرٍ إذا اتفقوا وعملوا بكتاب الله وسنة رسوله ، ليتقدم المسلمون للعمل بذلك فيتفقوا فيما بينهم على العمل بكتاب الله وسنة نبيه ، وبما جاء فيهما والدعوة إلى التوحيد الخالص ، فإنني حينذاك أَتقدم إليهم فأَصير إليهم جنباً إلى جنب ، في كل عمل يعملونه ، وفي كل حركة يقومون بها .

والله إنني لا أُحب الملك ولا أُبَّهته ولا أَبغي إلا مرضاة الله والدعوة إلى توحيده ، ليعاهد المسلمون فيما بينهم على التمسك بذلك وليتفقوا فانني أَسير وقتئذ معهم لا بصفة ملك أَو زعيم أَو أَمير ، بل بصفة خادم ، وأَسير معهم وأَنا وأُسرتي وجيشي وبني قومي ، والله على ما أَقول شهيد ، وهو خير الشاهدين » .

إنّ أحبّ الأمور إلينا أن يجمع الله كلمة المسلمين

في مساء يوم الإثنين من اليوم السابع من ذي الحجة [1] تكلم الملك أمام الأعيان من الوفود الحجاج ووجهاء البلاد كلاماً بدأه بحمد الله وشكره ثم قال ما خلاصته :

« أنا في غنىً عن التنويه بعظمة هذا اليوم ، فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل اجتماع المسلمين فيه لأداء فريضة الحج وهو ركن من أركان الإسلام من جهة ، وللتعارف والتآلف من جهة ثانية ، وقد هدانا الله جل شأنه إلى الصراط السّويّ في أمور الدنيا والآخرة ، فقال في كتابه العزيز (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) فالاعتصام بحبل الله جميعاً واجب على كل فرد من أفراد المسلمين ، لأن العز كله والخير كله بذلك ، فإذا نحن حُدْنَا عن هذا السبيل خَسِرْنا الدنيا والآخرة ، نحن سرنا في الجادة ولم

(١) لم يذكر المصدر نفسه وان كان أوضح ذلك في آخره .

يكن عندنا مال ولا رجال ، نحن أَهل بادية ، وإِن ما ترونه اليوم لم يكن إلا من بركة الله تعالى .

نحن نعاهد الله سبحانه وتعالى على السير في هذا الطريق مهما وجدنا فيه من العقبات ، نعاهد الله ونقسم أَمامكم على ذلك ، وإننا لن نتنكب عن الطريق السَّوِيّ مهما تحملنا من المتاعب والمشاق .

إن الذي يجمع شملنا ويوحد بيننا هو أَمر صغير في ذاته ولكنه كبير وعظيم ، هو الالتفاف حول كلمة التوحيد والعمل بما أَمر الله به ورسوله .

إن أَحبَّ الأُمور إلينا أَن يجمع الله كلمة المسلمين فيؤلف بين قلوبهم ، ثم بعد ذلك يجمع كلمة العرب ، فيوحد غاياتهم ومقاصدهم ، ليسيروا في طريق واحد يوردهم موارد الخير ، وإذا نحن أَردنا ذلك فلسنا نروم إتمامه في ساعة واحدة ، لأَن ذلك يكون مطلباً مستحيلاً ، كما أَننا لا نرمي من وراء ذلك إلى التحكم في الناس ، وإنما غايتنا أَنه إذا لم يكن لنا من وراء هذا التضامن خير فلا يكون لنا من ورائه شر على الأَقل .

كلكم يذكر حوادث العام الماضي ، وهذا السيد عبدالله ابن الوزير وهذا السيد حسن الإدريسي الجالسان الآن بجانبي ما كنا نظن أَن يكون بيننا وبينهم عداوة وبغضاء ، ولكنَّ الأَشرار فرقوا بيننا ، والله عز وجل قد جعل بعد هذا التباغض إلفة بيننــا (وعسى أَن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم) .

لقد خشي المسلمون عاقبة هذا التنابذ الذي حصل بيننا ، ولكنه أَفضى إلى خير جَمٍّ طرب له المسلمون .

جاء ابن الوزير إلى هنا ، وحدثني في هذا المكان الجالس فيه الآن بشأْن الخلاف فقلت له : ماذا تبغون ؟ .. فإذا أَنتم قتلتموني من يخسر ؟ أَنا وحدي ، وإذا أَنا قتلتكم من يخسر ؟ أَنتم وحدكم ، لا !! لا !! ، الخسارة علينا وعليكم على حَدٍّ سواء ، ولما عرفت أَننا وإياهم متفقون على أَن نتائج هذه الفرقة الخسران ، وأَن الخسران واقع علينا جميعاً أَمرت بالقرطاس والقلم وجلست أَنا وإياه وحدنا ، ووضعنا مواد المعاهدة التي اطلعتم عليها ، والتي قابلها المسلمون بالارتياح فإلى مثل هذا التضامن أَدعو

المسلمين ، أطالبهم بالعمل به .

أكثر الناس يقولون : إن الغربيين هم الذين ضربونا في الصميم ففرقوا بيننا ، هذا كلام ، ماذا عمل الغربيون ؟ الحق أن الضرر والخسران لم يأْت إلا من أنفسنا فنحن المسؤولون عن ذلك ، نحن نسعى للتفرقة ، ونحن نعمل للبغضاء ، أذكر لكم مثلاً بسيطاً يعرفه كل واحد منكم ، إن صحفنا وجرائدنا إذا تكلمت عن مسلم أو عربي تكلمت عنه بشدة وقسوة وَبِلاذِعِ القول ، ولكنها إذا تكلمت عن غربي تكلمت بأدب واحترام فلماذا ؟ ...

يا إخوان !! يجب علينا أن نحترم أنفسنا ونتكاتف ونتعاضد ، فإذا نحن سرنا على هذا الطريق وفقنا الله سبحانه وتعالى واحترمَنَا العدُوُّ قبل الصديق ، يجب أن نداوي أنفسنا بطاعة الله سبحانه وتعالى ، فطاعته مصدر كل عِزٍّ وخير لنا .

هذا ما عَنَّ لي ذكره ، والله أسأل أن يوفقنا وإياكم لصالح الأعمال » .

واعلموا أنَّ العلم بلا عَمَل كشجَرة بلا ثمَر

من خطبة له في حفلة خريجي (المعهد العلمي السعودي) جاء فيها قوله :

«أَيها الأَبناء . إنكم أَول ثمرة من غرسنا الذي غرسناه في المعهد ، فاعرفوا قدر ما تلقيتموه فيه من العلم ، واعلموا أَن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر . وأَن العلم كما يكون عوناً لصاحبه . يكون عوناً عليه ، وليس من يعلم كمن لا يعلم . قليل من العلم يبارك فيه خير من كثير لا يبارك فيه ، والبركة في العمل .

بُعث صفوة الخلق ، اللهم صلي وسلم عليه ، من العرب ، ونزل عليه أَمين السماء في بلاد العرب ، بقرآن عربي غير ذي عوج ، فلنعرف قدر ذلك ولنحتفظ بديننا

ولغتنا وبلادنا ولنحبها حبًّا جماً .

لا مانع من أَن نـأْخذ من غيرنا المفيد ، فالحكمة ضالة المؤمن يلتقطها حيث وجدها ، وقد كان للعرب في جاهليتها خصال حميدة ، وكان لغيرهم أَيضاً ، وجاء الإسلام فأَقرها ، قال صفوة الخلق اللهم صلي وسلم عليه : « بعثت لأُتَمِّمَ مكارم الأَخلاق » ، وقال : « ولدت في زمن الملك العادل » .

حافظوا على تعاليم دينكم . ولا شك أَنكم قرأْتم ولله الحمد والمنة شيئاً كثيراً منها ، وأَقول لكم : والله ثم والله ما حرمت الشريعة شيئاً فيه نفعنا ، ولا أَحلت شيئاً فيه من ضررنا وأَن النظرة السليمة لتدرك ذلك .

واعلموا أَن الناس لو كانوا جميعاً على قلب أَكفر رجل ، لما ضرُّوا الله شيئاً ، ولو كانوا على قلب أَتقى رجل لما نفعوا الله شيئاً (إن الله لغني عن العالمين) .

انظروا إلى نعم الله . هل فاضل في أَحكامه بين غني وفقير ، فأَوجب على الثاني الصلاة مثلاً ، وترك الأَول ؟ وهل أَباح للأَول ما حرمه على الثاني من المسكرات مثلاً ،

لا ، لا تفضيل إلا بالتقوى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم):
« لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، كلكم لآدم وآدم من تراب » .

إن الله سوَّى بينكم وأكبر من شأنكم ، فأَمر أَلا تعبدوا إلا واحداً ، ولا تخافوا إلا واحداً ، ولا تسأَلوا إلا واحداً . ومعلوم أَن أَرباب النفوس العالية إذا كان لهم عند ملك من الملوك حاجة ، تحب أَن تدلي بحاجتها إلى الملك بلا واسطة ،والله يأْمر عباده أَن يسأَلوه بلا واسطة ، ولا شك في أَن عدم الوساطة تكريم للإنسان .

أَبنائي من كان منكم من بيت رفيع فليحرص على أَلاَّ يكون سبباً في خفضه ، ومن كان من آخر فَلْيَبْنِ لنفسه مجداً فقد منَّ الله عليكم وأَرشدكم إلى طريق الخير ، فاعلموا أَنا لعملكم منتظرون ، والله ولي التوفيق » .

إني لم أجمعكم خوفاً من أحد

حينما بدأت بوادر الفتنة بين الإخوان بقيادة الفيصل الدويش ، وسلطان بن حميد وغيرهما ، وبين الملك عبد العزيز ، حاول عبد العزيز أن يتلافى الأمر قبل أن تتسع هوة الشقاق بينه وبين مواطنيه ، ومن ضمن ما فعله في محاولته هذه لدفع الشر ووقوع الفتنة أن وجه دعوة إلى حضور مؤتمر يشترك فيه زعماء البلاد من العلماء والوجهاء من الحضر والبدو ، وقدر الذين حضروا ذلك المؤتمر بثمانمائة من ذوي الحل والعقد ، وقد افتتح هذا المؤتمر في جمادى الأولى ١٣٤٧(١٩٢٨م) فارتجل عبد العزيز هذه الخطبة التاريخية التي طاب لي أن أختم هذا الفصل بها : عندما قال :

---

(١) المصدر السابق – زركلي – .

« أيها الإخوان ، تعلمون عظيم المنة التي من الله بها علينا بدين الإسلام إذْ جمعنا به بعد الفرقة ، وأعزنا بعد الذلة ، واذكروا قوله تعالى (وقل اعلموا فسيري الله عملكم) ، الآية .. إن شفقتي عليكم وعلى ما من الله بـــه علينا ، ومن تحذيره سبحانه وتعــالى بقوله (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) . كل هذا دعاني لأن أجمعكم في هذا المكان ، لتذكروا أولاً : ما أنعم الله به علينا ، فنرى ما يجب عمله لشكران هذه النعمة وثانياً : لأمرٍ بدا في نفسي ، وهو أنني خشيت أن يكون في صدر أحـــد شيء يشكوه مني أو من أحد نوابي وأمرائي بإساءة كانت عليه ، أو بمنعه حقًّا من حقوقه ، فأردت أن أعرف ذلك منكم ، لأخرج أمام الله بمعذرة من ذلك ، وأكون قد أدَّيْتُ ما عليَّ من واجب ، وثالثاً : لأسألكم عما في خواطركم وما لديكم من الآراء مما ترونه يصلحكم في أمر دينكم ودنياكم .

أيها الإخوان ! إن القوة لله جميعاً ، وكلكم يذكر أنني يوم خرجت عليكم كنتم فرقاً وأحزاباً ، يقتل بعضكم بعضاً ، وينهب بعضكم بعضاً ، وجميع من ولاه الله أمركم من عربي أو أجنبي ، كانوا يدسُّون لكم

الدسائس ، لتفريق كلمتكم وإضعاف قوتكم ، لذهاب أَمركم ، ويوم خرجتُ كنت محل الضعف ، وليس لي من عضد وساعد إلا الله وحده ، ولا أَملك من القوة إلا أَربعين رجلاً تعلمونهم ، ولا أُريد أَن أَقُصَّ عليكم ما منَّ الله به علي من فتوح ، ولا بما فعلت من أَعمال معكم ، ما كانت إلا لخيركم ، لأَن تاريخ ذلك منقوش في صدر كل واحد منكم ، وأَنتم تعلمونه جميعاً وكما قيل : (السيرة تبين السريرة) .

انني لم أَجمعكم اليوم في هذا المكان خوفاً أَو رهباً من أَحد منكم ، فقد كنت وحدي من قبل ، وليس لي مساعد إلا الله ، فما باليت الجموع ، والله هو الذي نصرني ، جمعتكم هنا في هذا المكان لأَمر واحد ، ولا أُجيز لأَحد أَن يتكلم هنا في غيره ، ذلك هو النظر في أَمر شخصي وحدي ، فيجب أَن تجتنبوا في هذا المجلس الشذوذ عن هذا الموضوع ، أَما الأَشياء الخارجة عن هذا ، فسأُعين لكم اجتماعات خاصة وعامة للنظر فيها .

أُريد منكم أَن تنظروا ـ أَولاً ـ فيمن يتولىأَمركم

غيري ، وهؤلاء أَفراد الاسرة أَمامكم ، فاختاروا واحداً منهم تتفقون عليه ، وأَنا أُقِرُّهُ وأُساعده ، وكونوا على يقين بأَنني لم أَقل هذا استخباراً ، لأَنني ولله الحمد لا أَرى لأَحد منكم منة عليَّ في مقامي هذا ، بل المنة لله وحده ، ولست في شيء من مواقف الضعف حتى أَترك الأَمر لمنازع بالقوة .

ولا يحملني على هذا القول إلا أَمران ، الأَول : محبة راحتي في ديني ودنياي ، والثاني : إِني أَعوذ بالله من أَن أَتولى قوماً وهم لي كارهون ، فإِن أَجبتموني إلى هذا فذلك مطلبي ، ولكم أَمان الله ، فمن يتكلم في هذا فهو آمن ، ولا أُعاتبه لا آجلاً ولا عاجلاً ، فإِن قبلتم طلبي هذا فالحمد لله ، وإن كنتم لا تزالون مصرين على ما كلفتموني به على أَثر دعوتي لكم ، فإِني أَبرأُ إِلى الله أَن أُخالف أَمر الشرع في اتباع ما تجمعون عليه مما يؤيد شرع الله .

إِذا لم يحصل ذلك منكم ، فابحثوا في شخصي وأَعمالي ، فمن كان له عليَّ - أَنا عبد العزيز - شكوى أَو حق أَو انتقاد في أَمر دين أَو دنيا فليبينه ، ولكل من

أَراد الكلام عهد الله وميثاقه وأَمانه ، أَنه حُرٌّ في كل نقد يبينه ولا مسؤولية عليه ، وإِني لا أُبيح لإِنسان من العلماء ولا من غيرهم أَن يكتم شيئاً من النقد في صدره ، وكل من كان عنده شيء فليبينه ، ولكم عليَّ أَن كل نقد تذكرونه أَسمعه ، فما كان واقعاً أَقررت به ، وبينت سببه ، وأَحلت حكمه للشرع يحكم فيه ، وما كان غير بين وهو عندكم من قبيل الظنون ، فلكم عليَّ عهد الله وميثاقه أَنني أَبينه ولا أَكتم عليكم منه شيئاً . وأَما الذي تظنونه مما لم يقع ، فأَنا أَنفيه لكم ، وأَحَكِّمُ في كل ما تقدم شرع الله ، فما أَثبته أَثبتُّهُ ، وما نفاه نفيته .

أَنتم أَيها الإِخوان ، أَبدوا ما بدا لكم ، وتكلموا بما سمعتموه ، وبما يقوله الناس من نقدِ وَلِيِّ أَمركم أَو من نقد موظفيه ، المسؤول عنهم ، وأَنتم أَيها العلماء ، اذكروا أَن الله سيوقفكم يوم العرض وستسأَلون عما سُئِلتم عنه اليوم ، وعما ائتمنكم عليه المسلمون ، فأَبدوا الحق في كل ما تسأَلون عنه ، لا تبالوا بكبير ولا صغير ، وبينوا ما أَوجب الله للرعية على الراعي ، وما أَوجب للراعي على

الرعية في أَمر الدين والدنيا ، وما تجب فيه طاعة ولي الأَمر ، وما تجب فيه معصيته . وإياكم وكتمان ما في صدوركم في أَمر من الامور التي تسأَلون عنها ، ولكل من تكلم بالحق عهد الله وميثاقه أَنني لا أُعاقبه وأَكون مسروراً منه ، وإني أُنفذ قوله الذي يجمع عليه العلماء . والقول الذي يقع الخلاف بينكم فيه ـ أَيها العلماء ـ فإني أَعمل فيه عمل السلف الصالح ، إذْ أَقبل ما كان أَقرب إلى الدليل من كتاب الله وسنة رسوله ، أَو قول أَحد العلماء الأَعلام المعتمد عليهم عند أَهل السنة والجماعة .

إياكم ـ أَيها العلماء ـ أَن تكتموا شيئاً من الحق تبتغون بذلك مرضاة وجهي ، فمن كتم أَمراً يعتقد أَنه يخالف الشرع فعليه من الله اللعنة .

أَظهروا الحقَّ وبينوه وتكلموا بما عندكم .

ويذكر من حضر الاجتماع ودوَّنَ ما دار فيه : أَن العلماء أَجابوا بأَنهم يبرأُون إلى الله من كتمان ما يظهر لهم من الحق ، وأَعلنوا أَنهم ما نصحوه إلا انتصر ، ولو رأَوا في عمله ما يخالف الشرع لما سكتوا عنه ، وهم ما رأَوا

منه إلا الحرص على إقامة شعائر الدين ، واتباع ما أمر به الله ورسوله .

ونهض أحد الحضور فقال : إننـا لا نعرف ما يُنتقد إلا (الأتْيال) - يريد اللاسلكي - فيقال : إنه (سحر) ولا يخفى حكم السحر والسحرة في الإسلام ، والثاني (القصور) - يعني المخافر - التي تبنيها حكومة العراق على الحدود ، وهذا ضرر على أرواحنا وأوطاننا .

فأجابه عبد العزيز : ليقل العلماء رأي الإسلام في (الأتيال) .

فأفتى العلماء بأنهم لم يجدوا في القرآن أو السنة أو قول أحد العلماء ولا من أخبار العارفين ، دليلاً على تحريم (الأتيال) ، وأن من يقول بالتحريم يفتري على الله الكذب ونبرأ إلى الله منه ....

وأجاب عبد العزيز نفسه عن (المخافر) قائلاً :

إن القوم يَدَّعون أنكم أنتم الذين بدأْتموهم بالعدوان ، وذلك بقتل السرية العراقية في (بُصَيَّةَ) ، ثم غزوات (الدَّوِيش) التي تبعتها ، في حين أني - أنا عبد العزيز -

ما قمت بذلك ، وأَنتم يا أَهل نجد ما حميتم ذمة والي أَمركم ، وأَنهم يزعمون أَن هذه القصور (المخافر) ما بنيت إلا مخافة الخطر منكم .

وتصايح (الإِخوان) : نبرأُ إلى الله من الدَّويش ، قاطعناه هو ومن معه ، وإنَّا على استعداد لمهاجمته ومجازاته ، يا عبد العزيز إننا نبايعك على السمع والطاعة ، وإنا نقاتل من تشاء عن يمينك وشمالك ، ولو دفعتنا إلى البحر لخضناه ... إننا نبايعك على مقاتلة من ينازلك ومعاداة من عاداك ، ونقوم معك ما أَقمت فينا الشريعة» .

الفصل الرابع عشر

صُورة عَن الأمن قبل عَهْد الملك عَبد العزيز وفي عهْدِه



كان جميع أَبنائي الكبار يعرفون أَنني ساعٍ في إعداد مؤلفي هذا ، وفي الفترة التي أَنجزت فيها قسماً منه بعث إلي ابني عبد المحسن الموظف في وزارة الخارجية رسالة فيها قصاصة من جريدة عكاظ ـ عدد ٢٨٨٥ تاريخ ١٩ ربيع الأَول ١٣٩٤ ـ وتحوي تلك القصاصة من الجريدة العنوان الآتي :

(جائزة الفيصل ، الموضوع : ظاهرة الأَمن في عهد الملك عبد العزيز . ثم جاءت عبارات ملخصها :

أَعلنت دارة المغفور له الملك عبد العزيز جائزة سنوية باسم جائزة الملك فيصل تمنح لأَحسن الأَبحاث المقدمة في المواضيع التالية :

١ ـ ظاهرة الأَمن في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله مع مقارنة بينه وبين العهود التي سبقته .

٢ ـ الاصلاح الاجتماعيُّ في عهد الملك عبد العزيز .

٣ ـ التاريخ الحربي للملك عبد العزيز الخ ..

فلما قرأْت ذلك بدا لي على الفور أَن ابني عندما بعث إِلي قصاصة الجريدة ، كأَنه يقول : هذا من تبادل الخواطر ، وهو فعلاً تبادل خواطر . ولا يسعني إِلا أَن أَقول :

جميل جداً هذا العرض من (دارة الملك عبد العزيز) وحسن طرح هذه الفكرة من حيث هي .

ومما لا شك فيه أَن لعبد العزيز جوانب متعددة الأَطراف ، فسيحة الأَهداف ، بعيدة المرمى ..

ويطيب لي أَن أَنتهز هذه المناسبة ، لأُؤكد أَن في كتابي هذا معان أَكثر وضوحاً وأَوفر عدداً مما جاء في العرض الذي قدمته (دارة الملك عبد العزيز) .

وعندمـا أُشير إِلى هذه الحقيقة ، فإِنني أَردت أَن أُؤكد أَنه مهما كانت جائزة العرض دسمة ومغرية ، فانها

لم تكن ولن تكون هدفاً ولا حافزاً لواجب كهذا .

ولما كنت وطيد الإيمان بهذه الظاهرة ، فإنني أُعلن من الآن في هذه الصفحات بأَنني لن أَدخل كتابي هذا في مسابقة الجوائز ولن أَعرضه .

وأَرجو أَن لا يؤخذ من كلامي هذا أَنني أَعيب على المسؤولين في دارة الملك عبد العزيز تشجيعهم للكتاب أَن يكتبوا في هذه المواضيع ، وإنما أَردت أَن أُؤكد بأَنني ساع في تأْليف هذا الكتاب قبل هذا العرض بسنوات .

مَنْ هوَ الذي يشعر بنعيم هَذا الأمن؟

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة إذا دخل في الإسلام من لا يعرف الجاهلية) ، هذا الحديث ينطبق معناه ومفهومه على كل من لا يعرف ما تعانيه بلادنا من زعزعة الأَمن واضطرابه وعدم الاستقرار وذلك قبل أَن يوحد هذه البلاد المغفور له الملك عبد العزيز .

لا أَدعي أَنني ممن عاش تلك الحقبة التاريخية القاسية التي كان النهب والسلب والسرقة وافتراس القوي للضعيف هي الحياة المألوفة ، وإنما الذي أُؤكده أَنني من الجيل التابع لذلك الجيل هذا من ناحية ، ومن ناحية أُخرى كوني عشت مع أُولئك الشيوخ الذين عاشوا تلك الفترة

وعاشرتهم عن كثب ، ولا زلت أُعاشر بقيتهم ، الأَمر الذي مكنني من معرفة الحياة الاجتماعية التي عاشها رجال ذلك الجيل ، تلك الحياة الشرسة المضطربة التي بلغ فيها عدم الأَمن والتفرقة القبلية ، والتناحر (الإقليمي) حدًّا يعجز الكاتب البليغ عن وصف الحالة الحقيقية التي يعانيها سكان هذه البلاد قبل أَن يهيء الله لعبد العزيز توحيدها .

وأَرجو أَن لا يتصور القاريء أَنني أُشير من بعيد أَو من قريب إلى أَن أَهل الجزيرة كانوا عارين من المثل والقيم والشيم ، بل كانت هذه الأَخلاق الكريمة موجودة فيهم بصورة أَوفر منها قبل أَن تطغى عليهم المادة وتتفجر ينابيع الزيت .

وإنما الشيء الذي أَعنيه أَن عادة النهب والسلب والغزو وافتراس القوي للضعيف هذه الصفات الناتجة عن عدم وجود السلطة القوية المهيمنة التي تردع هؤلاء عن ارتكاب هذه الأَعمال ، وتلك الأَفعال البشعة التي تعتبر في مفهوم رجال ذلك العهد من صفات الشجاعة ، والبطولة ، والرجولة ، ومن يتقاعس عنها يعتبره رجال عصره جباناً

لا يستحق الاحترام ، بل ولا يجد من يصاهره .

يحدثني شيخ عُمِّرَ إلى ما فوق مائة سنة ، ومحدثي هذا توفي منذ ثلاثين سنة وهو سلمان بن رشدان الذي ورد اسمه في مؤلفي « من شيم العرب » أَكثر من مرة ، يقول سلمان : إن علي بن رشيد كان تقياً ورعاً ، وشجاعاً في آن واحد ، ولكن ورعه وتقاه يمنعانه من أَن يشارك رجال قبيلته شمر في الغزو والنهب ، كما أَن تقاليد مجتمعه تفرض عليه أَن لا يشذَّ عن بني قومه ، وفي إِحدي الغزوات التي شنتها قبيلته على بطن من القبيلة يقال لهم (الجُحَيش) كان علي في مقدمة المهاجمين ، إلا أَنه لم يشارك رفاقه في الغنيمة ، وعندما سأَله قومه عن عدم قبوله للغنيمة على الرغم مما شاهدوه منه من شجاعة وإقدام ؟ .. قال لهم : إنني أَخاف الله من أَن أَستحلَّ مال أَخي العربي المسلم ، وحينما سأَلوه ثانية : لماذا يشاركهم في الغزو ما دامت هذه عقيدته ؟ ... قال : أَخشى أَن لا أَجد منكم من يتزوج بناتي ، كما أَخشى أَن لا يجد ولداي عبد الله وعُبيد من

يقبل مصاهرتهما [1] .

حينما أُورد هذه القصة فإن غايتي أَن يأْخذ القاريء صورة حية عن الحياة الاجتماعية في شبه الجزيرة ، قبل أَن يوحدها الملك عبد العزيز ..

---

(١) عبد الله وعبيد هما اللذان أسسا إمارة آل رشيد .

كانت البلاد إثنتي عشرة وحدة إقليميّة

الحديث عن الانقسامات الإقليمية والتجزئة القبلية والحروب الأَهلية والغزوات القبلية وزعزعت الأمن قبل أَن يوحد البلاد عبد العزيز أَمر يطول ويطول .

وإِذا كان هذا الفصل يجعلنا مضطرين إِلى الحديث عن ذلك فإِنه ليحسن بي أَن أَذكر شيئاً عن هذا الأَمر ، حسبما وسعه علمي بادئاً أَولاً بالانقسامات الإِقليمية موضحاً ذلك كما يلي :

١ – شمالي نجد – يوجد في بلاد الجوف ، الشيخ نواف بن شعلان ، وكانت الحرب بينه وبين ابن رشيد سجالاً تارة يستولي على الجوف ابن رشيد بعد حروب دامية وتارة يستولي عليه ابن شعلان .

٢ ـ بلدة تَيْما : كانت خاضعة لنفوذ أَميرها عبد الكريم ابن رمان الذي قتل ممثل سعود بن رشيد واستقل في بلاده .

٣ ـ مدينة حائل : عاصمة إمارة آل رشيد ذوي النفوذ الذي لا يضارعه نفوذ في شمالي نجد ، بل ولا يضارعه نفوذ في نجد كلها ، وذلك في عهد أَميرها محمد العبد الله بن رشيد الذي سنعود إلى الحديث عن عهده بعد قليل .

٤ ـ القصيم : فيه مدينتان مدينة بُريدة وقراها ، وامراؤها (آل أَبا الخيل) وقبلهم في القرن المنصرم آل أَبو عُلَيَّان .

٥ ـ مدينة عنيزه وقراها : وامراؤها آل سُلَيم وأَبناء عمهم آل يحيى .

٦ ـ مدينة الرياض : وما تبعها من مدن وقرى ومقاطعات كالوشم وقراه وقاعدته شقراء ، وسُدَيْر قاعدته المَجْمَعَة ، ويليهـا الزُّلْفِي ، والمحمل وقاعدته حُرَيملا ، وقراه إلى الخرج ، ووادي الدواسر ، كل ذلك كانت تحت نفوذ الإمام عبد العزيز . !

٧ ـ الإحساء ، والقطيف : كانت هاتان المدينتان

تحت الحكم العثماني وكان يتولى إدارتهما مـا يسمى بـ(المتصرف) وهو تابع للوالي التركي في البصرة ، وهذا المتصرف ليس له مـن النفوذ أَو السلطة إلا الاسم فقط ، أَما النفوذ والتسلط إلى درجة الفوضى ، فإنه لقبيلة (العُجْمان) وفي القطيف النفوذ والفوضى معاً لقبائل تلك المنطقة كبني هاجر وبني خالد وآل مُرَّة والمناصير الخ .. وعلى هذا الأَساس يجدر بنا أَن نعتبر الإحساء مقاطعة مستقلة فتكون المقاطعة الثامنة ، والقطيف مستقلة أَيضاً فتكون الوحدة السياسية التاسعة .

١٠ ـ الحجاز : مكة والمدينة ونواحيهما مما هو تحت حكم الأَتراك ، وبعد انقلاب الملك حسين بن علي شريف مكة على الدولة العثمانية أَصبح الحجاز بكامله تحت نفوذه .

١١ ـ عسير : وقاعدته أَبها كانت هذه المقاطعة تحكمها أُسرة آل عائض .

١٢ ـ قسم من تهامة : كانت تحكمه أُسرة الأَدارسة ، قاعدتهم مدينة (صبيا) .

ومن هنا يتضح لنا الأَمر أَن ما يسمى الآن (المملكة العربية السعودية) كان يشمل اثنتي عشرة وحدة إقليمية ،

كل وحدة لا يقال إنها مستقلة عن الأُخرى استقلالاً سياسياً واداريا وإقتصادياً فحسب ، بل متناحرة بينها تناحراً مريراً ، يباح فيه نهب الأَموال ، بل وسفك الدماء وقتل الأَبرياء .

وإذا انتهينا من عرض الوحدات الإقليمية طاب لنا أَن نعرض الوحدات القبلية حيث نجد كل قبيلة تشكل وحدة سياسية مستقلة ، بل بعض القبائل يتفرع منها أَكثر من وحدة مستقلة ذات حول وطول ، وسلطة ونفوذ .

كانت شبه الجزيرة العربيّة أكثر من ثلاثين وحدة قبليّة

إذا كانت كل وحدة من الوحدات الإقليمية تشكل في واقع أمرها حكومة مستقلة فإن أمراء القبائل يشكل كل واحد منهم سلطة الحكومة ، وإن كانوا يختلفون في نسبة السلطة والنفوذ في داخل القبيلة ، فمثلاً هناك رئيس قبيلة له السلطة المطلقة على قبيلته ، بصورة تشبه سلطة ملوك القرون الوسطى ، أو ما قبل تلك القرون ، وهؤلاء قلة ، لأن العربي بطبيعته يحب الحرية وينفر من حكم الاستبداد والعسف .

والشيء الذي تجدر الإشارة إليه أنه مهما اختلف رؤساء القبائل من حيث السلطة والتحكم في داخل القبيلة ، فإن نفوذهم وتسلطهم لا يختلف على من يقع بين يدي

أَحدهم ممن هو خارج عن قبيلتهم ، بحيث يكون ماله ودمه مباحين إلا في شروط سوف أُشير إِليها في هذا الفصل عندما أَصل إلى البحث الخاص بها .

وإِليك أَسماء الكثير من أَشهر القبائل محاولاً أَن أَوردها وفقاً لحروف الهجاء .

١ ـ البقوم . ٢ ـ حرب نجد . ٣ ـ حرب الحجاز . ٤ ـ الحرَّث . ٥ ـ بنو خالد . ٦ ـ الدواسر . ٧ ـ سبيع العارض . ٨ ـ سُبيع الخرمة . ٩ ـ السهول . ١٠ ـ شَمَّر . ١١ ـ آل شامر . ١٢ ـ الشرارات . ١٣ ـ الظفير . ١٤ ـ عتيبة برقا . ١٥ ـ عتيبة الروقة . ١٦ ـ آل عجمان . ١٧ ـ عنزة جنوبي نجد للغرب (وِلْد سليمان) ١٨ ـ عنزة شمالي نجد (آل عمارات) . ١٩ ـ عنزة غربي نجد (الرولة) . ٢٠ ـ العوازم . ٢١ ـ قحطان . ٢٢ ـ مطير نجد . ٢٣ ـ مطير الحجاز . ٢٤ ـ آل مُرَّة . ٢٥ ـ المناصير . ٢٦ ـ بنو هاجر . ٢٧ ـ هتيم .

هذا وإن في المملكة العربية السعودية المترامية الأَطراف قبائل أَكثر مما ذكرت وأَوفر مما كتبت وهب أَننا اختصرنا القبائل على هذا العدد ومن ثم أَضفنا الاثنتي عشرة وحدة إقليمية علـى السبع والعشرين وحـدة قبلية عندئذ يصبح معنا تسع وثلاثون وحدة سياسية مستقلة بين إقليمية وقبلية .

هكذا كانت تجزئة البلاد وأمنها
قبل أن يوحّدها عبد العزيز

لقائل أَن يقول : ما دامت البلاد مجزأَة إقليمياً وقبليًّا على الصورة التي مر بنا ذكرها فكيف يؤمن المواطنون ما يحتاجونه من الغذاء والكساء ما دامت بلادهم ليس فيها من الإنتاج الزراعي والصناعي ، ما يسد حاجات أَهلها ، ما عدا التمر والثروة الحيوانية . الجواب على هذا السؤال هو : البلاد التي يذهب اليها الحضر من أَهل نجد هي الكويت ، بصفتها ميناء بحرية ـ والعراق التي تنتج زراعة (التَّمَّن) أَي الأَرز والقمح ، ويذهبون أَيضاً إلى الشام ليستوردوا منها المنسوجات ، وليوردوا إليها وإلى مصر الإبل ، وعندما يقرر جماعة السفر إلى إحدي هذه الجهات يلتمسون وسائل الحماية بالطرق الآتية :

أولاً ـ أنهم يعدون العدة لحمل السلاح الذي يدافعون به عن أنفسهم في حالة مواجهتهم للغزاة ، الذين هم شرٌّ لا بُدَّ منه ، وكلما كثر عددهم كانوا إلى النجاة أقرب .

ثانياً ـ لا يكتفون بذلك ، بل يصطحبون معهم من كل قبيلة من القبائل التي يجتازون أرضها رجلاً أو أكثر ويسمى هذا الرفيق (رُفق) وهذا الرفق يقوم مقام جواز المرور الذي يخولهم اجتياز حدود هذه القبيلة ، وإذا إجتازوا حدودها أخذوا معهم (رفقاً) آخر من القبيلة التي سيتجهون إلى حدودها ، وفي كثير من الأحيان يكون بصحبة رجال هذه القافلة عدد وافر من رجال القبائل .

والسؤال الذي يطرح نفسه هو : هل هذه الاحتياطات التي يتخذها المسافرون كفيلة بنجاتهم ، وضامنة لسلامتهم ؟ ...

الجواب الصحيح : أن هذه الاحتياطات قد توفر لهم نوعاً من الوقاية والنجاة ، ولكنها لم تكن ضامنة لسلامتهم ضماناً تامًّا ، بل تظل أموالهم عرضة للنهب ، وحياتهم مهددة بالقتل ، وذلك إذا اصطدموا بغزاة لا تفيد معهم

الأسباب التي اتخذوها ـ فمثلاً إذا كان الغزاة يفوقون المسافرين عدداً وعدة ، أَو إذا كان الغزاة من قبيلة معادية لقبيلة من معهم (الرفق) أَو إذا كان رئيس الغزاة لـه سلطة ونفوذ في قبيلته ، لا يستطيع (الرفق) أَن يحمي نفسه من عقابه ، فضلاً من أَن يحمي رجال القافلة التي وجد فيها قائد الغزاة مورداً من المال ، ليبتلعه لقمة سائغة ، هذا جوابي على هذا السؤال .

وهناك سؤال ثان يقول : ما دام أَن المرء في تلك الفترة مهدد بهذه الصفة ، فكيف به إذا أَراد أَن ينتقل من بلد إلى آخر ، فمثلاً إذا أَراد المرء أَن يسافر من القصيم إلى حائل أَو العكس على الرغم من أَن المسافة بينهما دون الأَربعمائة كيلو متر ؟ ..

الجواب على ذلك هو :

إذا أَراد أَي إنسان أَن يسافر اليوم من مشرق الدنيا إلى مغربها يستطيع بكل سهولة واضعاً في جيبه دفتراً صغير الحجم يسمى (جوازاً) ويحتوي هذا الدفتر على سمات من ممثليات الحكومات التي سيذهب إليهـا ، فإن

المواطن في عهد الإنفصالات الإقليمية والتجزئات القبلية ، لا يستطيع أَن يسافر من بلد إلى بلد في داخل تلك التجزئات ، وإذا حكمت عليه الضرورة القاسية ، فإنه لا يسافر بكل سهولة ويسر ، ما لم يعرض حياته للخطر المهلك ، إلا إذا حكمت عليه ظروف قاسية ، وضرورة ماسة لا مفر له من مواجهتهما ، عندئذ يضطر هذا المسافر إلى اتخاذ الأُسلوب نفسه الذي ذكرته قبل قليل ، أي يصطحب معه ما يسمى (رفق) عدداً من رجال القبائل التي يجتاز أَرضها ، وهذا (الرفق) هو القائم مقام الجواز كما مر بنا ذكر ذلك ، ومع هذا فان الخطر قائم ، وحياة المسافر مهددة ومحفوفة بالمهالك والأَخطار .

وفاتني أَن أَقول : بأَن هذا (الرفق) لا يتحمل هذه (المسؤولية) إلا بعد أَن يبذل له من المال القدر الذي يرضيه بل ويغريه .

كان حجّاج بيتِ الله بهذه الصفة

أَما السؤال الثالث والأَخير فهو : إذا كان هذا ما يعانيه سكان البلاد بين بلدانهم فماذا يكون وضع الوافدين إلى بيت الله من خارج البلاد ؟ ..

والجواب : هناك حجاج يأْتون من إيران والعراق ، فهؤلاء تتولى حراستهم قوة من الرجال المسلحين ، من قبل أَمير حائل ابن رشيد مقابل مبلغ يدفعه هؤلاء الحجاج الذين يتجمعون في النجف إلى أَن يأْتي مندوب ابن رشيد الذي يسمى (أَمير الحاج) فيسير بهم محافظاً عليهم في ذهابهم وإيابهم إلى أَن يعود بهم إلى المكان الذي أَخذهم منه ، وهذه الحراسة من أَمير الحاج محصورة على أَن لا يتعرض لهم غزاة من البادية في طريقهم إلى الحج ، أَي

إن هذه القوة التي يرأسها الأَمير باستطاعتها أَن تحمي الحجاج من الغزاة البدو ، الذين سيكونون أَقل من قوة أَمير الحاج ، ممثل الحاكم ابن رشيد ، ولكن قوة أَمير الحاج هذه وما يصحبه من الرجال الشجعان المسلحين أَضعف وأَعجز من أَن تحمي الحجاج من قبيلة (مُطَير الحجاز) بني عبد الله ، الذين هم أَول قبيلة يمر في أَرضها القادمون من شمال الحجاز كما أَن قوة الأَمير أَضعف من أَن تحمي نفسها فضلاً من أَن تحمي الحجاج من رؤساء قبيلة حرب البالغ عدد رؤسائها أَكثر من عشرة ، فكل رئيس عشيرة أَو فخذ من قبيلة حرب ، متمركز هو وعدد من أَقاربه المسلحين فوق رأْس جبل من الجبال التي يجتازها الحجاج في الذهاب والإِياب إلى مكة ، ومن المستحيل أَن تستطيع أَية قوة في الأَرض أَن تجتاز هذه الجبال ما لم يدفع المجتازون لهؤلاء المرابطين بأَسلحتهم النارية فوق رؤوس جبالهم ما يرضيهم من المال ويسمون المبلغ المدفوع لهم (حَقَّه) أَي أَن ذلك حق مشروع لهم . وهذا الذي يدفعه حجاج ايران والعراق خلاف المبلغ الذي يدفعه هؤلاء

لمثل ابن رشيد المتعهد بحمايتهم من الغزاة .

هذا ما يلاقيه الحجاج الذين يفدون من ايران والعراق ، وليس الحجاج الذين يفدون من الشام بأَسعد حظًّا من حجاج إيران والعراق ، على الرغم من أَن هؤلاء الحجاج الكثير منهم ياتي بصحبة (المحمل الشامي) أَي مصحوب بقوة عسكرية تحميه من جنود الدولة العثمانية ، ولكن مع ذلك لا بد من أَن يدفعوا (الحقة) لأُولئك ، وربما كان نصيب الحجاج المصريين المرافقين للمحمل المصري أَقل تعاسة من سواهم على اعتبار أَنهم يأْتون عن طريق البحر ، وبمنجاة من أَن يمروا في سبيلهم على لصوص الجبال .

أَما أَسوأُ الحجاج حظًّا فهم أُولئك الذين يأْتون من إفريقيا ، السود البشرة ، فهؤلاء ينهبهم اللصوص ، ويذهبون بهم إلى النخاسين ليتقاسموا ثمنهم ، حيث يعرضون في حيٍّ في مكة يقال له (سويقة) كما يعرض المتاع ، وأَكثر من يتم (اختلاسه) الصبيان أَو الفتيات الحديثي السن ، بحكم عدم قدرتهم على الدفاع عن

أُنفسهم ، فتجد هؤلاء اللصوص يحاولون في غفلة من والد الطفل أَن ينتهزوا الفرصة ليسرقوا فلذة كبده من بين يديه ، وكم من مرة يخطفون الصبي من حضن أَبويه . بل كم من مرة يخطفون الصبي وأَمه وأَباه معاً .

هذه الصورة على ما فيها من الاختصار والإِيجاز تعكس بوضوح ما تعانيه شبه الجزيرة العربية قبل أَن يوفق الله عبد العزيز إلى توحيدها .

وهي صورة شاملة لجميع سكان تلك الأَقاليم الانفصالية ، وهاتيك القبائل المجزأَة المتناحرة ، السالف ذكرها .

فترة من الأمن قصير أجلها ومحدود مفعولها

ما دمت استعرضت في هذا الفصل ما تعانيه البلاد من عدم وجود الأَمن ، قبل عهد عبد العزيز ـ فلا بد من أَن أُشير إلى أَن أَمناً قد ساد البلاد ولكنه أَمنٌ ينقصه أَمران : الأَول : قصر أَجله ، والأَمر الثاني : ضيق نطاقه وعدم شموله ؛ فمن حيث قصر أَجله فانه لم يتجاوز أَكثر من ثمان سنوات ، ومن حيث عدم شموله وضيق نطاقه ، فإنه محصور على ساكني نجد فقط ، ومحصور بصورة أَضيق نطاقاً على حضر نجد مدنها وقراها ليس إلا .

وهذه الفترة هي التي استولى فيها الأَمير محمد العبدالله ابن رشيد على نجد بكاملها ـ بعد أَن وقع الشقاق بين الإمام عبد الله الفيصل ، عم الملك عبد العزيز واخوته

وأَبناء أُخوته .

في تلك الفترة حصل فراغ في نجد من حيث عدم وجود القيادة المسيطرة ، فتنافس على ملء الفراغ أَمير حائل محمد بن رشيد من جهة ـ وأَميرا القصيم حسن بن مهنا ـ أَبا الخيل ـ أَمير مدينة بريدة ، وزامل بن سليم أَمير مدينة عنيزة من جهة ثانية ، والأَول أَكثر طموحاً وذيوع صيت ، والثاني أَبعد نظراً وأَكثر تدبراً وإِدراكاً لعواقب الأُمور ، وأَوفر عقلاً .

وقد وقعت معركتان عنيفتان بين محمد بن رشيد من جانب ، وبين أَميري القصيم حسن وزامل من الجانب الثاني ، فالأُولى انتصر فيها الأَميران ، ولكنه انتصار محدود . وأَما الثانية التي وقعت بعد تلك بعشرة أَيام فقد انتصر فيها ابن رشيد انتصاراً ساحقاً وهزم رجال خصمه هزيمة شنيعة ، وقتل فيها أَمير عنيزة زامل بن سُليم شجاع الرأْي والفعل ، كما أُسر فيها البطل الشجاع حسن ابن مهنا وظل أَسيراً إِلى أَن توفاه الله في سجن ابن رشيد ، وتسمى تلك المعركة (المُلَيْدا) وقعت عام ١٣٠٨ هـ .

لست بصدد ذكر الأحداث التاريخية إلا أن الحديث عن فترة الهدوء والأَمن القصيرة الأَجل والضيقة النطاق اضطرنا إلى ذكر معركة (المليدا) التاريخية و (المليدا) هي الي فيها الآن مطار القصيم .

والشاهد هنا أَن الأَمن ساد البلاد بصورة محدودة وذلك منذ عام ١٣٠٨ ـ إلى أَن توفي محمد بن رشيد عام ١٣١٥م .

هذه لمحة عن الأمن المحدود :

عندما تمت سيادة نجد للأَمير محمد بن رشيد ـ بعد وقعة (المُلَيْدا) وطد الأَمن في نجد توطيداً محصوراً ومحدوداً على حضر نجد فقط ، أَي أَنه منع منعاً باتـــاً سيطرة البدو على قوافل حضر نجد ، أَمّا الفوضى التي كان يعيشها البدو منذ العهد الجاهلي . وما قبله فقد تركها كما كانت عليه ، وأَعني بـ (الفوضى) قضية الغزو والنهب ـ تلك العادة السيئة التي ورثها الأَحفاد عن الأَجداد ـ تركها ابن رشيد ، واكتفى بأَن يعاقب البدوي الغازي إذا كسب بأَن يسلب منه الفرس الأَصيلة التي يغنمها

من القبيلة التي غزاها ، كما يسلب منه العبد ، والذلول النجيبة ، ويترك للغازي الإبل والغنم والمتاع الذي يغنمه من القبيلة المغزوة المنكوبة ، كما اكتفى بأن يأْخذ من بادية نجد جميعها زكاة الإبل والغنم ، والقبيلة التي تمنع الزكاة ، أَولا تدفع ضريبة الأَمير من الغنيمة ــ أَي الفرس الذلول والعبد ــ يغزوها الأَمير ، ويغنم هو وقومه أَنعامها من إبل وغنم ، وبهذا العقاب أَذعن البدو إذعاناً تامًّا لمحمد بن رشيد ، وأَصبحت قوافل الحضر في أَمان من اعتداء البادية ، وأَصبح البدو أَنفسهم مسرورين ما دام أَن عادة الغزو التي ورثوها أَباً عن جدّ تركها لهم ، بدون أَن يقضي على دابرها بالوسائل التي قضى عليها عبد العزيز قضاءً مبرماً وإلى غير رجعة .

العشيرة التي كانت حصنًا للقتلة

هناك عشيرة من قبيلة شمّر يقال لها (آل حسين) كانت حصناً منيع الجانب للمجرمين القتلة ، أَما من يكون جرمه خُلقيًّا كالمعتدي على العرض ، أَو السارق أَو

الغادر برفيق السفر . فإن أمثال هؤلاء لا يجدون من يحميهم في أي نظام من أنظمة البادية .

كانت مهمة تلك العشيرة خاصة بحماية القاتل قتلاً علانية لا غدر ولا خيانة فيه ، بصرف النظر عن كون هذا القاتل أقدم على القتل عن عمد وتصميم ، أم عن سهو وقع منه ؟ فالقتلة الذين من هذا النوع يجدون بين رجال هذه العشيرة من يحميهم ، ويسهر رجالها الليل على حراسة القتلة ، إلى درجة أنه لا يستطيع أحد أن يدنو منها في الليل ، فأي قادم يأتي به حظه السَّيِّءُ إلى هؤلاء ليلاً فإنه ينال منهم ضرباً مبرحاً بعصيهم و (قنيّهم) مفرد (قناة) ، ولا غرابة في ذلك لأن رجال هذه العشيرة مع مرور السنين أصبحوا عدداً وافراً من القتلة المجرمين . الأمر الذي يجعل كل شخص يخشى على نفسه أن يأتي إلى بيوت العشيرة في الليل .

وعشيرة (آل حسين) هذه معروفة في حمايتها للقتلة منذ عهد قديم ، وذلك قبل تأسيس إمارة آل رشيد ، وقد أراد أمير حائل طلال بن رشيد أن يقضي على تقاليد

هذه العشيرة ، إلا أَن رؤساءها جاءوا إلى طلال ، ومعهم شاعر العشيرة يحتجون عليه بأَن تقاليدهم في حماية المستجير بهم السائدة قبل أَن يقوم عبد الله بن رشيد والد طلال الذي قد أَقرها عبد الله نفسه فلا يسعك يا طلال إلا أَن تُقِرَّ ما أَقره أَبوك وأُمراء القبيلة الأَوائل ، وحجة رجال هذه العشيرة قولهم أَنهم إذا استمروا في حمايتهم للقاتل يكونون قد حفظوا رجال قبيلتهم من التشتت ، لأَن القاتل مضطر بأَن ينجو بنفسه إلى قبيلة أُخرى تحميه ، فيذهب هذا القاتل مع مرور السنين هو وأَبناؤه إلى انتمائه إلى القبيلة التي مكث عندها طول حياته ، وقد يأْتي أَبناؤه فيما بعد أَعداء وغزاة لقبيلة والدهم مع القبيلة التي ولدوا وترعرعوا بين ظهرانيها .

فما وسع الأَمير طلال إلا أَن يذعن للأَمر الواقع ، وبترك هذه العشيرة على ما هي عليه من حمايتها للمجرمين القتلة ، وقد ظلت هذه القبيلة مستمرة في حمايتها للمجرمين سفاكي الدماء إلى أَول يوم وحد به عبد العزيز نجداً بقضائه على إمارة آل رشيد في ٢٩ صفر ١٣٤٠ ه كما سلف ذكره ـ كما وحد فيما بعد جميع أَقطار المملكة العربية السعودية وقبائلها .

نهاية عهد الفوضى وبداية عهد الأمان

يعتبر نهاية عهد الفوضى وعدم الاستقرار وبداية عهد الأَمان والاطمئنان منذ أَن وفق عبد العزيز إلى توحيد نجد ، أَو بعبارة أَكثر صراحة وأَوفر وضوحاً منذ اليوم الأَول الذي استولى فيه عبد العزيز على إمارة آل رشيد ، التي كانت أَعتى وأَشرس قوة منافسة له في نجد .

أَصبح عبد العزيز بعد ذلك قادراً على توطيد الأَمن في البلاد ، لما يعود بالخير لصالح السكان ويحفظ أَموالهم وكرامتهم ودماءهم من تسلط القويّ على الضعيف .

أَجل : بعد أَن قضى عبد العزيز على إمارة حائل في ذلك اليوم التاريخي الخالد بالنسبة لوحدة نجد ، لم يعد في حاجة إلى أَن يعمل حساباً لتلك المزايدة التي كان يقوم

بها أَحياناً أَحد رؤساء القبائل ، وتارة يقوم بها زعيم من زعماء تلك الأَقاليم السالف ذكرها .

وإذا كان أَحد قادة (الحزب الشيوعي) في (موسكو) ذكرت عنه إحدى الصحف اللبنانية وهي « مجلة الحوادث» أَنه قال في تصريح له : (إذا احتل العرب « تل أَبيب » لم يعد لنا في الشرق العربي موضع قدم نحاول التسلل منه) فإن الأَمر كذلك بالنسبة لرؤساء تلك القبائل المجزأَة وزعماء الأَقاليم المنفصلة ، فقد أَدرك هؤلاء أَنه حالما استولى عبد العزيز على منافسه ابن رشيد وقعت النهاية الأَبدية لأَعمالهم وهذا شيء لا يرضيهم ، وإن كان فيه القضاء المبرم على عدم الإستقرار ، واضطراب حبل الأَمن . فالإنسان مجبول بطبيعته ، وبفطرته على حب الذات والأَنانية ولو كان ذلك على حساب الإضرار بغيره إلا النادر ممن اصطفاه الله ، وهذا النادر كالمعدوم .

بين يدي الآن دليلان كل واحد منهما يؤكد صحة هذه الظاهرة ، الدليل الأَول ما نقله إلي أَحد الرواة الثقات عن أَحدرؤساء قبيلة (مُطَيْر) من أُسرة (الدوشان) والراوي

هو (ذعَار النافع) الذي يؤكد أنه التقى بالشيخ هزاع بن بدر الدَّويش التقى به في الكويت ، فسمع منه في إحدي جلساته قوله : لقد نصحت فيصلاً الدويش عندما كنا محاصرين مدينة حائل بأَن لا يحرص على نهاية إمارة ابن رشيد ، وأَكدت له أَنه إذا استولى ابن سعود على ابن رشيد لم تعد لنا السلطة التي نمارسها عند ابن سعود [1] .

هذه الكلمة قالها ابن بدر عندما كان فيصل الدويش

---

(١) بعد تسويدي لهذه الكتابة اجتمعت بهزاع بن بدر في مطار الرياض بتاريخ ١٣٩٤/١٠/٧ وأيد الرواية بقوله : عندما كنا نحاصر مدينة حائل جاءت إلى فيصل الدويش رسالة من أمير حائل محمد بن طلال بن رشيد يقول فيها : ماذا تستفيد يا فيصل الدويش من محاصرتك لبلادنا؟وماذا تستفيد إذا احتل ابن سعود مدينة حائل وسقطت إمارتنا نحن آل رشيد ؟ فماذا يكون لك من القيمة عند ابن سعود إذا سقطت امارتنا؟! فنحن ننصحك أنتبتعد عن محاصرتنا لأنه لا فائدة لك من محاربتنا — وسوف تندم ندماً كبيراً إذا سقطت حائل ، ولا تنسى أن بين أجدادنا وأجدادك صداقة قديمة الخ..

يقول هزاع : إن فيصل الدويش عندما قرئت عليه هذه الرسالة قال : هذه الآراء والكلام من الخبيث الشاعر العوني ، بدليل أن في الرسالة إشارة إلى صداقة أهلنا القدامى مع آل رشيد الأوائل ، وهذا أمر لا يعرفه الأمير محمد لصغر سنه وإنما الذي يعرفه العوني ، وهذا الكلام كله من خبث العوني الخ . ويؤكد الأخ هزاع بن بدر أنه قال لابن عمه فيصل الدويش : إن الكلام الذي ورد في الرسالة هو الرأي السديد والصائب الخ ... هزاع من أسرة آل دويش ..

محاصراً حائل ، ولكن حتى لو أَخذ الدويش برأْي ابن بدر ، فإِنه لا يستطيع أَن يعيد عجلة التاريخ إِلى الوراء ، فالزمان كله كان بجانب عبد العزيز ، وإِمارة الرشيد كانت تحتضر فهي أَشبه بالمريض المصاب بداء قاتل ، ينتظر اليوم الذي يلفظ فيه نفسه الأَخير ، كما سبق أَن أَشرت إِلى ذلك .

أَما الدليل الثاني فهو خبر مشهور ومتواتر ، وإِن كنت لم أَقف على مصدره ، ولكنه قريب كل القرب للعقل والمنطق ، وخلاصته :

عندما جاء إِلى مدينة (بُرَيدة) البشير الذي بلغ أَهلها الخبر السار ، والبشرى العظيمة الكبرى بالنسبة لهم ، ولأَهل القصيم بصورة عامة ، وهذه البشرى هي نهاية إِمارة آل رشيد ، أَو ما يقال عنها بالتعبير الشعبي (سقوط حائل) ــ في تلك اللحظة ينسب إِلى أَحد أَعيان مدينة بُريدة البارزين عنه أَنه قال : (نحن الذين سقطنا ليست حائل التي سقطت) . ومعنى هذه الجملة التي قالها انه لم يبق هناك مكان للمزايدة ، والمساومة اللتين كان يتاجر بهما المزايدون .

أول بذرة غرسها عبد العزيز في توطيد أسس الأمان

إذا كانت نهاية الفوضى وبداية عهد الأَمان والاطمئنان جاءت منذ أَول يوم استولى فيه عبد العزيز على إمارة الرشيد ، فإن هذا لا يعني أَن بذرة ذلك الأَمان لم يغرسها عبد العزيز إلا بعد أَن تمت له السيادة على تلك الإمارة ، بل كان قد زرع النواة الأُولى قبل أَن يستولي على إمارة ابن رشيد بحوالي تسع سنوات ، حين أَسست الهجرة الأُولى التي هي (الأَوْطَاوِيَّة) في سنة ١٣١٣ هـ (١٩١٣ م) وأَعني بتلك البذرة الأَعمال الإصلاحية والاجتماعية التي سعى فيها عبد العزيز في تحضير البادية حيث بنى لكل قبيلة بيوتاً في مكان من الصحراء ، وأَصبحت تلك البيوت يقال لها (الهجر) مفردها (هُجرة) ووضع لرؤساء القبائل

ورؤساء العشائر والبطون قواعد سنوية ليستغنوا بها عن الغزو ووجههم توجيهاً روحياً . وآخى بين رجال تلك القبائل المتنافرة ، مقتفياً سنة محمد عليه الصلاة والسلام عندما آخى بين المهاجرين والأَنصار ، وبعث لسكان الهجر (مطاوعة) أَي علماء دين وحفظة قرآن - يعلمونهم القراءة ابتداء من حروف الهجاء ، حتى إِن الإِنسان إِذا مرَّ برجال تلك الهجر يسمع لهم دويًّا كدَويّ خلية النحل ، والإِبل التي كانوا يرعونها باعوها بأَبخس الأَثمان ، اعتقاداً منهم أَن هذه الإِبل شغلتهم عن طاعة الله ، وأَصبحت مدعاة لشقائهم في الدنيا - فهم يعرضونها في أَسواق مدن نجد قائلين : (يا شاري الشَّقاء) .

وهكذا صيَّر عبد العزيز من أُولئك البدو قطاع الطرق الغزاة جنوداً زهاداً يأْتمرون بأَمره ، مؤمنين أَن طاعته من طاعة الله ، وفقاً لما جاء في الآية الكريمة (أَطيعوا الله وأَطيعوا الرسول وأُولي الأَمر منكم) وحتى رؤساؤهم لم يسعهم إلا أَن ينقادوا لهذا الاتجاه الذي رسمه عبد العزيز ، وإلا فإن التيار سوف يجرفهم .

وقد أُصبحوا يسمون العهد الذي عاشوه قبل سكنى (الهجر) عهد (الجاهلية) وقد سبق أَن قلت : بأَن أُولئك الأَبطال البواسل لو قدر لهم أَن يخرجوا إِلى الدنيا في العهد الذي لم يكن فيه إِلا السيف والرمح لما تأْخروا من أَن يفتحوا مشارق الأَرض ومغاربها ، كما فتحها أَسلافهم أَصحاب محمد (ﷺ) لأَنهم في إِقدامهم وشجاعتهم يمثلون الدور الذي مثله أَسلافهم العرب الأَوائل .

كيف انقلبت حياة القوم الاجتماعيّة بهذه السرعة

إن من يعرف العهد الماضي الذي عاشه أولئك البدو ويدرك إدراكاً تامّاً كيف كانت عليه حياتهم الاجتماعية التي موجز ما يقال عنها أنها قامت على التعصب القبلي الجاهلي الأعمى ، وافتراس قويهم لضعيفهم ، واستباحة ما يقع بأيديهم عن طريق ما يسمونه بـ (الغزو) أو بـ (الحنشلة) أو الحيافة [1] .

أجل : إن من يعرف هذه الحقيقة ثم يُرْجِع بصره

---

(١) راجع كتاب « من شيم العرب » ج ٤ ص ١٤١ وفيه توضيح لكلمتي الحيافة والحنشلة كما يلي :

الحنشلة والحيافة : صورة مصغرة عن الغزو ، فتلك على مستوى جماعي والحنشلة على مستوى قلة . والحيافة على مستوى فردي .

كرة أُخرى لينظر إلى التبدل المفاجيء الذي انقلبت فيه نفوس أُولئك القوم وأَفئدتهم بين عشية وضحاها من تنافر وشحناء واقتتال فيما بينهم ، إلى إخاء وتوادٍّ واتحاد ووئام ، ومن حالة أَسوأَ ما عرف عن العادات والتقاليد الجاهلية إلى حرصهم الشديد على أَن يسيروا في كفاحهم ونضالهم لا للكسب والنهب والغنيمة كما كانوا يفعلون من قبل ، وإنما للنصر في قتالهم ، أَو للشهادة في سبيل ما يعتقدونه حقاً .

ومن التعصب القبلي العنصري ، إلى الإخاء في سبيل الله .

أَقــول : من يعرف مــاضي أُولئك ، وينظر إلى حاضرهم ، فسوف ينظر بعين ملؤها الإعجاب والإجلال لعظمة عبد العزيز وعبقريته ، فقد استطاع بتوفيق الله ونصره له بأَن يبدل الحياة الاجتماعية ، والمفاهيم الجاهلية التي كان يعيشها أُولئك البدو ، يبدل ما كان سيئاً منها إلى حسن ، وما كان حسناً إلى أَحسن .

وإذا كان هذا الانقلاب الفكري والإصلاح الاجتماعي،

والتوجيه الروحي ، الذي نتج عنه لا توطيد الأمن فحسب ، بل توحيد البلاد كلها ، إذا كان ذلك جاء بفضل الله ثم بفضل جهود عبد العزيز في غرسه لتلك البـذرة الأُولى أَعني سعيه في تحضير البدو . وتأْسيسه للهجر ، فإن تلك الهجر أَصبحت اليوم مُدُناً تحتوي على كثير من المعاني الحيوية الموجودة في مدن المملكة ، من مدارس التعليم للذكور والإناث ، إلى المؤسسات الإجتماعية التابعة للواردات المختلفة من تعليم وصحة وشؤون إجتماعية وزراعيـة ومواصلات وغيرها .

ويبلغ عدد هذه الهجر مائة واثنتين وخمسين هجرة لمختلف بطون القبائل التي سبق أَن أَشرت إليها . ومن أَراد أَن يعرف عنها أَكثر مما ذكرت فليراجع كتاب « شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز » للاستاذ الزركلي[1] ، وان كان الأُستاذ ذكر اسم بعض الأَماكن التي تعتبر قرى لا هُجَرا مثل (أُمَّ القُلْبان) و (الكهفة) فهاتان القريتان لا تعتبران من الهجر ، بل من ضمن القرى ، لأَن كل واحدة

---

(١) ص ٢٦٥ .

منهما قائمة قبل قيام تاريخ الهجر ، كما ذكر اسم (الظفير) واعتبرها هجرة لقبيلة شمر ، والمعروف أنه لم يكن لشمر هجرة اسمها الظفير ، بل الظفير اسم قبيلة لا اسم هجرة ، ورد اسمها ضمن أسماء القبائل التي مر ذكرها ، ولم يعرف للقبيلة الظفير هجرة باسمهم ، لأن رجالها غالباً ما يقطنون في حدود العراق.

المرحلة النهائية لتوحيد البلاد وتوطيد أمنها

إذا كان فتح حائل بداية لوحدة نجد وتوطيد أمنها ، فإن المرحلة النهائية في توحيد شبه الجزيرة العربية وتوطيد الأمن فيها - وقعت بعد فتح الحجاز ، الذي ابتدأ بفتح مدينة الطائف - في ٣ صفر ١٣٤٣ هـ (الموافق ٣ سبتمبر ١٩٢٤) ثم فتح مكة في ١٧ ربيع الأول ١٣٤٣ هـ (١٦ اكتوبر ١٩٢٤) وأخيراً فتح جدة والسيطرة الشاملة على الحجاز بكامله ، وذلك في ٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ (الموافق ٢٢ ديسمبر ١٩٢٥ م) ثم تلا توحيد نجد والحجاز انضمام تهامة في ١٣٤٩ هـ (١٩٣٠ م) ، وقبل ذلك كان فتح مقاطعة عسير وعاصمتها أبها في سنة ١٣٣٨ هـ ، وبذلك يكون عبد العزيز تمكن بعون الله له من توحيد جميع الأقاليم

السالف ذكرها ، كما وحد أَيضاً جميع القبائل المشار إليها .

وبعد هذا التوحيد إقليمياً وقبليًّا أَصبح من السهل عليه أَن يوطد أَمن البلاد ، بعد أَن قضى على تلك الفوضى الضاربة أَطنابها ، الناشئة من الانفصالات الإقليمية والانقسامات القبلية ، والحروب الأَهلية ، تلك التي كان مصدرها الأَول عدم الانضباط الناشيء من عدم وجود قائد كعبد العزيز يجمع بين الشدة بغير عنف ، واللين من غير ضعف .

ظلّت رواسِب الماضي مصْدر قلق حَتى قضَى عَبدُ العَزيز عليهَا

ليس من السهولة بمكان أَن تزول رواسب الماضي ومخلفاته من نفوس أُولئك القوم ـ ولا سيما قسم من رؤساء القبائل كفيصل الدويش وسلطان بن حُمَيد ، وخاصة الأَول الذي كان له نفوذ في قبيلته لا يضارعه نفوذ ، فهو رئيس من رؤساء قبائل نجد والحجاز معاً ـ وهو مع ذلك على جانب كبير من الدهاء وسعة الحيلة ، كما أَنه على ما يعرف عنه ـ لم يكن قانعاً ولا هو مؤمن إيماناً راسخاً بما قام به عبد العزيز في تحضير البادية ، إلا أَن دهاءه جعله يجاري التيار مرغماً ، أَما سلطان بن بجاد ابن حميد فإِنه على نقيض ما كان عليه الدَّويش ، أَي أَنه حسب تواتر الروايات عنه مؤمن بصواب التحضير ، ولكنه

دون الدويش مقدرة في سعة الإدراك ، فهو والحالة هذه في استطاعة الدويش أَن يدغدغ ما في نفسه من رواسب الماضي ، ويحرك كوامن الغرور باسم الدين .

ومن المعروف أَن قبيلة (مُطَير) وقبيلة (عُتيبة) تعتبران من أكبر قبائل نجد وأَخطرها فرئيس الأُولى كانت له اليد الطولى في حصار مدينة حائل ، والثاني له الباع الوافي واليد الطولى والأُولى في فتح مدينة الطائف أولاً ، ثم فتح مكة المكرمة .

إذن سيكون لانشقاقهما وإثارتهما للفتنة أَثر سيء العواقب ومجهول المصير ، لولا أَن الله قدر ولطف .

وهكذا التف على هذين الزعيمين قوم من أَتباعهما ، كما التف عليهما بعض رؤساء القبائل مثل فرحان بن مشهور بن شعلان ، رئيس قسم من قبيلة الرولة ، وهذا يشارك الدويش في اعتقاده بعدم قناعته وإيمانه بما عليه الإخوان ، والشيء الأَكيد أَن الباعث في نفوس الجميع - في ثورتهم ضد عبد العزيز - هو الحنين إلى رواسب الماضي ومخلفاته البائدة ، ومهما ادعوا من الدعاوي التي يصفونها بصفة دينية فإن هذه الدعاوي لها وجهان : وجه ديني

ظاهر يخدعون به أَتباعهم ممن لا يزالون يتعطشون إلى ماضيهم السابق ، ووجه باطن مستتر وهو رغبتهم في العودة إلى الغزو والنهب ، تلك العادات التي قضى عليها عبد العزيز قضاءً مبرماً .

لا أُريد أَن أَسترسل في ردود الفعل الذي قام به أُولئك الرجال في إثارة الفتنة محاولين أَن يردوها (جَذَعَةً) فكل ما وقع من الأَحداث في فتنة الدويش وابن حُميد وأَتباعهما كل ذلك تولى الإِفاضة في شرحه المؤرخون الذين تصدَّوا للكتابة عن تلك الأَحداث التاريخية الشاملة وعما استطاعوا الإِحاطة به علماً من سيرة عبد العزيز .

أَما كتابي هذا فإِنه مختص بالأَعمال والأَفعال اللتين لهما صلة بصفات عبد العزيز وَمُثُلِهِ ، ولما كانت ظاهرة الأَمن الذي نعيشه الآن من أَهم مُثُلِ عبد العزيز وقيمه وبطولته ، ولما كان هو بعد الله العامل الأَول والمباشر في إيجاد هذه الظاهرة المقدسة ، فإِنه لمن دواعي اغتباطي أَن أُضيفها إلى شيمه معتبراً إياها واحدة منها بل هي في طليعة تلك الشيم ، والعمود الفقري لبطولاته .



فيصل الدويش

ابتدأ الأمنُ بفتح حائل وبلغ القمة بفتح الحجاز وتوطد بعد السبلة

إذا كان كل عمل في الحياة يبدو في أَول الأَمر خيالاً عابراً ثم فكراً مدروساً ، ثم توضع له أُسس كأُسس البنيان تحكم وتحظى بالعناية ، ثم توضع لها الأَعمدة والأَساطين وكل ما يلزم لتقويتها حتى تكون صالحة لكي يشيد البنيان الشاهق اللائق فوقها ، ثم بعد هذا كله يحتاج هذا البناء إلى صيانة مستمرة ، تكون بمثابة الأَمان له من الانهيار والتلف والخراب .

أَقول : إذا كان الأَمر كذلك في كل عمل من أَعمال الحياة ، فإن المرء الدارس بعمق لشيم عبد العزيز ومثله وبسطه للأَمن في أَرجاء بلاده يستطيع أَن يدرك أَن أَمن البلاد بدأَ خيالاً في ذهن عبد العزيز منذ أَن فتح الرياض ، وبنى سوره ، وأَجاد حصونه – ثم انتقل ذلك الخيال

إلى فكر مدروس بعد أَن تمت له السيطرة على القصيم ، وذلك عندما غرس بذرته الأُولى في تحضيره البدو ، وإنشاء أَول هجرة قامت في (الأَرطاوية) تلك التي تعتبر النواة الأُولى لشجرة الأَمن ، ثم وضع أَعمدة الأَمن وباشر ببنيان طبقاته الأُولى بعد فتح حائل وتوحيد نجد إقليمياً وقبلياً ، أَما بعد فتح الحجاز فإنه شيَّد بنيان الأَمن ، حتى بلغ السمو والارتفاع درجة لا تضارعها ناطحات السحاب ، ووطد أَركانه إلى أَن يشاء الله .

ولما كان البنيان – مهما علا وتوطدت أُسُسُه – لا بد له من صيانة مستمرة ليصبح بمأْمن من الإنهيار والخراب ، فإن معركة (السّبلة) [1] التي قضى بها عبد العزيز على فتنة الدويش ومن تبعه من مثيري الفتن تعتبر أَبرز مظهر لصيانة هذا الأَمان الذي يعيشه سكان هذه الجزيرة في خيراته ، وهو أَمان لا يشعر بلذته ولا يتذوق طعمه ولا يأْنس به ، ولا يُسَرُّ به ، ولا يطرب لنغماته ، ولا يحس بسعادة أَثره إلا من يعرف حياة الفوضى التي كانت تعيشها هذه البلاد قبل أَن يوحدها المغفور له الملك عبد العزيز .

---

(١) كانت معركة السبلة في ١٩ شوال سنة ١٣٤٧ هـ (١٩٢٩ م) .

عادات سَيّئة أزالها عَبد العزيز

ذكرت في هذا الفصل ما تعانيه البلاد من اضطراب الأَمن ، ومن الغزو والنهب والسلب ، وذلك قبل أَن يوحدها عبد العزيز ، ويجعل – كما يقال – الذئب والشاة يرتعان في الوادي سواء ، وإِنه ليحسن بي أَن أَذكر الآن نوعاً من العادات التي أَزالها عبد العزيز إزالة تامة ، وهي عادات ظاهرها الإِباء ، وباطنها الرياء والنفاق ، لأَن كل شيء لم يكن طبعياً فهو نفاق .

والعادات التي قطع عبد العزيز دابرها – هي الآتية :

كان ساكنو نجد إِذا استضاف أَحدهم الآخر أَو أَقام أَحدهم للآخر مائدة طعام ، كان الضيف فرداً أَو جماعة حالما يتناول لقمة ، فيرفع أَحدهم يده من الطعام إشارة

منه للقيام – فيضطر الباقون إلى رفع أَيديهم – ثم (يتنحنح) أَحدهم ويقفز كالمطرود أَو كالملدوغ ، فيمثل الباقون العمل نفسه ، يقومون من الطعام ونفوسهم في أَشد النهم إليه من شدة الجوع ، فيعودون إلى بيوتهم إذا كانت قريبة أَو إلى ما لديهم من المؤونة إذا كانوا مسافرين في الصحراء ليتناولوا الطعام من جديد .

هذه العادة السيئة قضى عليها عبد العزيز فأَزالها ، ويقال : إنه في إحدى المرات شاهد رجالاً يطبقون هذه العادة فصاح بهم قائلاً : إذا كان الواحد منكم يقوم من الطعام وهو جائع ليذهب إلى أَهله ليتناول الطعام من جديد ، أَو إذا كان لم يأْت إلى هذا الطعام إلا وقد ملأ بطنه ، فدعوا الرجل الذي قد لا يجد عند أَهله طعاماً ، دعوه يأْكل حتى ينتهي بطبيعته .

وهكذا ظل عبد العزيز يقاوم هذه العادة إلى أَن محا آثارها من المجتمع ، حتى أَصبح المضيف إذا أَراد أَن يكرم ضيوفه ويجعلهم يشعرون أَنهم يتناولون طعامه وهم في كامل حريتهم يقول لهم (الحالة سعودية) يا إخوان !

وقد تبدل المثل الشعبي الذي يقول : (كل أكل الجمال وقم مع أَول الرجال) تبدل هذ المثل وحل محله جملة يقولها الناس في هذه البلاد وهم يتناولون الطعام :

(المرائي في أَكله كالمرائي في دينه) .

وكان عبد العزيز إذا جلس على مائدة الطعام لا يقوم من مجلسه حتى يشعر أَن جميع من على المائدة قضى وطره منهـا .

عادة دخيلة قاومها عبد العزيز بشدة وعنف

دخل على عاداتنا العربية عادة تنافي كل المنافاة الشيم العربية ، بل تنافي الكرامة الإنسانية .

وتلك العادة الدخيلة هي تعالي المواطن على أخيه المواطن الثاني بأي نوع من أنواع التعالي ، والتمييز والفروق ، مثال على ذلك ما يحدث أحياناً في مجالس بعض الناس ، فتجد ساقي القهوة في نادي هذا المرء أو ذاك يذهب ويسكبها لصاحب المنزل فيأتي هذا الذي يعتبر هو المضيف ويأخذ الكأس من الساقي ـ وكأنه هو الضيف ـ والأسوأ من ذلك أن يأتي الساقي ويتخطى واحداً أو أكثر من الجالسين ويذهب إلى شخص ما ـ في مكان ناءٍ فيناوله الكأس .

يقول أحد الرواة الثقات شهود العيان : ان ساقي القهوة في مجلس عبد العزيز عندما تخطى إنساناً وذهب يقدم الكأس إلى آخر ، يرى الساقي أن منزلته الإجتماعية ـ أرقى من الأول صاح عبد العزيز به ـ قائلاً له : لا تَعَدَّ الرجال يا . . . كذا .

ما يقوله عبد العزيز لفظاً يطبقه عملاً

كثير من الرجــال أعمالهم تخالف أقوالهم ، وقليل منا بني الإنسان من تكون أقواله مطابقة لأعماله .

وإذا كان هناك أفذاذ من الرجال ممن أقواله مطابقة لأعماله فإن عبد العزيز واحد من هذا الطراز ، يحدثني الأخ الأستاذ عبد المحسن الرشيد (رئيس بلدية مدينة الرياض) سابقاً ، والذي يعمل الآن في وزارة المواصلات: أنه كان رئيساً لبلدية الرياض في الفترة التي زار فيها المملكة الملك طلال ملك الأردن ـ وبحكم وظيفته هذه يقول : إنه ذهب يقدم للملك عبد العزيز ولضيفه الملك طلال ـ كأساً من شراب البرتقال ، وذلك في مطار الرياض ، في مكان الإستراحة ، ويؤكد الراوي أن الملك عبد العزيز رفض أن يتناول الكأس قبل ضيفه ، كما أن الضيف

طلالاً رفض أيضاً أن يأخذه قبل عبد العزيز قائلاً له : أنت خَلَفُ والدي . قال طلال هذه الجملة على حد ما روى عبد المحسن الرشيد جواباً لعبد العزيز عندما قال لطلال : (أحسن الله عزاءك بوالدك) فأجابه طلال بتلك الكلمة ، ولكن على الرغم من أن الملك طلالاً اعتبر الملك عبد العزيز خلفاً لوالده - رغم ذلك - رفض عبد العزيز رفضاً باتًّا أن يتناول الكأس قبل ضيفه ، ويمضي الأُستاذ عبد المحسن فيقول : إنني أخذت فترة من الوقت وأنا أُقدم الكأس لعبد العزيز فيدفعني بشدة مشيراً بأن أُقدمه لطلال ، كما أن طلالاً رفض قبول الكأس قبل من يعتبره بمنزلة والده ، وأخيراً يؤكد عبد المحسن بأنه قال للملك طلال : خذ الكأس أطال الله عمرك لقد تعبت من الوقوف بينكما ، فأخذ طلال الكأس .

والذي تجدر الإشارة إليه أن عبد المحسن الرشيد لا يمكن أن يتجرأ بقول هذه الكلمة ما لم يشعر بل ويقنع أن هذه الجملة ترضي الملك عبد العزيز في إكرامه لضيفه .

ولئن دلَّ هذا الأُسلوب الذي يتخذه عبد العزيز مع ضيوفه على شيء فإنما يدل - لا على التزامه وتمسكه

وارتباطه بالعادات العربية والإسلامية فحسب ، بل ويدل — على شعوره بثقته بنفسه ، وعلى كمال خلقه ، وعلى بعده كل البعد عن شعوره بمركب النقص .

ومن مسلمات الأُمور أَنك لن تجد إنساناً يتعالى على ضيفه بأَي نوع من أَنواع التعالي إلا وهو يفتقر إلى كمال الخلق ، ويشعر بمركب النقص ، وتنقصه الثقة بالنفس التي هي جزء لا يتجزأْ من شيم عبد العزيز ، بل ومن شيم كل عربي كريم .



الاستـــاذ
عبد المحسن
الرشيد

مَن الذي أوجَد الفوارق وَالامتيازات؟

هذا السؤال الذي وضعته عنواناً في هذه الصفحة لم أَضعه عبثاً ، وانما هو سؤال له ما بعده من المعاني التي نعيشها في حياتنا العملية ، ونعيشها في سلوكنا الأَدبي والأَخلاقي والاجتماعي .

سؤال ينبغي على القاريء أَن يتدبره بأَناة وترٍو وإِمعان .

من الذي أَوجد الامتيازات أَهو الحاكم الذي أَوجدها وأَمر بها ؟ أَم أَوجدها المحكومون ؟؟ . .

لو استعرضنا التاريخ البشري منذ أَن وجد الإِنسان على هذه الأَرض سائلين ومستفسرين وباحثين عمن أَو جد الفوارق ، بين الحاكم ومواطنيه سؤالاً نريد أَن نقف به على الحقيقة قاصدين ان نعلم علم اليقين أَهو الحاكم

الذي خلق التعالي والامتيازات ، وجعل لنفسه من العظمة التي قد تبلغ درجة العبادة والتأليه ؟؟ أَم المواطنون الذين أَوجدوا هذه الفوارق ، وخلقوا الامتيازات وجاءوا لهذا الحاكم وذاك الزعيم وأَعطوه من التعظيم والتمجيد ، أَو التأْليه ، ومختلف أَنواع الامتيازات والأَلقاب والنعوت ، حتى أَوهموا ذلك المخلوق الضعيف الفاني أَنه من عرق ودم يمتازان على سائر البشر .

أَجل لو أَلقينا هذا السؤال ، لجاءنا الجواب يقول إن الحاكم بريء كل البراءة من ذلك ، وانما عملية الامتيازات والتعظيم ، جاء بها المواطنون ، والمواطنون لم يأْتوا بها دفعة واحدة ، وإنما جاءوا بها على المراحل الآتية :

المرحلة الأُولى – يقوم بها المنافقون والمتزلفون .

المرحلة الثانية – يقوم بها مَنْ هم دون أولئك نفاقاً وتزلفاً .

المرحلة الثالثة – يقوم بها المواطنون الذين وان لم يكن من خلقهم النفاق ، إلا أَن نفوسهم جبلت على الضعف

والاستسلام والهوان ، فأصبح منطبقاً عليهم ما قاله ابو الطيب المتنبي :

من يهن يسهل الهوان عليه

ما لجرحٍ بميتٍ إيــلام

المرحلة الرابعة والأخيرة ـ تنمو الامتيازات نمواً سريعاً حتى تشمل المواطنين عن بكرة أبيهم المخلصين الصادقين منهم والمنافقين المتزلفين ـ ومن ثم تسري عدوى الامتيازات حتى تنتقل من الحاكم ملكاً أو رئيس جمهورية ، إلى من هو دونهما مراحل بعيــدة المدى ، لماذا ؟؟ لأنهــا جاءت بالتدريج من أدنى عتبة بالسلام إلى أعلاها . وعندئذ يكون التنافس لا بالأنفة والشمم . وإنما يكون التنافس بالتزلف والمراءاة والنفاق .

هكذا كان عبد العزيز يخاطب مواطنيه بدون تعال عليهم وهكذا يتقيد عبد العزيز بالمثل العربية

جئت بهذا التمهيد الذي ما كان لي أن آتي به لولا أنني أردت أن اثبت بالدليل القاطع أن المغفور له الملك عبد العزيز كان يخاطب موظفيه مخاطبة أخوية ، لا تعالي فيها ولا توحي بأدنى شيء من الفوارق ، أو الامتيازات التي يؤخذ منها ما يعبر عن التعالي ، بل نجد عبد العزيز الذي لو كانت الفوارق والتعالي والامتيازات مقبولة وجائزة في المجتمع العربي الذي نشأ فيه لكان أجدر من يستحقها هو ، لا من أجل أنه ملك ومن سلالة ملوك بل ولأنه مؤسس دولة ، وموحد شمل أبناء الجزيرة العربية وجامع شتاتهم ، ورافع مستواهم من الاقتتال والتناحر والتفرقة إلى الإخاء والوئام ، ومع ذلك نجده أبعد ما يكون عن أي معنى يمت إلى التعالي والفوارق بأية صلة :

أولاً ـ لأنه نشأ وترعرع في بيئة عربية لا تعرف معنى للتعالي والتمييز بين مواطن وآخر .

ثانياً ـ لأنه يطبق ما جاء في كتاب الله العزيز قال سبحانه وتعالى :

« يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ثالثاً ـ لأنه يسير على سنة وهدي محمد عليه الصلاة والسلام القائل : « كلكم من آدم وآدم من تراب ، لا فرق لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » .

رابعاً ـ لأنه مدرك أن التعالي لا يصدر إلا ممن يشعر بمركب النقص وان التواضع مصدره الثقة بالنفس . ولانه متواضع بفطرته .

وانطلاقاً من فطرته وبيئته ومجتمعه الذي نشأ فيه ، وإيماناً بما جاء بكتاب الله وسنة نبيه ، نجد عبد العزيز في معاملته مع مواطنيه ومكاتبته لهم ، نجده يخاطبهم بكتاباته بأسلوب لم يكن فيه أدنى رائحة يشم منها أقل

شيء من الفوارق، وها هي رسالته لموظفه شلهوب ، انظر اليها أَيها القاريء ، فهل تجد فيها معنى يدل على التعالي ؟ أَم أَننا نجده يخاطب موظفه محمد شلهوب مخاطبة الأَخ لأَخيه ، لا مخاطبة أُولئك الملوك والأَباطرة لمواطنيهم ، تلك المخاطبة المليئة بالتعالي وعدم المساواة ، بل نجد عبد العزيز في رسالته المرفقة صورتها يقول في صدرها ما يلي :

(من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى الأَخ المكرم الأَفخم محمد بن صالح بن شلهوب سلمه الله تعالى وأَبقاه آمين) ..

انظر إلى هذا الأُسلوب المليء بالرقة والطافح بروح الأُخوّة والأَدب .

ويواجهني الآن السؤال الآتي :

اذا كنا نجد هذا الأُسلوب الآن تبدل عما كان عليه عبد العزيز ، فهل هذا التبدل جاء من الملوك والأُمراء الذين جاءوا من بعد الملك عبد العزيز ؟؟ ام ان التبدل جاء من الموظفين ؟؟.

الجواب على ذلك يكاد يكون سلبياً ـ فيما لو لم يأْت

إليّ من الرسائل التي لا تصدر بخط الموظفين ، أما وقد وردت إليّ رسائل بخط يد ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز فإنني أستطيع أن أؤكد ما سبق أن أشرت إليه أن التبدل صادر من الموظفين ، فهؤلاء هم المسؤولون عن هذا التبدل ، فلو استقصينا الأمر لوجدنا هذا الموظف أو ذاك هو الذي قام بتبديل هذه التقاليد ، ثم قلده من هو أقل منه تزلفاً وخنوعاً ، ثم قلد هذا المواطن الآخر البعيد خلقه عن هذا وذاك ، حتى أصبح هذا التقليد الخاطيء المخالف للعادات والتقاليد والأخلاق العربية والسنة المحمدية البعيدة عن الامتيازات ، أصبح كأنه فرض يجب الأخذ به كما سلف ذكره .

قد يقال ان مثل هذا الأمر لا أهمية له ، ولكني أقول ان له كل الأهمية لأن الجيل الناشيء في عصرنا الحديث الذي يدعو مفكروه إلى العدالة ، ويطالب بعدم الفوارق ، وهو عندما يرى أمثال هذه الامتيازات التي وان كانت في مظهرها بسيطة ، ولكنها من حيث جوهرها ووقعها في النفس أبلغ الأثر في كيان المواطنين ، ولا سيما عند الجيل الذين يظنون وهماً ــ ان حكامنا يتعالون على مواطنيهم تعالياً موروثاً ــ ومن اين لهذا الجيل ان يعلم ان هذه الأمور

من ضمن الشكليات الدخيلة على تقاليدنا ، كالألقاب وأمثالها من العادات التي أدخلها على الأخلاق العربية وآدابنا الإسلامية القوم الذين نبذوها وراء ظهورهم ، ثم جئنا بعد ذلك نأخذ أخلاقهم السيئة ، وذهبوا هم يأخذون أخلاقنا الحسنة .

أقول من أين لهذا الجيل ان يعرف هذه الحقيقة ، اذا كنا لم نقدم له الدليل الناصع البيان المصحوب بمثل هذه الوثيقة التاريخية ، التي تعتبر أصدق شاهد وخير برهان ، وأوضح دليل يؤكد صحة ما أوردته من أن ما يصدر من أمثال هذه الأمور التي فيها ما يوحي بالامتيازات ، والتعالي والفوارق ، فان ذلك لم يكن بوحي لا من الملك عبد العزيز ولا من خلفائه وانما جاءت هذه السفاسف من المواطنين ، وعلى الأسلوب السالف الذكر .

وبعد فانني عندما أورد في هذا السفر ما استطعت العثور عليه « من شيم عبد العزيز » فان الذي يهمني ان تكون هذه الشيم دستوراً مطبقاً ومعمولاً به حذو القذة بالقذة .

وهاك الوثيقة التي أشرت اليها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل إلى جناب الأخ الكرم الأفخم محمد بن صالح بن شلهوب سلمه الله تعالى وابقاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته على الدوام مع السؤال عن حالكم لازلتم بخير وسرور أحوالنا من كرم الله جميلة تقدم لكم قبل هذا خطوط فيها من التعريف كفاية أخبارنا صحه ولا حدث ما يوجب الإفادة سوى الخير والعافية منتظرين أخباركم السارة الله تعالى يسمعنا عنكم ويسمعكم ما يسر الخاطر هذا ما لزم تعمدته مع ابني غير السلام سيدي الوالد والعيال ومن عندنا الإخوان والعيال يبلغون ودمتم محروسين

ل ١٥

لا بد لي من أَن أُشير في كتابي في هذا الموضوع إلى لفت انتباه القــاريء الذي يقرأْ بسرعة عــارية من التأْني والتدبر الذيْن يفوتان عليه إدراكه للحكمة من وراء كتابتي هذه .. أَو القاريء الآخر الذي يقرأُ وفي رأْسه عشرات المشاكل التي تشل أَفكاره ، وتعطل ذهنه عن معرفته للهدف المنشود من وراء كتابتي بصورة عامة لشيم العرب في الأَربعة أَجزاء والتي طبعت ونفدت ، والخامس في طريقه إلى المطبعة ، ولكتابتي لشيم عبد العزيز في هذا السفر ، ولكتابتي بصورة خاصة لهذه الصفحات التي بين يدي القاريء .

أَقول أُريد أَن أُؤكد للقاريء الأَول والأَخير ان هدفي مما كتبته بصورة عامة ، أَن يأْخذ الحكام والمحكومون مثلاً يقتدي به الحكام مما له صلة بشيم عبد العزيز ، ومثلاً نقتدي به نحن المحكومين المواطنين مما هو متصل بشيم العرب .

أَما غايتي الخاصة بما له صلة بهذه الكتابة التي في هذه الصفحات ـ فهي ان يأْخذ أَبناء عبد العزيز وأَحفاده ،

كما هم آخذون حظاً وافراً من تراثه الأخلاقي ، وان ينتبهوا لما أَدخله عليهم أَولئك الكتّاب الذين اذا أَصدروا رسالة لا من الملك ، ولا من ولي العهد فحسب ، بل إذا أَصدروا رسالة ممن هو دون ذلك ، جاءوا في صدر الرسالة بالعبارة الآتية : إلى (المكرم فلان) اي لم يكن في الرسالة الرقة والتواضع وعدم الترفع الذي في رسالة الملك عبد العزيز لموظفه شلهوب التي لم يكن فيها من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى الأَخ شلهوب فحسب ، بل نجد عبد العزيز يضيف إلى كلمة الأَخ عبارة أُخرى وهي الأَفخم .

فهل قللت من قدر عبد العزيز ؟؟ أَم اعتبرها التاريخ بعد نصف قرن مفخرة من مفاخر شيمه ومثله التي يسجلها له التاريخ بهذا السفر ؟؟ .

فاذا كان هناك كاتب متزلف أَو مغفل – ابتدع من عنده هذا التغيير ، ظاناً أَنه إذا وضع كلمة الأَخ تحط هذه العبارة من قيمة باعث الرسالة ، فان هذا مضلل بنفاقه ، أَو مسرف بغباوته إذا كان يتصور وهماً بأَن عبارة الأَخ عندما تصدر من الأَعلى إلى الأَدنى تنزل من مكانة الأَول ،

بل الواقع الذي لا جدل فيه ، أَنه كلما كان مقام الأَعلى مرتفعاً سمواً ، ومقام الأَدنى منحدراً انخفاضاً ، فان عبارة كهذه لا يكفي أَن نقول إِنها تزيد الأَعلى ارتفاعاً وسمواً وتقديراً .. بل وتجتث جذور الحزازات من النفس ، وذلك أَننا عندما نتدبر قراءة التاريخ بعمق وتروي ، نجد أَن مصدر الحزازات في نفوس بني البشر الحقد والحسد ، وهذا الحقد وذلك الحسد منشأَهما تعالي الانسان على أَخيه الإِنسان .

وهل جاءَ الإِسلام الا ليزيح هذه الفوارق ؟ وهل نشأَت الشيوعية الا من الأَحقاد التي مصدرها التعالي من الإِنسان على أَخيه الإِنسان ؟

وإِذا كان بعض من الكتاب السابقين سار على هذا النهج الخاطيء فان على الكتاب وخاصة رؤساء الدواوين ان لا يقلدوا المخطئين في خطئهم .

أَود أَن أَختم هذه الصفحات بشكري للأَمير سلمان بن عبد العزيز الذي أَتحفني بهـذه الرسالة في مناسبة كنت في مجلسه ، وهو يقرأْ رسائل تاريخية من والده وقد

ناولني هذه الرسالة ، ولسان حاله يقول : انظر كيف كان والدي يخاطب موظفيه ..

بروح التواضع ـ والأُخوة ـ والمساواة .



الأمير سلمان بن عبد العزيز والمؤلف

وهكذا ايتقيّد عبد العزيز بالمثل العُليا

للعرب شيم كريمة ، وأَخلاق نبيلة ، وعادات إنسانية فاضلة ، وتقاليد إجتماعية محترمة ، ورثها الأَحفاد عن الأَجداد ، وذلك منذ فجر التاريخ .

وقل أَن يشارك العرب أُمة أُخرى في تلك الشيم ، الكريمة ، وهذه الأَخلاق النبيلة ، فالكرم العربـي ، والوفاء العربي ، هاتان السجيتان أَصبحتا مضرب المثل عند الأُمم ، حتى إن المرء بات يسمعهما على الأَلسن بصورة كأَنهما السجيتان البارزتان في أَخلاق العرب بحيث لا يضارعهم فيهما أَية أُمة من أُمم البشر .

وإذا كنا نتكلم عن السجايا الفاضلة التي بَزَّ بها العرب الامم الأُخرى ، فإن هناك سجية من شيم العرب لا يوجد

لها اسم في قاموس جميع اللغات إلا في اللغة العربية وهي (النخوة) .

وما كنت أَعرف أَن اسم (النخوة) أَو معنى النخوة لا وجود له إلا في اللغة العربية إلا في مناسبة شرحها يبعد بنا كثيراً عن صلب الموضوع الذي أَجدني مستمراً في الكتابة فيه ، وقد ذكرت تلك المناسبة بوضوح في كتابي « من الطفولة إلى الكهولة » ـ وهو الكتاب الذي لم يطبع بعد ـ .

ومما تجدر الإشارة إليه أَن تلك المناسبة لها صلة بالنخوة العربية التي سوف أُورد موقفاً ، من مواقف عبد العزيز العربية المثلى التي كان من دواعي شرفي أَن أَلفت أَربعة أَجزاء أَسميتها « من شيم العرب » وقد ذكرت في ذلك السفر ما استطعت الإلمام به من شيم العرب ، كالوفاء والعفو ، وحماية المستجير ، والسخاء والشجاعة وإكرام رفيق السفر ، ومواساته في السراء والضراء ؛ وهذه السجية الأَخيرة لها وزنها وأَهميتها العظمى عند العرب مما جعلني أَضعها في مقدمة الجزء الرابع من شيم العرب ـ

ـ مخصصاً لها فصلاً خاصاً في هذه السجايا المثلى ، ومقدماً للفصل ببيتين لحاتم الطائي وهما :

إذا كنتَ ربًّا للقلوص فلا تَدَعْ
رفيقكَ يمشي خلفها غيرَ راكبِ

أَنِخْهَا وأَرْكِبْهُ فـإن حملتكما
فذاك ، وإن كان العقاب فعاقبِ

والخلاصة ان من شيم العرب ومن أَنفتهم ونخوتهم أَن العربي لا يرضى أَن يؤثر نفسه على رفيقه في السفر إذا جمعتهم محنة السفر ومشاقه ، وقد ورد في الحديث : (السفر قطعة من العذاب) .

وإذا كان كل من ورد اسمه في أَحد الأَجزاء الأَربعة من كتاب « من شيم العرب » لم ينل أَكثر من قصة فإن في هذا السفر « من شيم عبد العزيز » ثروة من الشيم ، ورصيداً لا ينضب معينه من القيم ، وكنزاً وافراً من الْمُثُلِ ، الأَمر الذي يجعلني أَعتقد أَنني مُحِقٌّ فيما إذا قلت : إن عبد العزيز ثروة من الشيم ، وكنز من كنوزها .

وإذا كنت ذكرت في الصفحات السابقة ما بلغه علمي من شيم عبد العزيز ، فإنني سوف أورد في هذا الكتاب ولا أَقول في نهاية شيم صاحب الترجمة الذي لا أَتصور أَن كاتباً يستطيع أَن يحصرها ، سوف أُورد المعنى الذي أَشرت إليه من قبل ، وأَعني به النخوة العربية ذات الصلة بإكرام رفيق السفر ، ومواساته في محنته وبؤسه . أَو ما يسمى بـ (الْخَوِيِّ) تلك الشيمة العربية التي أَفاض الشعراء الشعبيون النجديون في الحث على احترامها وبيان عظمة شأْنها ، كما أَفاض شعراء الفصحى بالوفاء وبحماية المستجير .

وعلى سبيل الاختصار أَذكر موجزاً مما قاله أُولئك الشعراء على الوجه الآتي :

خَوَيَّنا لَوْ هُو من الْجَدِّ بِـ (صْلَيْبْ)
مِتْعَلِّقٍ مِنَّا بْراسَ السَّنَامِ

هذا البيت ضمن قصيدة طويلة للأَمير عُبيد العلي بن رشيد ويأْتي بعده أَبو زُوَيِّد ناصحاً ابنه حمَّاداً فيقول :

حمّاد خذْ من والدك لك مِسَالهْ [1]

مِسَالْةٍ ما يفهَمَهْ كـل رجّـالْ

إحْشِمْ خَوِيِّكْ عن دروب الرّزالةْ

تَرَي الْخَوِيّ عندَ الأَجاوِيْدْ لهْ حالْ

ويقول الشاعر خالد العلي من مدينة الرس في القصيم :

خَوِيّنا ما نصلبه بالمصاليب

ولا يشتكي منا الجفا والعزاري

(١) مساله : أي نصيحة .

أصرّ عَبْدالعزيز إلاّ أن يَبيت طاوِيًا مثل رفاقِه

ما دام الشعراء الشعبيون وهم اللسان الناطق والمعبر بكل صدق وأَمانة عن شيم أُمتهم وقيمها ومالها وما عليها ما داموا يعتبرون (الخوي) رفيق السفر بالمنزلة التي يعتبرون بها الوفاء بالعهد . وحماية المستجير وإكـــرام الضيف ما دام الأَمر كذلك ، فلا عجب من أَن نجد الملك عبد العزيز حينما حكمت ظروف على موظفيه بأَن يبيتوا جياعاً ـ عند ذلك ـ أَصر هو إلا أَن يشارك رفاقه الجوع ، وأَن يبيت طاوياً .

كان ذلك في إحدي سفرات عبد العزيز التي سافر فيها بالسيارات من الرياض إلى مكة ، وفي الوقت الذي كانت الطريق التي تجتازه السيارات الآن بين الرياض

إلى مكة في ساعات محدودة لا تتجاوزه السيارات في ذلك الوقت إلا في مدة أدناها ثلاثة أيام بلياليهن ، وعندما تقع الأمطار تظل السيارات أياماً وأياماً في الطريق ثابتة في مكانها لا يستطيع قائدوها أن يحركوها من المكان الجاثمة فيه .

في يوم من الأيام الذي غادر به عبد العزيز الرياض قاصداً مكة لتأدية مناسك الحج ، هطلت أمطار غزيرة — فلم تستطع السيارات في ذلك اليوم اجتياز مكانها ، وكذلك السيارت التي فيها عدة الطاهي ، وكامل المؤونة الغذائية .

وكل ما استطاع أن يفعله الطاهي أنه سعى بإنجاز وجبة خاصة للملك وقدمها إليه مسروراً بأنه استطاع تقديمها — لأن الملك من الصباح الذي خرج مبكراً به من الرياض لم ينل شيئاً من الغذاء .

كان الطاهي (الطباخ) يشعر باعتزاز وزهو عندما قدم الوجبة لعبد العزيز ، وكان يتصور أنه سوف يمنحه هبة مالية سخيّة — لأنه أحضر له طعاماً من الصعب إحضاره ولكنه فوجيء عندما سأله عبد العزيز قائلاً : هل قدمت

لكل واحد من رفاقي طعاماً كما قدمت إلي ؟ ... وعندما أجابه الطاهي بالنفي قال عبد العزيز : كيف تقبل نفسي الطعام في الحين الذي رفاقي يبيتون على الطوى ؟ .. .

هذه القصة نقلتها عن الأَخ عبد الرحمن الحميدي . وهو يرويها رواية من رأى وشاهد وقوعها - بصفته أَحد موظفي ديوان الملك .

هذا وقد ذكرت في مؤلفي « من شيم العرب [1] » قصة جماعة من قبيلة شمر ، يقال لهم (الشِّلْقان) الذين حملوا رفيقهم الجريح فوق أَكتافهم خمسة عشر يوماً بلياليها ، وأَشرت في آخر تلك القصة إلى حادثة متصلة بها اتصالاً مباشراً وفيها ما يعبر أَبلغ التعبير عن كون الشيم العربية الموروثة تفرض على ذوي النفوس الأَبية الترفع من إيثار النفس على الرفيق بما هو أَقل من القليل .

ومن أَجل أَن يدرك القاريء أَن عبد العزيز عندما رفض أَن يؤثر نفسه على موظفيه ، إنما هو بعمله هذا

---

(١) ج ٤ ص ٢٥ وما بعدها .

يطبق الشيم العربية التي امتزجت بدمه ولحمه ، من أجل ذلك يحسن بي أن أورد موجز تلك القصة للقاريء الذي لم يطلع عليها .

صاد أحد الرجال السبعة الذين حملوا رفيقهم خمسة عشر يوماً ، صاد جربوعاً (يربوعاً) ولما شواه قدمه للجريح المحمول ، ولكن الجريح أبت نفسه أن يختص به دون رفاقه ، فقدمه لأحد الذين حملوه ، وهذا الثالث قدمه للرابع ، وهكذا ظل السبعة يتداولونه إلى أن عاد مرة ثانية إلى الجريح ، فأمسكه هذا بيده قابضاً عليه إلى أن وصل هو ورفاقه أهلهم ، عند ذلك قدم الجريح ذلك الجربوع ورمى به أمام قومه ليثبت لهم أنه لم يؤثر نفسه عليهم .

هذه خلاصة تلك القصة .

الايثار فيما فعل عبد العزيز
أبرز منه في تلك القصّة

الشيم العربية بعضها يشابه بعضاً ، وإنما تختلف بالأَفضلية اختلافاً كلياً أَو جزئياً من حيث الزمان والمكان والظروف .

وإذا كانت صفة الإيثار بين الجريح الشمري وبين عبد العزيز متشابهة ، فان هناك معان متعددة إذا قورنت بين هذين الإيثارين يكاد المرء يجعل لعبد العزيز الأَفضلية على فعل ذلك الجريح ، وان كان الجريح ضرب المثل الأَعلى بإيثاره ، ومعاني الأَفضلية تتلخص بما هو آت :

أَولاً – لا يفوتنا الانتباه أَن الجريح واقع تحت رحمة رفاقه الذين حملوه ، وليس من العقل أَن يؤثر نفسه وهم أَصحاب الفضل والمنة عليه ، بينما عبد العزيز

هو السيد المطاع ، وصاحب المنة ، والمنعم المتفضل بعد الله على موظفيه .

ثانياً ـ لو أكل الجريح ذلك اليربوع الذي اسمه أكبر من جسمه ، لو أكله دون رفاقه البدو ، فانه سيعاب بين قومه رجال البادية ، على اعتبار أن هؤلاء أكثر تمسكاً بمثل هذه التقاليد من الحضر ، بينما عبد العزيز لم يجد ولن يجد من يعيبه أو من يحاسبه ، إلا ضميره الحي ، ووجدانه العامر اليقظ .

ثالثاً ـ الجربوع الذي قدم للجريح مضغة لا يسمن ولا يغني من جوع ، بينما الطعام الذي قدم لعبد العزيز وجبة عشاءٍ تزيد عن حاجته .

رابعاً ـ علينا أن نقارن بين الزمان البعيد المدى ، الذي كان أهله في ذلك العهد يحاسبون المرء على أدنى زَلَّةٍ تنافي الشيم وبين الزمان القريب العهد ، الذي بدأت به الحضارة تبعد بنا شيئاً فشيئاً عن تقاليدنا الموروثة .

ومن مقارنة كهذه يبرز فضل عمل عبد العزيز على ما فعله الجريح وإن تقارب الفعلان ، في الشبه .

وبعد .. فإذا كانت هذه القصة جاءت من عبد العزيز في عهد السيارات ، ووفرة وسائل الرفاهية ، فكم يا ترى من قصة إيثار كهذه صدرت منه في أَيام فتوته ، وثورته ، وغزواته ، في تلك السنين العِجاف التي تفرض على أَهلها مواجهة المشاق ، والمحن وتجشم الأَهوال .

وفي سياق حديث عابر من أَحاديث الأَصدقاء المتشعبة ، وإذا كان الأَخ الحميدي روى لنا هذه القصة بمحض الصدفة . فان الأَخ فيصل الرشيد أَسمعني بمحض الصدفة أَيضاً قصة قريبة الشبه للقصة التي رواها الحميدي ، والراويان الأَول والثاني كلاهما على قيد الحياة حتى كتابة هذه الأَسطر ، وما دمت أَوردت ما رويته عن الحميدي ، فانه ليطيب لي أَن أَورد ما رويته عن الأَخ فيصل الرشيد واضعاً قبل روايته المقدمة الآتية :

هناك أمور جزئية من حيث مظهرها وهي عظيمة بمفعولها

كانت وجباب الطعام في الرياض وجبتين: وجبة تكون ضحى - وهذه تسمى الغداء - ووجبة تكون قبيل غروب الشمس وهذه تسمى العشاء .

ويأتي بين هاتين الوجبتين - أحياناً عند الموسرين وجبة تكون بين صلاة الظهر وبين صلاة العصر ، وتسمى ، هذه الوجبة « هجور » .

وحينما يخرج الملك عبد العزيز إلى القنص في الصحراء ، تتغير مواقيت وجبات العشاء ، فبدلاً من أن تكون قبيل غروب الشمس يكون العشاء بعد الغروب .

ووجبة العشاء هذه لا بد إلا أن يشارك بها عبد العزيز رجاله . وعندما أقول رجاله فانني لا أقصد بذلك مستشاريه ، أو كبار موظفي الدولة ، فهؤلاء يقدم لهم طعامهم طازجاً ،

في مخيماتهم ، وانما أعني برجاله : جلسائه ، وندمائه الذين منهم من آل السعود ، وآل الرشيد ، وبعض من رؤساء القبائل .

ووجبة الغداء والعشاء متقاربان بالنوع فغالباً ما تكونا الأَرز واللحم – أَما وجبة الهجور – التي لم تكن وجبة الزامية ، فانها تختلف بنوعها عن وجبتي الغداء والعشاء ، فقد تكون تمراً ولبناً وزبدة ، وهذا النوع من أَلذ وأَطيب أَنواع الغذاء خاصة عند أَهالي نجد ، بل كانت هي وجبة الغذاء الرئيسية والمفضلة ، ولا سيما عند الموسرين ، وأَحياناً يكون «الهجور» من النوع الذي يسمى « كليجا » وهو عبارة عن طحين معمول بالسكر والسمن وحجمه يقارب راحة الكف ، وهذا لا يتوفر أَيضاً إلا عند الخواص ، ولا يعبأ به إلا في الأَسفار .

وطوراً يكون هذا « الهجور » لحماً مقلياً – أَو كما يقال عندنا « حميس » وهذا أَيضاً لا يكون إلا في أَوقات محددة ، كالأَيام التي يسافر بها الملك عبد العزيز بالسيارات من الرياض إلى الحجاز – أَو عندما يذهب الملك للقنص .

سبق ان قلت : بأَن الوجبة الرئيسية التي يشارك بها عبد العزيز جلساؤه هي وجبة العشاء ، كما قلت أَيضاً : إن وجبة « الهجور » تعتبر وجبة إضافية .

وهذه الوجبة هي الي جاءت مصدراً استلهمت منه حقيقة ربما تعتبر ثانوية أَو جزئية من حيث مظهرها الخارجي ، ولكنها ، من حيث جوهرها وتأْثيرها المعنوي لها شأْن يختلف عن مظهرها ـ وهي الي أَنقلها عن راويها ـ وأُحدد زمانها ، ومكانها ، وتاريخها ، فالراوي كما أَسلفت هو الأَخ فيصل الرشيد ، واما المكان فانه في الصحراء التي اعتاد الملك عبد العزيز ان يخيم بها في أَيام الربيع عندما يذهب للقنص ، وهو مكان يقارب مائة ميل عن الرياض ، أَما الزمان ، وهو ان لم يحدده الراوي بصورة جازمة ، إلا أَنه في تقديري لروايته يكون حوالي عام ١٣٤٧ هـ ، اي منذ خمسين سنة . والقصة بحد ذاتها جاءت كما يلي :

يقول الراوي انه جاء إلى مخيم آل رشيد رسول من الملك عبد العزيز يطلبهم للحضور عنده ، وذلك بعد الظهر

وقبيل العصر ، ويمضي الراوي قائلاً بعد ان تكامل عدد المدعوين وأَخذ كل شخص منهم مكانه ، اتجه اليهم الملك وقال ما معناه :

« أَحضر الطباخ إليّ لحماً محموساً ، فما قبلت نفسي أَن أَنفرد به لوحدي وفضلت أَن تشاركوني به » .

سبق أَن قلت ـ وأُكرر القول ـ إن عملاً كهذا من عبد العزيز يعتبر شيئاً لا يثير الانتباه من حيث مظهره المعنوي ، ولكنه من حيث تأثيره العملي ، نجد عبد العزيز بهذا العمل وأَمثاله أَراد ان يملك قلوب آل رشيد أَخلاقياً ، وأَدبياً ومعنوياً ، لينسيهم إلى الأَبد ما استولى به على حكمهم عسكرياً .

ترى لو ان عبد العزيز بعث لكل واحد من آل الرشيد مبلغا مغريا من المال ، أَيمكن أَن يكون لهـذا المبلغ التأْثير المعنوي على نفوس وقلوب الموهب لهم مهما بلغت الهبة المالية من العدد ، كما هي الحال في هذا الأُسلوب المؤثر الذي اتخذه عبد العزيز مع هؤلاء القوم ؟؟ .

او ليس بامكان عبد العزيز ان يبعث لكل واحد من آل

الرشيد ـ كبشاً محموساً طازجاً ؟؟ .

ثم لو فعل الملك عبد العزيز ذلك ، أَما كان للأَخ فيصل ان ينسى هذا العمل ؟ ولكننا لا نجده نسي تـأْثير هذه الدعوة التي مضى عليها الآن نصف قرن . والواقع ان للأُمور المعنوية تـأثيراً على شعور وعواطف العربي بل وعلى عقله أَكثر بكثير من تـأثير المواضيع المادية ـ وإدراك عبد العزيز لهذه الظاهرة ، هو الذي جعله يهيمن معنوياً عـلى قلوب أَعدائه باخلاقه وشيمه واريحيته ، أَكثر من هيمنته على رقابهم عسكرياً ؟! و إلا كيف استطاع عبد العزيز ان يوحد هذه البلاد ، وهو الرجل الذي لم يستند على حزب منظم يحكم به البلاد عن طريقه ، ولم يركن يوماً من الدهر لا إلى قبيلة تناصره ، ولا إلى طائفة تؤازره ، كما لم يقم بانقلاب عسكري يختلس به السلطة ، ويعلن عن نفسه بـأَنه الثائر التقدمي الوحدوي !! وما دام ان الوسائل المؤدية للحكم يندر ان يصل اليها حاكم ما في وطننا العربي ، ما لم يستند إلى واحدة من هذه الوسائل .

اذن كيف وحد عبد العزيز هذه البلاد الفسيحة المترامية

الأَطراف لو لم يكن لديه كنز من الشيم لا ينضب معينه ، وثروة من الأَخلاق الكريمة التي خولته ان يملك بها قلوب مواطنيه ، ويأسر بها نفوسهم ويهيمن بها على جوارحهم ؟؟

إذن كم هي شيم عبد العزيز التي درست واختفت في صدور أُولئك الرجال ، الذين عاصروا عبد العزيز ، وعرفوا شيمه ومُثُلَهُ عن كثب ؟ وأَعني الذين عرفوه منذ أَول انطلاقه ، وإبَّان فتوَّته ونضاله ، وكفاحه المستمر الدؤوب ، وما لقيه ، هو ورفاقه الرواد الأَوائل ، من نصب ومشاق ، أُولئك الأَبطال الذين لا يهتمون بالكتابة ، ولا يأْبهون لها ، وإنما يفعلون الفضيلة من أَجل أَنها فضيلة ، ويتخلقون بالشيم لكونها شيماً .

نعم كم يا ترى مات من الأَحاديث والشيم بموت ذلك الرعيل الأَول ؟ وكم اختفى باختفائهم من شيم عبد العزيز ؟..

معاملة عبد العزيز للمرأة

كانت الفوارق بين الرجل والمرأة عند العرب قبل الإسلام ، وعند بعض الامم فوارق بعيدة المدى لا حدود لها ، وكانت المرأة تعاقب عند العرب في الجاهلية بأشد العقاب عند أدنى خطيئة ترتكبها ، بينما الرجل يرتكب أكبر الكبائر ولن يجد في أهله من يمسه بسوء ..

لا نستطيع أن نجد تفسيراً لهذا النظام الجائر سوى تفسير واحد فقط ، هو أن المرأة حكم عليها مجتمعها الظالم بالاستكانة والمهانة والذلة والاحتقار ، منذ اليوم الذي ولدت به وهي موضع تشاؤم ونفور وكراهية كما قال تعالى في كتابه العزيز (وإذا بُشِّر أَحدهم بالأُنثى ظلَّ وجهه مُسْوَدًّا وهو كظيم) .

ولذلك أَصبحت الفتاة ضعيفة عاجزة عن الدفاع عن نفسها ، عندما توضع في قفص الاتهام ، وتعاقب بالجلد ، أَو بالإِعدام ، بينما الشاب يرتكب ما يشاء من الفجور والفسق ولا يجد ولن يجد من أَهله من يعاقبه . لماذا ؟ ... لأَنه يملك الدفاع عن نفسه ، ويرد الصاع صاعين لأَيّ شخص من أَهله يحاول أَن يمسه بأَذى .

وقد جاءت الشريعة الإِسلامية فساوت بينهم بالعقاب ، كما ورد في قوله تعالى : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) ، والآية الثانية (والسارق والسارقة فاقطعوا أَيديهما) .

وهكذا لا نجد في كتاب الله فوارق بين الجنسين إلاَّ في أُمور معروفة .

وإذا كان عبد العزيز في حياته الزوجية منصفاً للمرأة ، فإِن إِنصافه هذا جاء نتيجة لاتباعه هدي النبي محمد عليه الصلاة والسلام الذي يقول : « خيركم خيركم لأَهله ، وأَنا خيركم لأَهلي » والذي يقول : « يغلبن الكرام ويغلبهن اللئام » ، وهو الذي كان يوصي بالمرأة خيراً ، وهو على فراش الموت إلى أَن لحق بالرفيق الأَعلى .

عندما تكون الروايـة متواتِرة وَمشهورة

حينما تكون الرواية مشهورة فإن الكاتب أو الراوي لا يحوجه الأمر لأن يحدد المصدر الذي ينقلها عنه ، وهكذا الأمر بالنسبة للرواية التي سمعتها في معاملة عبد العزيز الحسنة للزوجة ، تلك الرواية التي سمعتها من أكثر من واحد من الرواة الكثيرين الذين يؤكدون أنهم سمعوا عبد العزيز يتحدث في مجلسه الخاص الحديث الذي اعتاد أن يجعل ناديه مع جلسائه حُرًّا مَرِحاً بعيداً كل البعد عن (البروتوكولات) ومن حديث عبد العزيز في مجلسه قوله : أنه إذا أراد أن يذهب إلى زوجته ، فإنه (يستحم) أولاً ثم يستعمل العطر متطيباً بأحسن أنواع الطيب ، ويؤكد الرواة أن عبد العزيز يبرر عمله هذا بقوله : كما أن المرأة تتجمل من أجلي وتحاول أن تكون نظيفة ورائحتها طيبة ، فكذلك ينبغي أن أعاملها بنفس العمل الذي تعاملني به .

أَما حياته الزوجية داخل قصره فإنني لا أَستطيع أَن أُعبر عنها تعبيراً وافياً كافياً ، لأَنني لم أُوفق بالاتصال بالرجال الذين يعرفون هذه الحقيقة معرفة من نظر وشاهد ، وإنما أَستطيع أَن أَستدل على أَن حياة عبد العزيز الزوجية حياة مرحة بعيدة عن الكلفة مما أَستنتجه من الأَدلة الآتية :

١ ـ ما دام أَن عبد العزيز يحاول أَن يجعل جسده نظيفاً عبقاً بالرائحة الشذية المنعشة فيما إذا أَراد أَن يذهب إلى فراشه إرضاءً لزوجته ، فإنه سوف يحاول إرضاءَها بالأَعمال الحسنة الي تحاول هي أَن ترضيه بها .

ب ـ الاستنتاج الثاني ـ يؤخذ من حديث عبد العزيز نفسه الذي تحدث به أَكثر من مرة في مجالسه الخاصة عندما قال : إن الوقت الذي آنس فيه هو الساعة التي أَقضيها في مجلسي مع جلسائي ، والساعة الي أَقضيها بين أَهلي واولادي .

ج ـ والاستنتاج الثالث هو ما رويته عن مستشار عبد العزيز الخاص فؤاد حمزة الذي سمعته يقول : لا يستطيع أَن يكتب عن عبد العزيز الكتابة الوافية المستفيضة إلا الرجل الذي يعيش معه داخل منزله ، ويمضي (أَبـــو

سامر) فؤاد حمزة فيقول : إن لعبد العزيز داخل منزله وبين أَهله وأَبنائه تجليات عجيبة وجميلة .

المطلّقة لا تفقد من عبد العزيز إلاّ شخصه

وإذا كان الدين الإِسلامي ينص على أَن من حق المرأَة (إِمساك بمعروف أَو تسريح بإِحسان) ، فإِن عبد العزيز بقدر ما يعامل المرأَة بالمعروف واللطف ما دامت بعصمته فإِنه يعاملها إِذا طلقها بالإِحسان والكرم ، وذلك أَنه إِذا أَخلي سبيل المرأَة وفَّر لها جميع وسائل الراحة والرفاهية والعيش الهنيء الذي كانت تتمتع به عندما كانت بعصمته ، بصورة لا تشعر المرأَة المطلقة أَنها فقدت من عبد العزيز إلا شخصه، بل وكثيراً ما يسعى عبد العزيز نفسه بأَن يجد لمطلقته زوجاً تعيش معه حياة زوجية سعيدة .

أَما الرجل الذي يكتب له الزواج بمطلقة عبد العزيز فإِنه لا يشكو من الفاقة ، وذلك أَن جميع النفقات التي تتمتع بها تلك المطلقة عندما كانت بعصمة عبدالعزيز كلها تظل جارية ولا ينقص منها شيء بعد قرانها ببعلها الجديد.

الفصل الخامس عشر

الحياة الاجتماعيّة والثقافية قبل عهد عبد العزيز وأثناء عهده



ذكرت في الفصل الذي سبق هذا حالة اضطراب الأمن قبل عهد عبد العزيز ، وما وصلت إليه البلاد من أمان واطمئنان ، بعد توفيق الله له حينما وحد شبه الجزيرة ، وأصبحت في وضع من الأمان لا يشاركها فيه أي بلد عربي ، إن لم أقل لا يشاركها فيه أي بلد في العالم .

ويطيب لي الآن أن أذكر نماذج لما كانت عليه البلاد قبل عبد العزيز من شتى النواحي الاجتماعية ، والاقتصادية والثقافية ، كما أذكر بعد ذلك ما وصلت إليه البلاد في عهده من تحسن اجتماعي ، ونمو اقتصادي ، وثقافي وصحي الخ ...

وكما انني بدأت في عرض اختلال حبل الأمن في نجد

التي أجدني أعرف بها من الحجاز بصفتي من أهلها ، فإنني سوف ابتديء بعرض ما كانت عليه نجد من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والزراعية الخ ... ، ثم أعود إلى ذكر ما وسعه علمي عما كان عليه الحجاز من هذه المعاني الحيوية ، واليك ما كانت عليه نجد .

الناحيتان : الاقتصادية والاجتماعية

كانت البلاد تعاني من البؤس والحرمان أشد ما توصف به من سوء الحالة في شتى النواحي العامة ، ولنأت الآن على ذكر الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، فلقد كانت المعيشة في تلك الفترة قاسية جداً ، فالقوت الرئيسي هو التمر في الدرجة الأولى ، ثم يأتي من بعده البُر ، وأما الأرز فقد لا يوجد بصورة متيسرة إلا عند القليل من الأغنياء ، مع العلم أنه لا يوجد في البلاد طبقة من ذوي الثراء الفاحش .

وقد تحل بالبلاد أحياناً أزمات ، فلا يتيسر في بعض السنين القاحلة لأكثر أهلها من الفقراء حتى التمر ،

وكانت المجاعة - كما نقل لنا الشيوخ - تبلغ من القسوة درجة تجعل بعض الناس يأكل العشب ، وتتضاعف هذه القسوة إلى الحد الذي يجعل البعض الآخر يحفر بيوت النمل ليحصل على حبيبات الشعير التي سبق للنمل ان ادخرها إلى حصاد الزرع ليجعل منها مؤونة له في فصل الشتاء.

الأَمر الذي حمل بعض أَهل البلاد على الهجرة إلى خارجها ، وهؤلاء المهاجرون ينقسمون إلى قسمين : قسم يمتهن حرفة التجارة فيذهب إلى الشام ومصر ، وإلى العراق ، بل وإلى الهند ، وربما لا يكون بيد الواحد من هؤلاء رأس مال كاف يتاجر به ، ولكن المعروف عن أَهل نجد الأَمانة والصدق في المعاملة ، وهذه الأَخلاق كافية لأَن تجعل أَصحاب الأَموال في تلك البلاد يدفعون لهم قسطاً وافراً فيعملون به على سبيل المضاربة ، - أَي نصف الربح لصاحب المال ، والنصف الآخر للمضارب مقابل أَتعابه - وكثير من هؤلاء الرجال سرعان ما يحالفه التوفيق ، بفضل صدقه وأَمانته واجتهاده ، فتنمو ثروته حتى يترك المضاربة

ليعمل برأس ماله الخاص ، وقسم منهم لا يعود إلى مسقط رأسه (نجد) بل يستقر في البلاد التي ينجح فيها ، وتتوفر له فيها وسائل الحياة الطيبة ، والرزق الفسيح ، والمثل الدارج المشهور عند أَهل نجد يقول : (البلاد التي ترزق بها الصق بها) .

وهذا مما جعل العدد الوافر من سكان الكويت والزبير والبصرة يرجعون بأُصولهم إلى نجد .

أَما القسم الثاني فإنه يهاجر أَيضاً إلى الشام أَو إلى الحجاز في عهد الأَتراك ، فهؤلاء يهاجرون إلى تلك البلاد من أَجل أَن ينخرطوا في سلك الجندية كجنود مرتزقين ، وقسم يذهب إلى الكويت من أَجل امتهان (الغوص) في البحر لإخراج اللؤلؤ من قعر البحر ، والكثير من هؤلاء وأُولئك ، يستمر في هجرته ولا يعود إلى بلاده ، ولهذا نجد المثل المشهور في نجد يقول: « نجد تلد ولا تغذي » أَي إن الأَجيال التي تولد بها تبارحها ، طلباً للغذاء المفقود فيها .

وما (مدرسة الأَيتام السعوديين) التي فتحت في دمشق

عام ١٣٧٢-١٩٥٢ والتي تخرج منها ٢٧٠ طالباً وكلهم يباشرون الأعمال في بلاد آبائهم - وتضم الآن ما يزيد على (١٧٠) طالباً وطالبة كلهم من أصل سعودي ، ما وجود هؤلاء الفتيان والفتيات سوى دليل محسوس يؤكد صحة ما أشرت إليه ، على أن القسم الكثير من المهاجرين من نجد لا يعودون إليها بسبب ما يعانيه أهلها من التعاسة والقحط ، وشدة الفاقة . ومدرسة الايتام هذه لي الشرف بابتكار الفكرة الرامية إلى تأسيسها .

وإذا كان الشعراء الشعبيون في كل زمان ومكان يعكسون أصدق صورة عن الحياة الاجتماعية ، فإننا نرى الكثير من أولئك الشعراء يصف حياة أهل نجد القاسية وصفاً واقعياً ، فهذا أحد شعرائهم يصف نجداً بقوله :

يا نجد من سمّاك نجْدٍ غوي فيك
وراه ما سمّاك أمَّ الفنَايِـعْ
اللِّيْ على خيـل وجيشٍ سكن فيك
واللِّي على الرِّجْلَيْن يا نجد ضايع[1]

---

(١) اللي : تقوم مقام الذي في تعبيرنا الشعبي .

ثم بعد ذلك جاء الشاعر فهد بن صليبيخ وأخذ هذا المعنى فقال :

يا نجد من سماك نجد غوَى اسْمَاكْ
وراه ما سماك أمّ البـــلاوي

يا صَبْرِ سِكَّانِكْ على كِتْرِ بلـواكْ
واللِّي مكذِّبني يقول انت دَاوِي

جيلٍ توازِينــه وجيلٍ تُوَشْـــلاكْ
وجيلٍ تغلِّينه بْحَـرَّ المكـــاوي

اللِّيْ بلاهَ الْقلّ واصْخـى بفرقــاك
يبغِي المعــزَّةَ لــو يْسَمّى جَلاَوي[1]

هذه صورة مصغرة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، في الفترة التي أعني .

الناحيتان: الزراعيّة والصحيّة

أما من الناحية الزراعية فإنها محدودة للغاية ، بل

---

(١) اللي : الذي .

(٢) قصيدة ابن صليبيخ طويلة ، فيها مدح للملك عبد العزيز كما أن فيها تشاؤماً — وقد اكتفيت بشواهد منها .

لم يكن آنذاك أية معدات او آلات زراعية أو أنهار أو سدود ، وكل ما في الأمر أن الماء يخرج من قعر الأرض من الآبار التي قد يبلغ عمقها عشرين متراً بواسطة الجمال وغيرها ، ولا يخلو الأمر من وجود عيون ولكنها مما لا يستفاد منه على الوجه المطلوب ، وذلك لعدم وجود المضخَّات (الارتوازات) .

وغالباً ما يكون الفلاح مثقلاً بالدين للتاجر الذي يقدم له ما لا يسمى (ثمنه) ويسمى أيضاً (قِدْمَة) ومعنى ذلك ان صاحب المال يقدم للفلاح مالاً ، على الصورة الآتية :

فاذا كان قيمة صاع القمح ريالاً عندما قدم له المال ، يشترط التاجر على الفلاح أن يدفع له بعد حصاد الزرع صاعين عن الريال ، هذه صورة عن الزراعة وعن وضع الفلاح السيء الحظ .

وأما عن العناية الصحية فحدث عن فقدانها ولا حرج ، فالحمَّى (الملاريا) وذات الجنب والطاعون (التيفوئيد) كل هذه الأوبئة كانت تفتك بالأُسر والجماعات ، ولا علاج لها ، إلا النار ، على يد شخص متطفل على الطب ،

كان يحمل مجموعة من أسياخ الحديد ، فما من أحد يصاب بأي مرض إلا كان علاجه بالنار عند حضرة الطبيب الفاضل ، إذ ينضج جسده بقضبان الحديد المحماة ، والتي تكون أشد حمرة من الجمر ، ولا يرفع الطبيب الماهر يده عن جسد المريض حتى يثق بأنه تمكن من إنضاج لحمه ، ولذا قل أن نجد فرداً سلم جسده من أثر هذه القضبان .

ناهيك بالمرض الخطر المعدي الذي يسمى (الكوليرا) فهذا إذا دخل بيت الأُسرة غالباً لا يخرج هذا المرض الخبيث ويبقى في المنزل شخص ، إلا من أمد الله بأجله ، فيتوفر عدد الأموات من الناس إلى درجة لا يوجد النعش الذي يحمل عليه الميت لكثرة ضحايا هذا الوباء ، ولكثرة التنافس على النعش الذي يُحمل عليه العشرات من الأموات .

ويسمى هذا الوباء عند أهل نجد (الرَّحمة) ولست أدري من أين جاءوا بهذا الاسم المضادّ لمعناه وأثره ...

أما الجدري الذي يعبث بالأجساد ويطفيء نور الأبصار ويزهق الأنفس ، هذا المرض الخطر فقد يكون ضرره في

جنوبي الجزيرة أكثر منه في شمالها ، لأن أهل الشمال كانوا يكافحونه بالتلقيح الذي لا يستعمل وقتذاك في الجنوب .

وكنت أذكر أن صديقنا الأستاذ عبد الله بن خميس كتب مقالاً في صحيفة من صحف المملكة طالب فيه بأن توضع وقاية للأوبئة التي تعدي كالجدري وأمثاله ، وكم كان الاستنكار كبيـــراً من كاتب تصدَّى لمهاجمة الأستاذ ابن خميس معتقداً أن كتابة الأستاذ عبد الله ومطالبته بوضع وقاية للجدري إنما تدل على عدم الإيمان بقضاء الله وقدره .

الناحية الثقافية

لا أعتقد أني أجد ما يدعوني إلى الاطمئنان أو الغبطة عندما أتحدث عن الناحية الثقافية ، حقًّا لم يكن في نجد قاطبة في الفترة التي قبل عهد عبد العزيز فحسب ، بل وحتى فيما بعد ذلك بسبب التعصب الأعمى ضد المدارس الحديثة الناتج عن المثل القائل : (الناس أعداء ما جهلوا)

وسنوضح ذلك في الصفحات الآتية : إذ لم يكن ثمة أية مدرسة علمية وفق النماذج الحديثة ، لا ثانوية ، ولا ابتدائية . ولا أي شيء من هذا النوع ولا ما هو قريب منه ، وكان جلوس الطلاب على الأرض و (السبورة) هي الأرض أيضاً ، «والتباشير» اصبع المعلم يخط بها في الأرض ثم يمسح ما خطه براحته .

وغاية الأمر هو أن يتعلم الطالب قراءة المصحف الشريف فقط عند معلم بحاجة إلى أن يُعَلَّمَ هو قبل أن يكون معلماً ، وحتى قراءة القرآن لم يكن هناك مقرئون على الوجه الصحيح ، مع العلم أنه يوجد من يحفظ القرآن كله غيباً ، ولكن ليس على الوجه الأكمل من ناحية التجويد ، ودراسة مختلف القراءات . كما أن من يدرس علوم اللغة العربية قليل جداً ومن يُدَرِّسها أقل .

وأما الحديث عن العلوم الرياضية ، فإنه كالحديث عن العنقاء ، وأقصى درجة من درجات العلم هو المتخصص بدراسة الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، فاذا بلغ المرء درجة من الاجتهاد والنجاح أصبح له الحق أن

يكون قاضياً شرعياً ، وأما الصحافة فما كان في شرقي نجد وشمالها أية صحيفة ، ولو وجدت صحافة فانه لا يوجد كاتب واحد من أهل البلاد يستطيع أن يحرر فيها ، وأما الأدب فإنه لا يوجد أيضاً شاعر يشار إليه بالبنان سوى المرحوم محمد بن عبد الله بن عثيمن ، وهذا الشاعر على جزالة شعره لم يطرق كل أبواب الشعر ، وإنما كان شعره مقصوراً على مدح الحاكم ، أو الرثاء ، وما شابه ذلك .

وقد كان الأدب الشعبي منتشراً ، فهو الذي يقوم مقام الصحافة ، حيث كان الشعر القومي المألوف هو شعر الحماسة ، وا كثر من برز بهذه الناحية ولعب الدور الخطير هو الشاعر محمد العوني المتوفى عام ١٣٤٢هـ(الموافق لعام ١٩٢٣ ميلادية) [1] .

ناحية المواصلات

كانت وسائل النقل في الجزيرة في الفترة الي نتحدث

---

(١) العوني هو الذي ألفت عنه كتاباً تحت الطبع بعنوان « محمد العوني تاريخ جيل وحياة رجل » .

عنها محصورة على الإبل في المسافات البعيدة ، وأما الاتصال المباشر بين المدن وقراها فأغلب ما يكون على الحمير ، ولم تكن أية سيارة في الجزيرة كلها إلا سيارة واحدة من نوع (مرسيدس) جاءت لأمير المنطقة الشمالية وقتذاك سعود بن رشيد في عام ١٣٣٣ هـ ، وقد أحدث مجيء هذه السيارة ضجة قوية بالنسبة لسكان الجزيرة ، فمن قائل : إنها عمل ساحر (ولا يفلـح الساحر حيث أتى) وآخرون يزعمون أنها من صنع الجن والشياطين .

والواقع ان مجيء السيارة المذكورة في تلك الفترة أحدث بلبلة في الأفكار وخلافاً في الرأي ، وكان الاستنكار أعنف وأشد بالنسبة لمن لم يشاهدها من أهل الجزيرة ، وعلى ذكر تلك السيارة لا أجد بُدًّا من ذكر حادثة فيها من النكتة ما يجعلنا ننقل القاريء إلى نوع من التسلية . وهي نكتة وقعت وإن كانت تشبه الخيال ـ وخلاصتها كما يلي : كان محسن الغلث وهو رجل قد أدركته في آخر حياته ، وقد شاء القدر أن يكون أول من يرى هذه السيارة من أهل الجزيرة .

كان محسن سائراً بمفرده في الصحراء ، ممتطياً ظهر ذلوله النجيبة ، ميمماً بلدة (حائل) عاصمة إمارة آل رشيد وقتذاك .. وكانت سيارة (المرسيدس) قادمة من الشام يقودها فتى تركي ، ويهديه السبيل نفر من أهل حائل قاصدين بسيرهم البلد الذي اتجه نحوه محسن ، وبمحض المصادفة التقى محسن بالسيارة وجهاً لوجه في الصحراء ، على مسافة تبعد عشرة كيلو مترات عن بلدة حائل ، ولم يسمع محسن بالسيارة من قبل ، ولو سمع بها فإنه لم يصدق ولن يصدق أبداً أن هناك قوة في الدنيا تحمل البشر والأثقال بصورة أسرع وأعظم مما تحمله ذلوله الأصيلة .. هذا الشيء لا يمكن أن يؤمن به محسن ، وحتى لو رآه شاهد عيان فإنه لا يؤمن به ولن يؤمن بأن ذلك من صنع البشر ، بل هو بحسب تفكير محسن من صنع الشيطان .

أُصيب محسن بذهول شديد عندما رأى هذا الشيطان اللعين متجهاً نحوه بسرعة خارقة لم يسبق أن شاهد مثلها ، فدهش وفَرَّ هارباً على ظهر ذلوله ، معتقداً أنه ينجو من

هذه الآفة بفضل ما يعهده من سرعة سير ذلوله ، ولكنه خاب ظنه بذلوله حيث وجد هذا الشيطان يعدو عدواً يفوق سرعة الفرس . وهنا فكر في الوسيلة التي ينجو بها ، فأَرشده الرأْي إلى أَن ينزل عن ذلوله هارباً ليصعد فوق رأْس شجرة كيلا يبتلعه هذا الشيطان المارد الخبيث .

وبينما هو كذلك إذا به يسمع أَصوات نفر ينادونه باسمه ، سمع من يدعوه قائلاً : تعال يا محسن لا تخف نحن رفاقك وأَبناء بلادك ، نحن فلان وفلان ، أَلاَ فادْنُ منا ، ليسأَلك كل واحد منا عن أَهله ، وعن البلاد ، بعد أَن طال غيابنا عن أَهلنا في (استانبول) ، ونحن الآن قادمون من الشام الخ ... من العبارات الرقيقة التي كانوا يحاولون بها أَن يطمئنوا محسناً ، ويهدِّئوا من ثائرتـه وروعه ، ولكن محسناً وان يكن من الناحية النظرية يصدق بأَن الذين يخاطبونه هم ولا شك رفاقه ، وأَبناء بلدته ، ويعرفهم كما يعرف (ذلوله) ، ولكنه من الناحية الفكرية لم يكن ليصدق بأَن هؤلاء هم رفاقه حقاً ، وخيل إليه أَن هؤلاء الذين يحدثونه من داخل الآلة الشيطانية شياطين

تلبسوا أجساد رفاقه ليخدعوه عن نفسه ، فليس له إذن إلا أَن يتعوذ بالله من الشيطان ، ثم يتلو بعض الآيات التي تحرسه .

ولحسن حظ محسن أَنه معروف بالشجاعة ، كما أَنه رصين هاديء الأَعصاب ، ورابط الجأْش ، ومن يدري فلو لم يكن كذلك لأَصابته نوبة كانت فيها نهاية حياته أَو ضياع عقله .

وأَخيراً استرد محسن شجاعته ، وركب راحلته وقرر أَن ينجو بنفسه وراحلته من هذا المنظر الشيطاني ، قاصداً بلدته (حائل) حتى إذا لحقه هذا (البعبع) قاومه ببندقيته التي وضعها بين يديه ، وهدد ركاب السيارة قائلاً : أَنا أَعرف أَن الأَصوات والأَشخاص هي أَصوات وأَشخاص فلان وفلان ، ولكن الحقيقة أَنكم شياطين ، استطعتم ان تتمثلوا بأَصوات رفاقي وتظهروا بمظهرهم حتى تخدعوني ، ومضى محسن في حديثه إلى أَن قال : ولكني أَنذركم بان لا تدنوا مني ، وإِن دنوتم فإِني سوف أَطلق عليكم النار ، وأُدافع دون دمي إلى آخر نقطة منه . فذهب أُولئك عن

محسن واتجهوا نحو البلد .

وكانت المصيبة الكبري على محسن التي لم يحسب لها حساباً ، لقد حاول أن يجهد ذلوله قاصداً أن يدخل البلاد قبل أن يدخلها هذا (العفريت) الذي سوف يلتهم البلاد ومن فيها ، ولكن محاولته باءت بالفشل .

وكل ما فعله أنه ظل يصرخ بأعلى صوته قائلاً : يا فرج الملاح ! أغلق باب السور عن هذه البلية : (والملاح هو المسؤول عن باب السور المحيط بحائل) .

هذا وان ما يقال عن محسن عندما رأى السيارة ، وما دار في ذهنه من الخيال والأوهام ، هو نفس ما يقال عن العقل والتفكير الذي يحمله ذلك الجيل المعاصر لتلك الفترة [1] .

ومن أوضح الأدلة على ذلك أن تلك السيارة بعدما انتهى وقودها أدخلت المستودع ، وبعدما احتل الملك عبد العزيز إمارة آل رشيد في يوم ٢٩ صفر ١٣٤٠ هـ (الموافق

---

(١) نقلاً عن كتاب « التطور الفكري في جزيرة العرب » للمؤلف .

لشهر نوفمبر عام ١٩٢١) كان المفروض أَن يُجلب وقود لهذه السيارة ليستعملها الملك ، ولكن جنوده المخلصين لم يتركوا لعبد العزيز فرصة التفكير في استعمالها ، بل كان أَول عمل تقربوا به إلى الله أَن حطموها ، على أَنها من صنع الأَبالسة ، تحطيماً عنيفاً لم يبق منها شيئاً ولم يذر .

تلك صورة واضحة لما كانت عليه البلاد من ناحية المواصلات .

الحجازيّون أحسن حظاً من ناحية وأسوأ حظاً من ناحية أخرى

ذكرت في الصفحات السابقة ما تعانيه نجد من سوء الحالة في شتى النواحي الاجتماعية . والصحية ، والزارعية أي قبل توحيد عبد العزيز لها ـ وما علي الآن إلا أن أذكر ما بلغه علمي مما عليه الحجاز من تلك النواحي .

ولندع أولاً من الحساب الناحية الزراعية ، لأن هذا البلد المقدس وخاصة مكة ـ قد نزلت في حقه الآية الكريمة على لسان نبي الله ابراهيم ـ وهي قوله تعالى : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادٍ غير ذي زرعٍ عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »[1] .

---

(١) الآية ٣٧ ـ من سورة ابراهيم .

وقد أَجاب الله دعوة نبيه إبراهيم بتوفير الإِنتاج الزراعي لأَهل هذا البلد الذي يفد إليه الناس من كل فج عميق ، ولكن النواحي الأُخرى التي هي مادية أَكثر منها معنوية كالصحة والنمو الاقتصادي ، وحسن الغذاء ، ومن الأَشياء المعنوية : الثقافة . فكل هــذه الأُمور نرى فيها أَهل الحجاز أَسعد حظًّا من أَهل نجد ، والسبب في ذلك يعود إلى أَمرين : الأَمر الأَول : رغد العيش الذي جاء نتيجة لاستجابة الله لدعوة النبي ابراهيم عليه السلام ، فأَصبح هذا البلد الأَمين يعيش ساكنوه في بحبوحة من العيش . حيث يتوفر فيه جميع أَنواع الغذاء ، مما لا يتوفر في أَية مدينة في العالم . ويكون أَحياناً بثمن أَرخص منه في البلاد التي تصدر ذلك الغذاء وتنتجه ، وهذه الظاهرة يحسها ويراها كل من زار الحجاز .

الأَمر الثاني المتصل بالأَول ـ وجود الأَماكن المقدسة في الحجاز ـ الذي جعــل أَكثر المسلمين الأَثرياء من جميع أَقطار العالم الإِسلامي يضعون قسماً من أَموالهم وقفاً على الحرمين ، أَو بعبارة أَصح : وقفاً على ساكنيهما ، يضاف

إلى هذا وذاك ، اتصال ساكني الحجاز بالعالم الخارجي بحراً بواسطة مينائي جدة وينبع ، وبراً بواسطة سكة الحديد التي مدَّها الأَتراك ، من (استانبول) إلى المدينة المنورة .

إلا أَن الحالة تنعكس على ساكني الحجاز وذلك عندما يأْتي ظرف يغلق عليهم منافذ البحر والبر ، كما وقع ذلك في الحرب العالمية الأُولى ، في مناسبة كهذه ، وظرف كهذا ، يكون الحجازيون أَسوأَ حظاً لا من أَهل نجد فحسب بل أَتعس حظًّا من جميع سكان الأَرض ، وخذ ما قاله الاستاذ خير الدين الزركلي في كتابه « ما رأَيت وما سمعت »[1] خذه بنصه الحرفي : (ولما قامت الحرب العامة على سوقها ، ودخلتها الدولة العثمانية ، عانى الحجاز أَكثر مما عاناه سواه من بلادها ، فانقطع الحجاج عن حجهم وسُدَّت أَبواب البحر واتسعت فوضى البرّ وأَكل الناس لحوم ولدانهم) .

لم ير أَهل نجد في تلك الحرب شيئاً من ذلك .

---

(١) ص ١١٤ .

إلا أن حالة الحرب هذه التي ذكرها الزركلي تعتبر حالة نادرة ربما لم يمر على الحجاز سنة أغلقت عليهم فيها منافذ البحر كتلك السنة القاسية .

وإذا استثنينا تلك الحالة الطارئة فما علينا إلا أن نؤكد أن ساكني الحجاز أسعد حالاً من ساكني نجد ، لا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية فحسب ، بل ومن الناحية الصحية والثقافية .

فمن حيث الأولى يوجد في الحجاز (مديرية للصحة) ولهذه المديرية فروع ، ففي مكة مستشفى ، وفي جدة أيضاً وفي المدينة ، وفي الطائف مستوصف ، كما يوجد محجر صحي في (جزيرة سعد) القريبة من جدة ، وفي ينبع يوجد أيضاً محجر صحي ، وكل من المستشفيات التي في مكة وجدة والمدينة هزيلات للغاية ، ولكنها تعتبر خير من لا شيء إذا قيست بالحالة الصحية القاسية التي عليها النجديون .

أما من ناحية الثقافة ، فإنه يوجد في الحجاز جريدة « القبلة » كما يوجد من ناحية التعليم والمعرفة عدة مدارس

أَهلية يرجع تاريخ بعضها إلى ما قبل فتح عبد العزيز للحجاز بنصف قرن ، ويقول الاستاذ خير الدين الزركلي في كتابه « شبه الجزيرة في عهد عبد العزيز »[1] .

التعليم الأهلي :

وللتعليم الأَهلي في المملكة فضل كبير في نهضتها الحديثة ، فإن القائمين بالأَعمال الحكومية في الدولة ، كان معظمهم من خريجي المدارس الأَهلية التي أُنشئت قبل عهد الملك عبد العزيز وفي عهده. ومضى الأُستاذ الزركلي إلى أَن قال : وليس بين يديّ إحصاء حديث لهذه المدارس في المملكة ، فلنرجع إلى ما جاء في كتاب « البلاد العربية السعودية » الصادر سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٣٦ م) وفيه ذكر المدارس الأَهلية في الحجاز فقط ، وهي الآتية أَسماؤها :

١ ـ مدرستا (الفلاح) بمكة وجدة . ٢ ـ الفخرية . ٣ ـ الصولتية . ٤ ـ الفائزين . ٥ ـ الماحي . ٦ ـ الترقي العلمية . ٧ ـ مدرسة العلوم الدينية الجاوية . ٨ ـ مدرسة اندونيسيا . ٩ ـ مدرسة دار الحديث . .

(١) ص ٦٤١ .

وكل هذه المدارس في مكة ، وكذلك نحو عشرين (كُتَّاباً) .

١٠ ـ مدرسة العلوم الشرعية . ١١ ـ الايتام . ١٢ ـ النجاح ١٣ ـ التربية والتعليم . ١٤ ـ الخيرية . ١٥ ـ دار الحديث . ١٦ ـ التهذيب والتعليم . ١٧ ـ القرآآت والتجويد .

وهذه كلها في المدينة المنورة وكذلك ثمانية كتاتيب .

وكتب الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفضل ان مدرسة (الفلاح) بجدة ، حلت محل مدرسة كانت تدعى (النجاح) اسست سنة ١٣١٧ هـ (١٨٩٩ م) وكان منهاج التدريس فيها ، على طريقة (السؤال والجواب) وكانت نفقاتها من تبرعات طلابها وأَهل الخير ، ثم ساعدتها الحكومة (العثمانية) وجُعل التدريس فيها بالتركية ، وتضعضع أَمرها ، فأُغلقت سنة ١٣٢٥ هـ ((١٩٠٧) . وقام محمد علي زينل بتأْسيس مدرسة (الفلاح) فحلت محل النجاح [1] .

---

(١) أنظر كتاب المؤلف « من شيم العرب » ج ٢ ـ ص ٢٥٩ .

وكان عدد الطلاب في هذه المجموعة من المدارس الأَهلية سنة ١٩٥٤ هـ (١٩٣٥) م ٥٢٧٧ طالباً . منهم في مدرستي الفلاح بمكة وجدة ١٣٠٦ تلاميذ ، وفي الصولتية ٥٧٥ وفي الجاوية ٥٠٠ وفي الفخرية ٣٧١ وفي العلوم الشرعية ٣٩٤ وفي بقية المدارس والكتاتيب ٢١٣١ تلميذاً . وغني عن الذكر أَن العدد قد زاد كثيراً ، بعد ذلك ، تبعاً لتقدم الحركة الفكرية واليقظة العامة في البلاد) .

واضاف الأُستاذ الزركلي : (ورأَيت في كتاب « ماذا في الحجاز؟ » لأَحمد محمد جمال . نبذة عن بعض المدارس الأَهلية ، جاء فيها : أَن المدرسة الصولتية افتتحت عام ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) بمكة وسنوات الدراسة فيها أَربع تحضيرية ، وأَربع ثانوية ، واثنتان عاليتان ، والمدرسة الفخرية بمكة افتتحت سنة ١٢٩٧ هـ(١٨٨٠ م) .

إذا كان الحجازيّون أسعد حظًا ماديًّا
فإنهم أسوء حظًا معنويًّا

قبل أَن يوحد عبد العزيز نجداً والحجاز ـ يصح أَن يقال : سيان في تعاسة الحظ الحجازيون والنجديون ، فإذا كان الأَولون أَسعد حظًّا من حيث النواحي المادية التي لم تتوفر عند إخوانهم ، فإنهم أَسوأ حياة من النجديين من الناحية المعنوية ، تلك التي كان سكان نجد أَوفر نصيباً فيها من إخوانهم الحجازيين الذين بقدر ما استفادوا مادياً بسبب اتصالهم بالعالم الخارجي بحراً وبراً ـ كما سلف ذكره ـ بقدر ما دفعوا هذا الثمن معنوياً بنسبة تزيد عشرات الأَضعاف عما جاءهم مادياً ، ولا سيما في نظر ذوي النفوس الكبيرة التي ترى الحياة وبالاً على صاحبها إذا أَصبحت المادة ثمناً للكرامة ، وقد جاء ثمن المادة في الحجاز

عن طريق العدوى التي جلبها لهم حكامهم عن سبيل اتصالهم بالسلاطين العثمانيين ، أولئك الحكام الذين حكموا ردحاً من الزمان أَوسع مساحة في البلاد العربية ، وأَدخلوا على أَهلها عادات وتقاليد أَعجمية لا تقرها التعاليم الإسلامية ، ولا تقبلها الشيم العربية ، بل ولا تنسجم مع المُثُلِ البشرية ، وكرامة الإنسان ، ثم إنها – مع مرور السنين المتتالية التي حكم فيها الأَتراك البلاد العربية [1] أَصبحت تلك العادات عرفاً مقبولاً ومعمولاً به ، وعندما تسري عدوى قوم إلى قوم آخرين يكون كل من لا يطبق هذه العدوى شاذًّا بين رجال مجتمعه مهما كانت عدوى تلك العادة سيئة، بل وقبيحة . وقديماً يقول المثل : (العادات قاهرات) .

واذا كان من قواعد (علم الاجتماع) : (المغلوب مفطور على تقليد غالبه) فإن أَهل البلاد العربية – بما فيهم الأَشراف حكام الحجاز السابقين – تـأَثروا بعادات « الغالب التركي » وتقاليده ، وإذا تـأَثر الحاكم بذلك فإنالمحكومين

(١) ما عدا نجد التي لم يطل عهد حكم الأتراك فيها .

لا يسعهم إلا تقليد حكامهم في تلك الأُمور التي تنافي تعاليم الدين الإسلامي ، كما تنافي كرامة العربي ، وأَخيراً سرت فيهم عدوى تلك التقاليد كسريان النار بالهشيم .

صورة عن عدوى التقاليد السيئة

إذا كانت عدوى التقاليد الأَعجمية التي ابتليت بها الأُمة العربية التي حكمها الأَتراك تنافي (توحيد الأُلوهية) كما تنافي كرامة العربي ، وإباءه وشموخ أَنفه وشيمه .

فهي تنافي توحيد الله من حيث تعظيم السلطان أَو نائبه الحاكم في أَي بلد عربي ، ذلك التعظيم والتقديس اللذان يشبهان نوعاً من العبادة .

وهي تنافي كرامة العربي وإباءه من حيث تذلله وخنوعه وسجوده على يد ، بل على ركبة نائب السلطان في بلد عربي كالحجاز ، أَقول نائب السلطان العثماني لأَن جلالة السلطان نفسه أَعظم وأَجل وأَكبر وأَقدس من أَن يسمح لأَي إنسان بأَن يقبل قدمه فضلاً عن كفه .

وهناك أَيضاً العدوى الأُخرى التي جاء بها الأَتراك وهي وثنية القبور ، تلك التي أَفسد بها سلاطنة الأَتراك وعلماء السوء جوهر الدين الإسلامي ، وصيروا من الشعوب العربية التي حكموها مجموعة من الدراويش والسدنة .

ومن مسلمات الأُمور أَن نصيب عرب الحجاز وافر من هذه العدوى التي يطيب لي أَن أُوافي القاريء بموجز منها على الوجه الآتي :

أَولاً – نجد السلطان التركي – ظل الله في أَرضه كما يقال – هذا المخلوق الضعيف يتكبر على بني جنسه ، ويتعالى عليهم إلى درجة يرى بها البشر كأَنهم حشرات مؤذية ، لا يجوز لأَي واحد أَن يمس يده ، بل ويترفع بأَن يقبل أَحد منهم قدمه ، وكل ما هنالك هو أَن يمد في مجلس السلطان رداء أَبيض يبلغ طوله عدة أَمتار ، طرفه تحت قدم السلطان ، وطرفه الآخر في آخر مجلسه ، وعلى القادم المحظي بعناية السلطان وإجلاله إذا أَسعده الحظ وعلت أَسهمه ارتفاعاً عند جلالة السلطان وأُتيحت لـه الفرصة ساعة من الدهر أَن يطأَ قدمه نادي (مولانا أَمير

المؤمنين) !! فما عليه إلا أن يجثم خاضعاً ـ وينحني خانعاً ويسجد راكعاً ، ليقبل طرف الرداء الممدود .

وعلينا أن ندرك جيداً بأن تقبيل الرداء هذا لا يظفر به إلا ذوو الحظوة العظمى والوجاهة السامية الكبرى !!

هذا الأُسلوب الذي يتخذه سلاطنة بني عثمان الذين حكموا تسعة أعشار العالم العربي ، وبسطوا نفوذهم على أكبر مساحة في الدنيا ، هذا الأُسلوب المليء بالتعالي والزاخر بالكبرياء ، والطافح بالغطرسة ، والمشحون بالغرور ، هذا الأُسلوب السيء البشع تأثر بعدواه أشراف مكة الذين ترعرعوا في (الاستانة) وولاهم السلطان الحكم في الحجاز ، ابتداءً من أول شريف ولاه الأتراك حكم الحجاز إلى الشريف حسين بن علي الذي هو آخر شريف جاء للحجاز والياً من قبل الأتراك ، ثم تمرد عليهم . ولكنه لم يتمرد على العدوى التي جلبها منهم .

وقصة خضوع المرء وركوعه على رداء السلطان ، هذا الإمعان في الذل الذي لا يتاح إلا لذوي الوجاهة العظمى عند جلالة السلطان ـ هذه القصة نقلتها عن الشيخ (محمد

نصيف) ـ كما نقلت عنه أُسلوب العدوى الذي يعامل به أَشراف الحجاز قومهم فيما اذا جاء ذوو الوجاهة ليسلموا على (سيدنا) !!!

والشيخ محمد نصيف العالم السلفي عندما يروي لنا الأُسلوب الأَصلي الذي يتخذه سلاطنة الأَتراك مع مواطنيهم، ثم ينقل أُسلوب العدوى الذي يطبقه ولاة الأَتراك من الأَشراف فإنه يتحدث حديث من رأى لا حديث من سمع، وذلك أَن الرجل عُمِّر ولم يمت إلا بعد أَن تجاوز التسعين عاماً ـ وذلك سنة ١٣٩٣ هـ (١٩٧٣ م) .

ولما كان الشيخ نصيف من وجهاء الحجاز، فقد أَسعده الجد إذ أُتيحت له الفرصة الذهبية التي لم تتح إلا للأَفذاذ الوجهاء مرة في العمر، لينالوا الشرف الكبير عندما يأْتون متسكعين ويسجدون خانعين راكعين على طرفي رداءالسلطان.

والوجاهة التي أَوصلت محمد نصيف إلى تقبيل رداء السلطان هي نفسها التي أَوصلته إلى تقبيل ركبة الشريف (عون الرفيق) والي الحجاز من قبل الأَتراك، وكما روى لنا نصيف قصة تقبيله رداء السلطان، روى أَيضاً قصة

تقبيله ركبة الشريف عون، رواها على الوجه المخجل الآتي:
يقول: إنه جاء في مناسبة عيد أو هي مناسبة أخرى كالعيد، جاء هو وعدد من وجهاء مدينة جدة وأعيانها ليسلموا في تلك المناسبة على والي الحجاز الشريف عون، فكان الشريف جالساً وهو في جلسته تلك قد وضع طفله بين يديه، ويمضي الشيخ نصيف ـ ويقول: إنه هو وأولئك الوجهاء: عندما وجدوا حضرة الشريف الوالي يرى نفسه أكبر وأعظم من أن يَمُدَّ ولو طرف أصابع يده اليسرى ليقبلوها انحنى هؤلاء الوجهاء وسجدوا على ركبته يقبلونها واحداً واحداً، ولم يشذ عنهم إلا (فلان قابل [1]) الذي أراد أن يربأ بنفسه من تقبيل ركبة الشريف، فذهب وقبل ظاهر كفه التي تحمل الطفل، وهنا رأى الشريف أن قابلا ـ كأنه تعمد أن ينكر تلك العادة المألوفة السيئة، فأشار له بطرف أصبعه إلى (حذائه) بأن يقبلها ـ فما كان من ذلك الرجل إلا أن وجد نفسه حائراً بين قبول الموت المعنوي

(١) أسرة قابل من وجهاء مدينة جدة، وأكبر شارع في جدة الآن يسمى شارع قابل.

فيما إذا انحنى يقبل حذاء هذا الجبار المسرف بطغيانه والذي يتلذذ بإذلال الوجهاء واستعباد الفقراء ، وبين تعريض نفسه لضرب عنقه ، وهذه لا تكلف ذلك الوحش إلا إشارة لجلاده ، فيحز عنقه بسيفه الماضي ، ولما كان الشاعر علي الذيب الليبي يقول في قصيدته :

حبُّ البقاء لكل نفس داءُ
هلا تكون علاجها البأْساء

فقد أَحب (قابل) الحياة وقبل (كندرة) الطاغي !!!
ويؤكد الشيخ نصيف قوله : إننا عندما خرجنا من مجلس (عون) ذهبنا ننكت على الشيخ قابل قائلين له : إحمد الله الذي لم يشر لك عون باصبعه أَن تقبل(...) !!

هذا الحديث الذي رويته عن الشيخ نصيف ، سواء ما كان منه ذو صلة بالأُسلوب الذي يفعله سلاطين الأَتراك ، أَو ما يطبقه الأَشراف الولاة الذين جاءوا بهذه العدوى الوقحة ليذلوا بها أُمة العرب ، كل هذا وذاك سبق أَن كتبته في مقال نشرته صحيفة « الندوة » ، كتبته والشيخ نصيف حي يرزق ، وأَطلعته على المقال قبل أَن ينشر وبعدما

نشر ولا بد أَن من القراء من يذكر ذلك المقال الذي كتبته محارباً تقبيل اليد تلك العادة السيئة التي أَوشكت أَن تسري عدواها إِلينا .

ومن أَساطير الطغيان التي تذكر عن الشريف عون أَنه كان له فيل يخرجه من قصره ، ويسرح ويمرح في وسط مدينة مكة ، وفي مكة حيٌّ يسمى (الجودرية) ، معروف تباع فيه الحبوب فيأْتي هذا الفيل ويعبث بالحبوب فساداً ، الأَمر الذي جعل تجار الحبوب يضجرون ويجتمعون ليرفعوا شكواهم إلى الوالي عون !! فجاءوا إليه . وعندما خضع وركع كل واحد منهم على ركبته ، ولما أَرادوا عرض شكواهم عجزوا فكأَن القوم أُصيبوا جميعاً بالبكم ، وعندما صرخ بهم الطاغي سائلاً إِياهم عن السبب الذي جاءوا من أَجله استولى الذعر والهلع والبكم على كل واحد منهم ، إِلا أَن واحداً منهم يعتبر مفرطاً في الشجاعة ، عندما قال : جئنا من أَجل أَن نطلب من سيدنا أَن يأْتي بأُنثى لفيله لأَنه حرام على هذا الفيل الجميل أَن يظل بدون أُنثى يتمتع بها .. الخ !! فأَمرهم سيدهم أَن يتولوا جلب الأُنثى

لفيله !!!

وعلى ذكر اسم (سيدنا) فان هذه الكلمة تقال لأي وال من الأَشراف يتولى الحكم في الحجاز ، وعندما كان الشريف عبدالله بن الحسين اميراً ثم ملكاً على (عَمَّان) ظل لقب (سيدنا) ملازماً له ، ليس ذلك فحسب ، بل أَصبح متوارثاً فحفيده الملك حسين الحالي لا يخاطبه قومه إلا بـ (سيدنا) !!! وفي المغرب ينادى بمولاي فلان قبل أَن ينادى باسمه .

أدلة وبراهين تؤكد صحّة ما ذكرت :

بين يدي الأُستاذ خير الدين الزركلي الذي زار الحجاز في عنفوان عهد الملك حسين بن علي وظل في ضيافة الملك فترة من الوقت ، وقد أَصدر كتاباً « ما رأَيت وما سمعت ». يصف به ما شاهده في الحجاز وما سمعه في رحلته التي بدأَها من الشام فمصر فالحجاز .

ولما كنت قد ذكرت في الصفحات السابقة الرواية التي نقلتها عن الشيخ محمد نصيف فيما له صلة بأُسلوب

سلاطين بني عثمان الذي يذلون به مواطنيهم ، كما ذكرت تلك العدوى السيئة بل الوقحة التي نقلها أشراف الحجاز الذين نشأوا في عهد وذل السلاطين الطغاة ، فإنني إثباتاً لما نقلته عن الشيخ محمد نصيف ، وتأكيداً لصحة تلك الرواية أنقل ما أورده الأستاذ الزركلي في كتابه المشار إليه[1] بالنص الحرفي : « ذلك ديدنه ، - يقصد الملك حسين - وشأنه كل يوم . وله في كل حركة من حركات يومه طريقة خاصة ، فهو يجيء في الصباح من بيته إلى قصر الحكم راكباً يحف به بضعة من العبيد والخدم ، ويعود في الليل ماشياً وبين يديه عبدان من عبيده والمضايفي (الحاجب) سعد . وله في إلقاء يده لمقبليها حركات يدهش لها من لا يعرف أسرارها ومعانيها . ولا أدري ان كنت أستطيع وصفها أو يخونني البيان ، فمن هذه الحركات :

١) أن يلقي يمناه على العادة المألوفة المعروفة فيقبلها المقبِّل ويجلس أو يمضي .

٢) أن يبسط يده ثم لا يمكِّن مريد تقبيلها منها بل لا يكاد يلمسها ذلك حتى ينتزعها منه انتزاعاً .

---

(١) صفحة ١٢٨ .

٣) ان يبسط يده ولا يجعل لمقبلها سبيلاً إلى غير أَصابعها فيقبل الأَصابع .

٤) أَن يلقي يده للمقبِّل وبينما ذلك آخذٌ بها في يده يقبض جلالته بكفه على يد المقبِّل .

٥) أَن يمد يده جاعلاً باطن كفه إلى وجه المقبل فيقبِّل الباطن .

٦) أَن يعطي المقبِّل باطن كفه ، وحينما يشرع هذا بالتقبيل يقبض جلالته على وجهه بيده .

٧) أَن يعطي المقبل باطن كفه ثم يقبض على وجهه ويطبع على لحيته قبلة .

٨) أَن يعطي المقبل باطني كفيه فيأْخذ هذا بالتقبيل بينما جلالته قابض بيديه على وجهه .

٩) ان يزيد على الطريقة السابقة قبلة من لحية مقبِّل يـــده .

١٠) ان يجعل يده على ركبته ، فيقبلهما القادم بادئاً باليد ثم بالركبة .

وهناك فروع ثانية منشأها هذه الأُصول . وقد يوهم

جلالته من يعطيه يده على الطريقة الثانية أو الثالثة أنه إنما يمنعه تقبيلها احتراماً له أو إكباراً ، والحقيقة أن الأُولى دليل الكراهية والمقت . والثانية دليل العتب واللوم ، كما أن الثالثة والرابعة والخامسة من أدلة الرضا ، ويزيد الرضا في السادسة ، ثم في السابعة والثامنة ، وما بعد التاسعة زيادة لمستزيد . أما العاشرة فللبدو ومن يؤذن له بالدخول من العامة .

ورأيت في الأشراف من يتناول يمين صاحب الجلالة فيقبلها ثم يتناول اليسرى فيقبلها ، ثم يرتفع بفمه إلى رأس الملك فيقبل طرف عمامته ، ثم ينحدر إلى ركبته فيقبلها ويتراجع فيجلس حيث يؤمر » .

هذه صورة من الصور التي يعامل بها الملك حسين مواطنيه . وخذ ما ذكره الزركلي أيضاً في نفس المصدر [1] خذ الصورة عن معاملة من يمتّ إلى أشراف الحجاز بأية صلة ، أُولئك البشر الذين يرون أنفسهم من طينة غير طينة بني آدم ، فهم من حقهم أن يركع المواطنون لأيٍّ

(١) صفحة ١٥٠ .

فرد منهم سواء كان صالحاً أم طالحاً ، المهم أنه يقال له (شريف ...) خذ ما أورده المؤلف بقوله : (التحية فيما بينهم تختلف صيغتها ، وأكثر ما يقولونه لا غريب فيه . أما تحيتهم لذوي المكانة الرفيعة ، فهم إذا أقبل أحدهم على الملك قبَّل يده وركبته ، وإذا أراد تحية أحد الأمراء قبل يده وربما قبل ركبته . وأما تحيتهم للأشراف فقد رأيت بعضهم حين يرون شريفاً يريدون السلام عليه يتقدمون الواحد يتلوه الآخر فيبدأ الرجل منهم يقبل لحية الشريف من الجانبين ، ثم يقبل عقاله فوق جبهته ، ثم رأسه ، وينحني بعد ذلك على يده فيقبلها ، ويبتعد ، ويعقبه الثاني وَهَلُمَّ جَرًّا) .

وأخيراً هذا السيد عبد الحميد الخطيب يصف نوعاً من التعسف والاستبداد بل والطغيان الذي يعامل به الملك حسين قومه يصف ذلك في كتابه « الملك العادل [1] » ما نصه : (ذلك أن الحسين بن علي من الذين تربوا في (الآستانة) وتذوقوا ما في المدنية من علوم وعرفان ،

(١) صفحة ٢٣٥ .

وتلمسوا ما في الحضارة من الوسائل التي تؤمن راحة الناس ورفاهيتهم ، وكنا نعتقد أَنه بتوليه الإمارة في الحجاز سينهض بالبلاد نهضة إصلاحية عظمى ، ويسير بها إلى الأَمام ، ولكنه عندما تربع على دست الحكم حرص كل الحرص على الاحتفاظ بالقديم ، وحارب من المدنية محاسنها ، فلم يسمح للناس بركوب السيارات ، وأَبى عليهم حتى استعمال ساعات اليد ، والأَكل على الكراسي ، وما أَشبه ذلك) .

وإليك وثنية من نوع آخر :

تلك التي سلف ذكرها يصح أَن يقال لها وثنية السلطان وولاته ، أَما هذه التي نحن بصدد ذكرها فإنها وثنية القبور ، وبقدر ما سلب سلاطين الأَتراك وولاتهم قسطاً وافراً ونفيساً من كرامة العرب بأَساليب الذل والطغيان ، عندما جعلوا من أَنفسهم آلهة يخضعون الإنسان العربيَ ، ويلتذون بخنوعه بين أَيديهم ، ويسرهم أَن يروه خانعاً راكعاً ، اعتقاداً منهم أَن أَي إنسان إذا انحطت نفسه إلى

هذا المستوى ، فإنه يفقد شعوره بانسانيته ، وبمطالبته بالحياة العزيزة الكريمة التي يطالب بها كلُّ حُرٍّ أَبِيٍّ من بني الإِنسان في كل زمان ومكان .

بقدر ما نرى أَيضاً أُولئك الطغاة شوهوا جوهر الإِسلام ، بل وأَفسدوا أُسس التوحيد في تقديس القبور ، وذلك عندما وثقوا أَنهم استطاعوا أَن يوطدوا دعائم حكمهم بتأليه وجهاء قومهم لهم عن طريق ولاتهم وأَعوانهم ، حينئذ وجدوا أَن هذه الأُسس لا ترسخ رسوخاً يطمئن الطغاة إِليه ما لم يقوموا بعمل يسيطرون به على علماء الدين ، وعن طريق هؤلاء يسيطرون على الدهماء من سواد الشعب ، كما استطاعوا أَن يسيطروا على آخرين عن طريق الولاة بتلك الأَساليب ، وقد أَوصلهم تفكيرهم إِلى القيام بعمل أَغروا به العلماء ، وخدعوا به الدهماء ، وخلاصته : أَن أَحدثوا في الإِسلام بدعة وثنية لا تستند على أَي نص لا من القرآن الكريم ولا من سنة النبي (ﷺ) ولا بفعل الخلفاء الراشدين .

وقد كانت تلك البدعة التي ابتكرها الأَتراك بدافع

هدفهم السياسي هي وثنية القبور فهذا قبر النبي فلان ، وهذا قبر الولي الصالح علان ، وهذا إذا تضرع عند قبره المواطن الذي لا ينجب أولاداً ، فإنه سوف ينجب فوراً ، وذاك دعاؤه يشفي المريض ، ويغني الفقير ، ويسهل الأمر العسير ، فأوحى حكام (الآستانة) بفكرتهم هذه إلى العلماء الذين وجدوا فيها مصدراً لجاههم عند السلطان ، كما وجدوا في هذا العمل مورداً للمال لا ينضب معينه لهذا العالم بل ولسلالته من بعده . فأصبح باستطاعة أي مُدَّعٍ للعلم ، دجّال أن يسبل لحيته ، ويضخم عمامته ، ويكثر عدد حبات سبحته ، ويواصل حوقلته وسبحلته ، وعندئذ تلتف حوله العامة يتبركون به على أنه ولي صالح مستجاب الدعوة .

ومما يزيد العوام اعتقاداً بصلاحه واستجابة دعواته ، وأن هذا المدعي من أولياء الله الصالحين عندما يكون لأي مواطن حاجة مستعصية ، في دوائر الدولة أو مجرد ما يطلب المواطن وظيفة يعمل فيها ، ثم يذهب يستغيث بهذا الولي ليسأل الله له أن يتم طلبه بفضل صلاحه وبركاته ، وعند

ذلك يعده هذا الولي أن حاجته سوف تقضى حتماً ، ويحدد له اليوم الذي يحقق فيه طلبه ، وفعلاً يكون صادقاً بوعده ، وذلك بسبب الاتفاق السري الذي بينه وبين السلطان الذي سبق أَن أَصدر أُوامره إلى رجال دولته وولاته بأَن لا يرد لاي واحد من هؤلاء الدجالين طلباً يريده !! .

فما الذي يمنع العامة والحالة هذه من أَن يعتقدوا الولاية والصلاح واستجابة الدعوة بهذا المفتري الدجّال ؟ !.

وما الذي يمنعه هو أَيضاً من أَن يجعل له عدداً وافراً من الدراويش المريدين الذين يعتقدون به الصلاح والولاية ، فيكون بعد ذلك للشيخ طريقة يسميها باسمه ، وإذا مات وضع له أَبناؤه وخلفاؤه ومريدوه ضريحاً يطوفون حوله ليلاً ونهاراً وبكرة وعشية طوافاً يشبه طواف المسلمين في البيت العتيق ، وهكذا حتى نتج عن ذلك كثرة الطرق ، وكثرة قبور الأَولياء ، كما نتج أَيضاً كثرة الدجالين ، ووفرة المحتالين ونموّ المدلسين .

ولا عجب فيما إذا أَصبح السواد الأَعظم من الشعب يؤمن بما لهؤلاء من الولاية والصلاح ، واستجابة الدعوة

لا في حياتهم فحسب ، بل وبعد مماتهم ، كما يرى أن من أَوجب الواجبات الدينية أَن تُشَدَّ الرحال إلى زيارة ضريح ذلك الولي والتبرك بما يلمسه كفه من سترِ ضريحه .

وقد يبلغ الغلو في بعض مريدي ذلك الولي درجة تجعله يعتقد أَنه بقدر ما يطوف المسلمون بالكعبة المقدسة ، يسرح به خياله واعتقاده الباطل أَن الكعبة هي نفسها تطوف أَيضاً حول ضريح شيخه ، بنفس الصورة التي يطوف المسلمون حولها .

وخذ ما قاله أَحد مريدي احمد التيجـاني صاحب (الطريقة التيجانية) الذي يزعم ـ أَو أَن مريديه يزعمون ـ أَنه نزلت عليه ما يسمى بصلاة الفاتح لما أَغلق ، كما نزل القرآن على محمد ، خذ ما قاله أَكبر عالم من علماء (الفلاته) وهو المدعو الشيخ الفاهاشم :

سلام سلامٌ لا يقاس بمقيـاس
بـأَنواره تُطوى الفيافي إلى (فاس)
إلى سيِّد الأَقطاب والعالم الـذي
مناقبه لم يحوها رسْمُ قرطاسي

ومَنْ دأَبه صبُّ المعارف والنــدى
ومن طيبه مخزى العنابـــر والآس
ومن كعبة المولى تطوف به كمــا
تطوف بها الأَكوان من كل أَجناس
تمنيت إتياني ضريحــك سيِّدي
ولو ماشياً شوقاً على هامه راسي

قال الفاهاشم هذه القصيدة وهو في المدينة بجوار مسجد فيه ضريح أَشرف خلق الله ، والفاهاشم من مشاهير علماء (الفلاَّته) وهو من الرؤساء البارزين في (الطريقة التيجانية) التي غزا شيوخها القارة الافريقية غزواً سيطروا به على الملايين من الدهماء سيطرة رهيبة إلى يومنا هذا .

كيف سرت عدوى الوثنية كسريان النار بالهشيم

ما دامت عدوى وثنية السلطان في تأليهه هو وولاته سرت إلى عرب الحجاز ، فإن عدوى وثنية القبور وصرف قسم من التوحيد إلى ضريح من يقال عنه ولي ، أو صحابي ، سوف تسري لا محالة إلى عرب الحجاز ، بل سوف تجد تربة خصبة تتوفر فيها جميع وسائل النمو والازدهار سواء في مكة التي فيها ـ قبر (ستنا : خديجة) زوج النبي ﷺ ، وفيها المكان الذي ولد فيه النبي ﷺ ، وفيها الغار الذي توارى فيه الرسول وأبو بكر الصديق الخ ... أو في المدينة التي فيها القبر النبوي وقبور الخلفاء الثلاثة (أبو بكر وعمر وعثمان) ناهيك بالبقيع الذي فيه قبور الصحابة ، وفيه قبر فاطمة بنت النبي وولداه القاسم وإبراهيم ،

وبقرب أُحد قبر سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، وفي الطائف قبر عبد الله بن عباس ، وحتى جُدَّة استطاع الدجالون أَن يجعلوا فيها مزاراً ـ وهو ما يقال انه قبر (ام البشر حَوَّاء) حتى ما من واحد يأتي إلى جدة إلا وقد يتصور أَن من البر أَن يزور قبر والدته (حواء) ، وهكذا كان على كل قادم يأتي إلى الحجاز قاصداً حج بيت الله الحرام ـ فرضاً كان أَو نفلاً ـ كان عليه أَن يزور تلك المواقع ، راضياً أَو غير راض ، وحتى لو أَراد أَن يحصر عمله بتأدية مناسك الحج ، فإن أُولئك السدنة المنتفعين مادياً من ابتزاز أَموال الحُجّاح بغير ما أَنزل الله سوف لا يدعون له مجرد التفكير في هذا الأَمر .

وحتى العالم الضليع بفقه السنة المحمدية وما عليه الخلفاء الراشدون الأَربعة والسلف الصالح ، أَقول حتى الحبر الراسخ في العلم بأَن هذه الوثنية من صنع الأَعاجم (الأَتراك) قاصدين من ورائها أَن تكون أَفيوناً لتخدير عقول الشعوب التي يحكمونها من عرب وغير عرب ، حتى العالم الذي يكفر بهذه الوثنية ، إذا جاء حاجًّا لا يستطيع أَن يعلن

كفره بوثنية هؤلاء السدنة ومن ورائهم علماء الباطل الذين سوف يفتون بكفره ، ومن وراء الجميع (خليفة رب العالمين) الذي سوف ينفذ فيه الإعدام بصفته ملحداً أَفتى بإلحاده علماؤه الدجالون .

وكان الحجاج الوحيدون الذين ليس للسدنة عندهم أَيّ نصيب (الشُّروق) اي النجديون بصفتهم يكفرون بوثنية الالوهية الخاصة بالسلطان وولاته ، كما أَنهم يكفرون بوثنية القبور ، فهم يكفرون بالأُولى لأَن فيها من الخنوع والخضوع والركوع ما لا يجوز شرعاً صرفه إلا لله جلَّ وعلا ، هذا من ناحية ، وهم يكفرون بها من ناحية أُخرى لأَنها لا تنسجم وبيئة العربي ، الذي نشأَ على شموخ الأَنف والشهامة وعدم الخنوع والذلة ، وهم يكفرون بالوثنية الثانية لأَنها دخيلة على ما جاء به كتاب الله وسنة نبيه ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون .

كانت نهاية العثمانيّين ممّن احتضَنوهم لا ممّن قاتَلوهم

كان الأَمر طبيعياً بأَن لا يدخر سلاطنة بني عثمان وعلماؤهم مشايخ الطرق ، وسدنة القبور ، أَية وسيلة من الوسائل التي من شأنها أَن تشوه سمعة (آل سعود) بصورة خاصة ، كما يشوهون سمعة أَهل نجد بوجه عام وشامل ، وكانت الحملات (الدعائية) والعسكرية من سلاطنة الأَتراك على آل سعود وعلى أَهل نجد مستمرتين ، فمن حيث الحملة (الدعائية) فحدث ولا حرج . لقد صوروا آل سعود وشعبهم من النجديين بأَنهم (وهابيون) لا يصلون على النبي محمد (ﷺ) وكانت كلمة (وَهَّابي) كافية لان يحكم بها على من يعتنقها بالخروج عن دائرة الإِسلام ، وعبثاً تكذيب هذه الدعاية بالحقيقة التي تؤكد

بأَن النجديين وحكامهم آل سعود حنبليو المذهب ، وأن مذهبهم ينص على أَن الصلاة باطلة إذا ترك المصلي الصلاة على النبيّ عمداً أَوْ سَهْواً ، وكان عبثاً مقاومة دعاية دولة تحكم تسعة أَعشار العالم العربي ، ويؤيدها بدعايتها هذه جميع علماء الاسلام في البلاد التي تحكمها ، ومن لا يؤيدها لا يستطيع أَن يرفع صوته معارضاً لها .

هكذا كانت الحملات (الدعائية) التي تبنتها دولة (بني عثمان) وروجها صنائعها من أُولئك العلماء المشار اليهم .

أَما الحملات العسكرية المتتالية التي تضارع بشدتها وضراوتها وعنفها الحملات (الصليبية) التي قضوا بها على حكم آل سعود مرتين ، وقتلوا في الأُولى الامام عبدالله ابن سعود وعدداً من أُسرته ومن أُسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما أَسروا في الثانية الامام فيصلا الجد الأَول لعبد العزيز ، ولكنه انفلت من سجنهم في مصر بما يشبه المعجزة [1] . وقد بات لدى حكام (الاستانة) أَن آل سعود

(١) راجع كتاب « من شيم العرب » ج ٤ ص ٦٩ .

لن تقوم لهم قائمة بعد تلك الحملات (الدعائية) السيئة التي مهدت السبيل للحملات العسكرية .

وقد ذهب بنوعثمان يبذلون كل ما يملكونه من القوة لدعم ولاتهم التقليديين ، ـ أَي الأَشراف ـ ناقلي عدواهم ، معتقدين اعتقاداً جازماً أَنهم في دعمهم هؤلاء وتقويتهم ، سيصلون إلى الأَهداف التي تمدُّ أَجلهم ، وتوطد دعائم سلطانهم في البلاد المقدسة ذهبوا يواصلون تلك الأَعمال التي تتلخص بالهدفين الآتيين :

١ ـ نقل عدوييهم الوثنيتين السالف ذكرهما .

٢ ـ الوقوف بالمرصاد لأَية ثورة إِصلاحية من شأْنها أَن تقضي على هاتين الوثنيتين ، واثقين أَنه إِذا لم يتم القضاء عليهما فان ذلك يعني القضاء على ظل الله بأَرضه ، خليفة رب العالمين ...

وكانت النتيجة أَن جاءت الأُمور لبني عثمان بصورة معاكسة لما كانوا يخططون له .

أَجل ! كانت النتيجة أَن نهاية الدولة العثمانية جاءت

على يد ولاتهم الذين احتضنوهم ، ونقلوا عنهم إلى البلاد المقدسة عدواهم السيئة ، ولم تأت نهايتهم على يد الذين قاتلوهم ، إلا أَن العاقبة كانت للمقاتَلين - بفتح التاء - لا للمحظيين المدللين ، وتلك إرادة الله وقضاؤه وقدره ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويعز من يشاء ، ويذل من يشاء ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

هكذا كانت شبه الجزيرة قبل عبد العزيز وهكذا أصبحت بعده

ذكرت ما كانت عليه بلادنا قبل عهد عبد العزيز ، وأشرت إلى ذلك من شتى النواحي ، سواء ما كانت عليه نجد أو ما كانت عليه الحجاز ، مكتفياً بهاتين المقاطعتين بصفتهما أكبر ما في شبه الجزيرة من المقاطعات .

تاركاً للقاريء أن يأخذ منهما قياساً على مقاطعة تهامة وعسير ، على اعتبار أن ما يقال عن الحجاز جدير أن يقال عنهما ، لأنهما وإن انفصلتا عن الدولة العثمانية في أواخر حكم آل عثمان ، إلا أن رواسب العدوى التي جلبها الأتراك في الحجاز كانت موجودة فيهما ، وهي في تهامة أكثر ، وذلك لأن حكم الأدارسة نفسه قامت أسسه على التضليل الذي خدر به مشايخ الطرق الشعوب ، أما الزراعة

فيهما فإنها تختلف عن الحجاز وخاصة في عسير ، لأن الحجاز لم يكن فيه تربة صالحة للزراعة ، إذا استثنيت منه مدن الحجاز والطائف وما فيه من أودية ، ومياه وأرض خصبة ، صالحة لزراعة كثير من أنواع الحبوب ، والفواكه وغيرها ..

والطائف كان - ولا زال - هو المصيف لا للحجاز فحسب ، بل للمملكة ، وبصورة خاصة هو مصيف الحكومة الآن .

قضى عبد العزيز على وثنية السلطان ووثنية القبور :

ذكرت في الصفحات السابقة وثنية السلطان وتأليهه هو وولاته الذين يقال لهم (أشراف الحجاز) تلك الوثنية وذلك التأليه اللذين عادا بنا إلى عبادة الأصنام والأوثان في العهود الجاهلية ، وما قبلها ، مع وجود البون الشاسع بين تأليه الصنم المنحوت من الحجر او الوثن المكون من أية مادة كانت ، وبين تأليه الصنم البشري كسلاطنة الأتراك الطغاة ، وولاتهم الذين نقلوا عنهم الطغيان ،

كالشريف (عون) وورثته .

وإذا كان كل من الصنم الحجري والصنم البشري من صنع البشر كما قال الشاعر :

الناس يخشون من سَطْوِ (الزعيم) وما
لولاهُمُ لم يكنْ في حكمه جاهُ
كناحتٍ صَنَماً يوماً ليعبده
وللحماقة يرجوه ويخشــاه

أَقول : إِذا كان الأَمر كذلك بالنسبة لصنع الإِنسان للوثن الحجري ، أَو الوثن البشري فإِن الأَول على الأَقل لا ضرر للإِنسان من عبادته ، عندما يقاس بضرر الصنم البشري الذي يتصرف بمقدرات مواطنيه ، ويتمادى في إِذلالهم وسلب كرامتهم ، بل ويزهق أَرواحهم ، وهو من صنع أَيديهم .

هذا من الناحية المعنوية والمادية معاً ، أَما من الناحية الروحية ومشاركة الحاكم الطاغي بعبادة الله ، وصرف أَنواع من أَركان العبادة الذي لا يجوز ولا يصح للإِنسان أَن يصرفه إِلا لله تعالى ، وهذه الأَنواع من الركوع

والخضوع والسجود ، كل هذه الأَنواع إذا صرفها المرء بدافع الخوف والرجاء لذوي سلطان من بني البشر فإنه يكون كالمشرك الجاهلي عابد الحجر ، كما قال إقبال شاعر الاسلام – ترجمة الأُستاذ عبد الوهاب عزام :

سيَّانِ في الشرك هذا (عابدٌ بشرا)
يسعى لتأْليهه أَو عابِدٌ حَجَـرَا

وهكذا قضى عبد العزيز على جذور تلك الرواسب الوثنية ، حالما وحد الحجاز مع نجد .

إذا كان عبد العزيز وحّد شبه الجزيرة العربية توحيداً سياسياً واجتماعياً وأَدبياً ، وأَزال عادات وتقاليد سيئة كالغزو والنهب ، ووطَّد أَمن البلاد على الصورة التي سلف ذكرها ، فإنه في الوقت ذاته قضى على تلك التقاليد التي أُدخلت على الدين الإسلامي ، والتي كانت سائدة ومعمولاً بها في نفس الحرم المكي الشريف ، مثال على ذلك : كان المسلم إذا جاء إلى مكة ناوياً حج بيت الله الحرام لا يكفي أَن يذهب به السدنة إلى عدة أَماكن زاعمين قداستها – كقولهم هذا قبر ستنا خديجة زوج النبي (ﷺ) – وهذا المكان الذي

ولد به النبي ، وهذا قبر أبو طالب عم النبي ، وهذا قبر عبد المطلب جد النبي.. إلى آخره من البدع والخرافات التي شوّه بها المضللون جوهر الدين الإسلامي ، لا يكفي ذلك فحسب ، بل ذهبوا وأدخلوا في الإسلام بدعة سيئة . وهي أن المسلم إذا دخل إلى الحرم المكي ، يجد فيه أربعة منابر: منبر للحنفي، وآخر للشافعي، وثالث للمالكي، ورابع للحنبلي . وكل إمـام يقيم الصلاة بجماعة منفرداً بهم عن الأئمة الآخرين إلى درجة يتصور بها الجاهلون بمعرفة جوهر الدين الإسلامي ، أن الإسلام أربعة ديانات ، لا أنه دين واحد ، وإذا كانت بدعة التفرقة هذه غرسها الجاهلون بأصول الإسلام ، في منطلق الإسلام ، وقبلة العالم الإسلامي ، وظلت سارية المفعول إلى أن وحّد البلاد عبد العزيز ، فإن هناك بدعة تفرقة أخرى كانت موجودة في الحجاز الا وهي بدعة التفرقة في القضاء؛ ذلك أن المحاكم الشرعية في الحجاز ، لم تكن موحدة بأحكامها وقضاتها ، كما هي الحال التي عليها الآن بل كانت في الحجاز محاكمٌ متعددة حسب تعدد المذاهب الأربعة ، وكما

كان المصلون ، متفرقين في الحرم المكي على أربعة أئمة كانت التفرقة في القضاء الشرعي والمحاكم الشرعيـة موزعة على التفرقة نفسها التي عليها المصلون نتيجة لما ورثه المجتمع من بدع الحكم العثماني ، وقد ظلت هذه التفرقة ، وسوف تظل سارية المفعول ، لو لم ، يقيض الله للبلاد الملك عبد العزيز الذي كما أنه قضى على التفرقة الاقليمية والقبلية ، كذلك أعاد السنة الإسلامية الغراء إلى أصلها الطبيعي ، وبلور أهداف الدين الإسلامي الذي لم يكن دستوره دعوة للوحدة العربية فحسب، بل دعوة للوحدة الانسانية ، بكل ما يعنيه الإخاء الإنساني ، وبكل ما يعود إلى السعادة البشرية بالخير والرفاهية .

وهكذا كانت التفرقة في البلاد شاملة لكل مظهر من المظاهر الاجتماعية والأدبية والدينية إلى أن وفق الله عبد العزيز ووحدها توحيداً شاملاً لكل معنى من معاني التوحيد والأخوة .

كان الحجازيّون أسرع تطوّرًا من سواهم

حينما وحّد عبد العزيز نجداً وأَضاف إِليها الحجاز وقبلها بلاد عسير ، وبعدها تهامة ، كان الحجازيون أَسرع تطوراً مما سواهم من جميع الأَقاليم التي شملتها هـذه الوحدة ، وسرعة تطورهم هذه شاملة لكل معنى من معاني النهوض والرقي ، فمن حيث عدوى الوثنيين فإِن الأُولى أَي تأْليه الصنم البشري قد أَراحهم الله منها حال ما انتهى حكم جالبي العدوى لهم ، وبمجرد ما شاهد هؤلاء الملك عبد العزيز لا يمكن أَن يرضى لنفسه بأَن يسلم عليه أَيٌّ إِنسان وهو جالس[1] ، فضلاً عن أَن يجعل وجهاء قومه ينحنون خانعين يقبلون ركبته أَو قدمه ، علماً بأَنه يسلم عليه كل يوم من قومه ومن غيرهم من الوافدين من خارج المملكة عدد لا يقل عن خمسمائة زائر ـ هذا في الأَيام العادية ـ ومع ذلك يقوم واقفاً لكل من يسلم عليه .

ومظهر عربي وإِسلامي من الملك عبد العزيز جدير بأَن

---

(١) إلا بعد أن أقعد المرض عبد العزيز عن المشي والقيام . وذلك في آخر حياته .

يجعل عرب الحجاز ينبذون تلك العدوى الدخيلة على أَخلاقهم الإِسلامية وشيمهم العربية . أَما وثنية القبور وسدنتها ومشايخ الطرق المنتفعين من هذا التضليل ، فقد أَفَلَ نجمهم جميعاً منذ اليوم الأَول الذي فتح فيه عبد العزيز الحجاز ، أَو على الأَصح ، منذ أَن فتح قلوب أَهل الحجاز ، كما هو خُلُقُه الذي سار عليه ، عندما ينصره الله في فتحه عسكرياً لأَية بلاد ، فيسرع إلى فتح قلوب أَهلها خلقياً وأَدبياً ومعنوياً ، كما سبق أَن ذكرت ذلك في الفصول الأُولى من هذا الكتاب .

ولعل الخطب التي أَلقاها وجهاء الحجاز أَمام عبد العزيز ، خير دليل على صحة ما أَشرت إليه . وأَعني الخطب التي القاها كل من طاهر الدباغ ، وعبد الرؤوف الصبان ، وعبد الحميد الخطيب ، مع العلم أَن هؤلاء جميعاً كانوا من المعارضين لحكم عبد العزيز عندما فتح الحجاز كما تقدم ذكره .

الشاهد هنا هو ما نحن بصدد ذكره من التطور السريع الذي كان الحجازيون السباقين به على سواهم من جميع

الأقطار التي شملها توحيد عبد العزيز .

وإذا كان العلم هو العامل المباشر الرئيسي ، في نهوض الأمم ، فإن المواطنين الحجازيين لا يصح أن يقاسوا بالنجديين من حيث شيوع المعرفة والتعليم ، إذ أن في الحجاز نهضة علمية سبقت الإشارة إليها ، كما أن في الحجاز ثكنات عسكرية منذ عهد الأتراك وفيها مديرية الصحة وان كانت هزيلة كما أسلفت ، ولكن وجودها خير من عدمها .

وإذا كان الحجاز قبل عهد عبد العزيز لم تكن فيه مدارس حكومية قوية ، كما لم تكن فيه مستشفيات ذات طابع حديث ، فإن أهل هذه البلاد نالهم تطور سريع فيما إذا قيست البلاد بما هي عليه في عهد حكامها السابقين عندئذ يكون البون شاسعاً .

أولاً : تطور المعرفة والعلم :

والتطور السريع الذي لقيه الحجاز شمل كُلَّ معنى من معاني النهوض والرقي، فخذ أولاً تطور التعليم في سنة ١٣٤٤هـ = ١٩٢٦م : أنشأت الحكومة في مكة إدارة للتعليم ،

ثم أُنشيء في مكة أيضاً (المعهد العلمي السعودي) وذلك في سنة ١٣٤٦ هـ = ١٩٢٧م - وفي نفس هذا العام أُرسل بعض الشبان إلى مصر ، وهؤلاء أَول بعثة إلى مصر وكانت مؤلفة من أَربعة عشر طالباً أَكملوا دراستهم في مكة وذهبوا يكملون دراستهم العالية في مصر ، ثم عادوا متخرجين من المعاهد والكليات الآتية :

خمسة طلاب من كلية العلوم ، وطالبان من القضاء الشرعي ، وطالبان من كلية الحقوق ، وطالب من كلية الطب ، وطالب من مدرسة المعلمين الأَولية ، وطالب من مدرسة التجارة المتوسطة ، وطالب من مدرسة تحسين الخطوط ، وطالب من كلية اللغة العربية .

وفي سنة ١٣٥٤ هـ = ١٩٣٥م أَنشأَ الملك عبد العزيز في الحجاز مدرسة تسمى (تحضير البعثات) اسْتمَدَّ منهجها من مناهج الدراسة المصرية ، وقد انتدب لهذه المدرسة مدرسون مصريون من ذوي الكفاءات فتخرج من الطلاب المبعوثين منها ما بين ١٣٦٥ و ١٣٦٨ هـ (١٩٤٦ - ١٩٤٩م) ٤٣ طالباً من معاهد مصر الآتية :

٧ من كلية التجارة و ٤ من كلية الزراعة ، و ٣ من كلية دار العلوم ، و ١٢ من كلية الشريعة ، و ٤ من كلية الآداب ، و ٢ من المعهد العالي للهندسة و ١ من كلية القضاء الشرعي ، و ١ متمرن في مصلحة المساحة .

هذا وقد كان إحصاء البعثات إلى المدارس العالية بمصر وغيرها في الخارج كان عددهم سنة ١٣٦٩ هـ (١٩٥٠ م) (١٩٢) طالباً ـ كلهم موفدون على حساب حكومة الملك عبد العزيز ، وفي الوقت نفسه أرسل عبد العزيز بعثة لتعليم الطيران في ايطاليا مؤلفة من عشرة شبان من الحجاز ، وذلك في سنة ١٣٥٤ هـ (١٩٣٥ م) فتخرجوا .

وفي سنة ١٣٥٥ هـ (١٩٤٦ م) أمر عبد العزيز بإنشاء مدرسة للشرطة ، تخرج منها سنة ١٣٦٧هـ(١٩٤٨م) ٨٢ ضابطاً ومساعداً ، كما أُنشئت مدرسة للأَيتام في مكة يتولى الإشراف عليها مدير الأَمن السابق مهدي المصلح ، وقد تخرج من هذه المدرسة عدد وافر انضم كثير منهم إلى شرطة الأَمن ، وفي الطائف أَنشأَ الأَمير فيصل ـ الملك ـ المدرسة النموذجية ـ التي أُضيفت فيما بعد وأُسميت مدرسة

الثغر ومقرها جدة ، وهي من أحدث المدارس عناية وتربية ، وفي ينبع أَمر الملك عبد العزيز بفتح مدرسة لأَبناء البادية من جهينة وحرب . وذلك في سنة ١٣٥٣ هـ وتضم هذه المدرسة حوالي مائة طالبٍ .

ثانياً : التطور الصحي والثقافي

إذا كانت مديرية الصحة في العهد الذي قبل عهد عبد العزيز هزيلة ، وكانت في بيت في (جياد) لا يضم إلا غرفاً محدودة العدد ، وبناؤها رثْ ، ومثلها في جدة في (باب شريف) فإن هذه قد عمرت عمراناً حديثاً ، وجلب لها أَطباء من الخارج ، وأُضيف إليها عدة مستشفيات ومستوصفات . فهناك مستشفى الشهداء ومستشفى الكعكي ، ومستشفى المسفلة ، كل هذه المستشفيات الثلاثة في مكة والمستشفى الجراحي في المدينة ، ومستشفى الرمد في جدة ، والمستشفى العسكري في الطائف ، هذا عدا المستوصفات الموجود عدد منها في كل مدينة من مدن الحجاز ، وقبل أَن يلاقي عبد العزيز ربه أَصبحت تلك المديرية وزارة وعمّت مدن المملكة

المستشفيات والمستوصفات التي أنشأها في كثير من مدن المملكة .

ولما كانت وزارة الصحة في مدينة مكة ، فإن من مسلمات الأمور أن تكون العناية الصحية في مدن المقاطعة الغربية التي فيها الوزارة أكثر .

وقد أُنشئت وزارة الصحة في ٢-٩-١٣٧٠هـ (١٩٥١م) وكان أول وزير لها الأمير عبد الله الفيصل .

هذا من حيث التطور الصحي ، وأما التطور الثقافي والاعلامي والأدبي الذي غالباً ما يأتي عن طريق وسائل النشر . فقد صدر في الحجاز بعد عهد عبد العزيز ثلاث جرائد أُسبوعية ، وثلاث مجلات شهرية ، فالجرائد هي :

«ام القرى» صدرت في ١٥-٥-١٣٤٣ هـ(ديسمبر ١٩٢٤م) في مكة المكرمة. و«صوت الحجاز صدرت» ١٣٥٠ هـ (٢٢-٢-١٩٣٢م) في مكة أيضاً . و«المدينة المنورة» ١٣٥٥هـ (١٩٣٧م) في المدينة .

والمجلات الثلاثة الشهرية «المنهل» صدرت عام ١٣٥٥هـ وكان صدورها أولاً في المدينة ، ثم في مكة، والآن في جدة ،

ورئيسها مؤسسها الاستاذ عبد القدوس الأَنصاري . ومجلة «الحج» صدرت في مكة عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٧ م) ومجلة «النداء الإسلامي» صدرت في مكة ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) وكانت تصدر باللغتين العربية والملايوية .

كما صدر في مكة مجلة «التجارة» ظهر منها عددان ثم توقفت حسبما روى الأُستاذ الزركلي [١] .

التطور الشامل لجميع مرافق الحياة :

ما كان لي أَن أُفيض بالاستطراد فيما سبق أَن أَوردته وما سوف أَورده في هذا الفصل لولا أَمران : الأَمر الأَول : أَن الموضوع الذي أَوردته في الفصل الذي سبق هذا وهو المقارنة بين حياة السكان من حيث الأَمن قبل عهد عبد العزيز وأَثناء عهده، ذلك الموضوع الذي حاولت أَن أَستوفيه ما استطعت ، فأَصبح لزاماً علي أَن أَستوفي موضوع الحياة الاجتماعية وما عليه أَهل البلاد في نجد والحجاز قبل عهد

---

(١) تفرض علي أمانة النقل بأن أعترف أن أكثر ما أوردته عن التطور الصحي والعلمي في الحجاز مأخوذ من كتاب «شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز» للأستاذ خير الدين الزركلي .

عبد العزيز وفي عهده ، أما وقد كتبت ما يعانيه القطران من سوء الحالة الاجتماعية قبل عهد عبد العزيز ، فلا بدّ لي من أن أكتب عما كانت عليه البلاد في عهده بادئاً بالحجاز، لأن هذه البلاد كانت أسرع في النمو والتطور الاجتماعي والثقافي . وكل معنى من معاني الرقي والازدهار .

الأمر الثاني: أريدأن أذكر السبب الذي جعل الحجاز سريع التطور والنمو بينما صنوه الإقليم النجدي كان تطوره بطيئاً ـ سوف أذكر ذلك عندما أصل إلى المكان المناسب في الصفحات القادمة .

أما الآن فحسبي أن أؤكد أن مما ساعد على التطور السريع الذي حظي به الحجاز ليس إلا العوامل الآتية :

أولاً : وقبل كل شيء هو أن عبد العزيز رجل دولة ورجل وطن ، ينظر إلى مصلحة دولته ومصلحة وطنه نظرة رجل الدولة الواسع الأُفق ، ونظرة رجل الوطن البعيد كل البعد عن النظرة الإقليمية الجوفاء ، أو النظرة القبلية الخرقاء ، أو التحيز العنصري الجاهلي الأعمى ، فهو والحالة هذه عندما تم له توحيد الحجاز مع نجد وجد

المتعلمين في الحجاز ذوي المؤهلات متوفرين ، بينما كانوا في نجد معدومين ، وإن كانت معلوماتهم ومؤهلاتهم محدودتين إذا قسناهما بمعلومات ومؤهلات الجيل الناشيء الآن ، ولكنهما إذا قيستا بمعلومات ذلك الجيل تعتبر عالية ، ومن هنا أَصبح عبد العزيز ، يواجه أَمرين لا مفر له من التزامه بأَحدهما : إما أَن يجعل أَجهزة الدولة في المكان الذي فيه ذوو الكفاءات ، والمقدرة على إدارة شؤون البلاد ومصالح الدولة ومواطنيها ، ولو كان ذلك على حساب حرمان نجد من الفوائد المتصلة بأَجهزة الدولة ، وان كانت نجد قاعدة مملكته ومسقط رأْسه ، ولو كان ذلك أَيضاً مخالفاً للأُصول الدولية المرعية التي تقضي بأَن تكون جميع أَجهزة الدولة الرئيسية في عاصمة الحكومة .

وإما أَن ينقاد إلى إقليميته ، ويستجيب لعنصريته ، وينقل جميع دوائر الدولة إلى نجد ليتولاها رجال عاجزون عن إدارتها بحكم أُميتهم .

ولما كان لا مفر لعبد العزيز من اختيار أَحد السبيلين : إما سبيل رجل الدولة الناظر بعين الإنصاف لمصلحة أُمته

التي وحّد شملها وجمع شتاتها ، وإما السبيل الإقليمي القبلي العنصري الضيق الأُفق ، وفي حالة وقوف عبد العزيز بين هذين الاختيارين سرعان ما استجاب لصوت ضميره ، متجاوباً مع قول الشاعر فؤاد الخطيب :

أَنا لا أُفَرِّقُ بين أَهلك إنهم
أَهلي وأَنت بلادهم وبلادي
ولقد برئت إليك من وطنية
شلاَّءَ تؤثر موقع الميـــلاد

وهكذا اختار عبد العزيز السبيل الأَول ، وكان ذلك العامل الرئيسي الراجح القوي الذي أَسرع في تطور الحجاز .

الأَمر الثاني : وجود الحرمين الشريفين اللذين يفد اليهما المسلمون من كل فج عميق .

الأَمر الثالث : وجود الميناء البحرية في جدة بحيث كانت جميع الموارد الغذائية ترد إلى نجد من الحجاز في قوافل السيارات الكبيرة ، وقبلها الإبل ، وذلك قبل وجود الميناء في المنطقة الشرقية ، وقبل مَدِّ خط الحديد المتصل من الظهران إلى الرياض .

وهكذا ظلت في الحجاز جميع الوزارات والدوائر الرئيسية التي أُنشئت في عهد عبد العزيز كوزارة الخارجية والمالية والداخلية والدفاع والصحة . ومديرية المعارف ، ومديرية الأَمن وحتى مؤسسة النقد وغيرها .

لماذا تأخر التطور في نجد ؟ .. ومتى بدأ ؟

لا جواب في بيان سبب تـأَخر التطور في نجد إلا جواب واحد وهو عدم استعداد المجتمع لقبول النمو والتطور .

من المعلوم أَن المجتمع في نجد كان متـأَخراً في كل جانب من الجوانب التي تمت إلى الحضارة والرقي ، فهو متـأَخر حضارياً وعلمياً وزراعياً وصناعياً واقتصادياً واجتماعياً ، وبالتالي متـأَخر في كل معنى من المعاني التي تمت إلى الحضارة بـأَدنى صلة .

فالنجديون الأَوائل أَصدق قول يعبّر عنهم أَنهم رجال حرب وأَصحاب سنان وعنان وشجاعة وبطولات وأُولي بـأْس شديد ، وعن طريق هذه السجايا استطاع عبد العزيز أَن يوحد بهم شبه الجزيرة .

وإذا كان من مقومات الحضارة الصناعة ، فإن المجتمع في نجد ينظر إلى من يمتهن حرفة الصناعة باعتباره من الدرجة الثانية ؛ لا يزوج ولا يصاهر إلا من نفس الأُسر التي يمتهن أَهلها هذه الحرفة .

فالصفة البارزة على رجال ذلك المجتمع هي الشجاعة والكرم وما إلى ذلك من المثل ، فالشجاع حامي الذمار والسخي الكثير البذل ، والرجال أَصحاب هاتين الصفتين هم ذوو الوجاهة في مجتمعهم .

فالمجتمع الذي عاش أَهله آلاف القرون بل عاش أَهله منذ فجر التاريخ ، وهم على هذه الحياة ليس من السهولة بمكان أَن يساير أَهله موكب الحضارة بين عشية وضحاها .

وإذا كان البدو الرُّحَّل يشكلون في ذلك العهد ثمانين في المائة من سكان نجد من الحضر ، وهؤلاء الحضر إن صحت عليهم هذه التسمية [1] يشكل الأُميون فيهم ما

---

(١) جاء بدويٌّ من بادية نجد يدعى (هشّاش الكلب) إلى الشام ، وعندما عاد إلى أهله — قال : يضحكون علينا حضر نجد بتسمية أنفسهم حضراً ، الحضر وجدتهم في الشام ، أما أهل نجد فإنهم مثلنا بدو ، ما عدا البيوت الطينية التي يسكنونها ، بينما نحن نسكن ببيوت الشعر .

يقارب تسعين في المائة ، وأَعني بالأُمِّي الذي لا يعرف أَن يقرأَ اسمه أَو يكتبه .

فهل يستغرب الجمود الفكري من مجتمع أَهلهٍ على هذا النمط ؟.

مهما كان الزعيم عبقرياً لا يستطيع النهوض بالمجتمع الخامل :

ربما يقال : لماذا لم ينهض عبد العزيز بالنجديين إلى المستوى الحضاري ، وهو العبقري الذي عرف بنضوج الفكر ورجاحة العقل ، وبُعْدِ النظر بحيث لا يضارعه في هذه الصفات احد في مجتمعه ، بل ولا في رجال عصره من رجال العرب أَجمعين ؟ .. الجواب على ذلك :

لا يفوتنا الانتباه إلى الحكمة التي قالها عمر بن الخطاب : (الناس بزمانهم أَشبه به من آبائهم) فعبد العزيز لا نستطيع إلا أَن نقول : إنه خلق في ذلك المجتمع النجدي ، ونشأَ فيه طفلاً ، وترعرع فيه يافعاً ، وشب فيه فتياً ، ونمت مواهبه فيه رجلاً ونضجت أَفكاره فيه كهلاً ، فهل باستطاعة عبد العزيز ان يشذ عن مجتمعه ،

ويخالف ما عليه مواطنوه ؟ ...

وهل في إمكانه أن يفعل أكثر مما فعل في تحضير باديتهم ، ونقلهم من حياة الغزو والنهب والشقاق والاقتتال ، والحروب الأهلية الدامية والتعصب القبـلي والإقليمي والعنصري إلى حياة الاستقرار والعيش من عرق الجبين وكسب اليمين ، وإلى الوحدة (الاندماجية) الكاملة ، وإلى الإخاء والوئام بين أولئك القوم المتنافرين ، الذين كانت العداوة بين قبيلة وقبيلة ، وبين إقليم وإقليم ، بل كانت العداوة بالغة أوجها أحياناً بين رجال القبيلة أنفسهم ، وبين رجال الإقليم ذاتهم .

أبإمكان عبد العزيز أن يفعل أكثر من ذلك ؟؟ وهو ابن ذلك المجتمع المتخلف من جميع مقومات الحضارة ، ما عدا الصدق والأمانة والشهامة والنخوة وما إلى ذلك من الشيم العربية التي كانت تراثهم الذي يعتزون به ؟ ..

ثم لو أراد مكابر أو حاقد ، أو حاسد ، أو جاحد ، لو أراد أحد هؤلاء أن يحمل عبد العزيز تبعة بطء النمو والتطور والرقي الذي خيم على أهل نجد ، ثم وجهنا إلى

هذا الجاحد أو ذاك الحاقد السؤال التالي : لو جئنا إلى ذلك المجتمع النجدي بـ (بسمارك المانيا) و (لنكولن أمريكا) و بـ (غاريبالدي ايطاليا) ، فهل في استطاعة هؤلاء جميعاً أن ينهضوا بذلك المجتمع ، كما نهض كل واحد منهم ، بأهل بلاده ؟! ... ولنترك الجواب للقاريء الذي يعرف جيداً ما عليه المجتمع النجدي في تلك الفترة من جميع نواحي الحياة اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً الخ ...

لا يقاس فضل العبقري بين شعب واعٍ كقياسه بين شعب متخلف

هناك بوْنٌ شاسع بعيد المدى ، بين قائد عبقريٍّ يعيش بين شعب واعٍ متعطش إلى النهوض ، بل ويطالب قادته برفع مستواه حضارياً ، وبين قائد يعيش بين ظهراني شعب لا يقال : إنه متخلف فحسب ، بل ويحارب النهوض والتقدم ، نعم : هناك فرق كبير بين الأول الذي لا يحتاج إلى مواجهة شيء من الكلفة ، والعناء ، بل يجد تقديراً من شعبه بقدر ما يقدم إليهم من الأعمال الحيوية التي تتجاوب ووعيهم وأمانيهم ، بقدر ما يجد الثاني عناء

وكفاحاً مريراً من مواطنيه الذين يريد لهم حياة الرقي والازدهار ، وأَعتقد أَن أَسوأ القادة حياة وأَتعسهم حظًّا ذلك القائد الذي يحاول أَن يرتفع بشعبه إلى القمة ، وهم يقفون له بالمرصاد يصدونه عما يريد ، بقصد حَسَنٍ ونيّة سليمة ، منشأَهما السذاجة والجهل ، وما أَصدق الشاعر القائل :

وأَشقى الورى حظًّا وأَقلقهم نُهىً
لبيبٌ يداوي في نُهَاه رعاعـــا

وهذا المبدأ وإن كان خاصاً بالقادة المصلحين ، الذين يواجهون من شعوبهم المتأَخرة معارضة شديدة قد تؤدي إلى الاصطدام المسلح ، كما حصل ذلك بين عبد العزيز وبين الإِخوان بقيادة الدّويش وابن حُميد وأَتباعهما كما تقدم ذكره ، وكان أَصل الخلاف نشأَ من وجود الهاتف اللاسلكي ، إلا أَن هذا المبدأ شامل بمفهومه وعامٌّ بأَهدافه لكل مصلح مخلص ، يحاول أَن يصلح مواطنيه عما يراهم عليه من تخلف اجتماعي وخمول حضاري ، وتبلُّدٍ فكري .

كان الواقفون دون التطور قسمين :

يقف أمام موكب التطور في كل زمان ومكان قسمان : قسم يقف عن نفاق وخبث ، وقسم يقف عن جهل وحسن نيـــة .

وقد كان توفر هذين القسمين في المجتمع الذي نحن بصدد الحديث عنه من أقوى العوامل التي عاقت النمو ، فالقسم الذي يقف عن خبث هو من النوع الذي حدثني عنه الشيخ خالد القرقني إذ قال ما معناه : كان الحديث في مجلس الملك عبد العزيز يدور حول التعليم ، وفتح المدارس في نجد على الطراز الحديث . وهناك تصدّى للحديث السيد (فلبي) وقال عبارة تشير إلى عدم فائدة التعليم ، فرد عليه معارضاً قائلاً : تود أن الشعب الإنجليزي متعلم أم تود أنه جاهل ؟ وهل أنت تركت أولادك جهالاً أم علمتهم ؟ فلم يجد (فلبي) جواباً أمام حجة الشيخ خالد هذه .

ويقول : أمير الجوف ووزير الزراعة سابقاً عبد العزيز الأحمد السديري : إنه جرى بينه وبين عالم مصري نال (الجنسية السعودية) جدال في مجلس الشيخ محمد بن



الشيخ خالد القرقني يصافح الأمير عبد الكريم الخطابي

ابراهيم المفتي الكبير ، وكان الجدال حول تعليم البنات ، فما كان من الشيخ المصري إلا أن أَبدى اعتراضه الشديد على تعليم البنات قائلاً : إن تعليمهن عامل رئيسي في فسادهن . فرد عليه الشيخ عبد العزيز السديري [1] قائلاً : ولماذا تعلم بناتك اللاتي في مصر ما دام التعليم مفسدة لهن ؟!

فصمت عن الجواب كما صمت قبله (فلبي) .

ويقول : الأَخ عبد الرحمن الحميدي السكرتير الخاص للملك سعود وسفير المملكة في دمشق سابقاً والذي لا زال حياً يرزق : (إنه صار جدال عنيف بينه من ناحية وبين كل من رشدي ملحس رئيس الشعبه السياسية للديوان الملكي وجمال الحسيني المستشار الخاص للملك سعود من ناحية ثانية ، وكل منهما فلسطينيّ الولادة سعوديّ الجنسية ، وكان جدالهم حول تعليم البنات ، فكان رأْي الاثنين أَن

---

(١) كان للمرحوم عبد العزيز السديري اليد الطولى في السعي لتعليم البنات وقد فتح مدرسة على نفقته في القريات لتعليم البنات . انظر كتاب المؤلف « هكذا يكون الإصلاح» صفحة ٥٦ ــ المطبوع في ١٣٧٤ هـ ١٩٥٥م .

تعليمهن مفسدة ، فرد عليهما الحميدي قائلاً : تطالبان الحكومة بالنفقة على تعليم أبنائكما وبناتكما في الخارج ، وتحرِّمان تعليم بنات البلاد ؟! فبهتا كما بهت قبلهما (فلبي) والعالم المصري .

هذا نوع من القسم الأَول الذي كان يقف حجر عثرة أَمام التعليم ، ووقفة هذا القسم مصدره النفاق وسوء النية ، أَما القسم الثاني الذي هو المجتمع والسواد الأَعظم من الشعب ، فإنه يقف أَمام التعليم عن حسن نية ، وعن جهل ، ذلك الجهل الذي عاق التطور والنهوض في المنطقة الشرقية بكاملها ؛ أَي في نجد .

فإذا كان العامـل الرئيسي في تطور أَي مجتمع لا يأتي إلا عن طريق أَبنائه المتعلمين ، فإنه انقضى العقد السادس من القرن الحالي الهجري وحتى النصف الأَول من العقد السابع وهو لم يكن به من المتعلمين المتخرجين من المعاهد العالية من نجد سوى عدد قليل اي إلى عام ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م - وحتى هؤلاء المتخرجين ما كان لهم ان يتعلموا لولا أَنهم جاءوا إلى الحجاز لا لقصد التعليم ، بل

جاء الواحد منهم عن طريق القضاء والقدر ، كالشيخ العلامة حمد الجاسر ، وكسفير المملكة في واشنطن سابقاً الشيخ عبد الله الخيال ، والسفير الآن في النمسا والشيخ ابراهيم السويل : السفير في واشنطن سابقاً ، والسفير الآن في الخرطوم الشيخ عبد الله الملحوق ، وفي الجزائر المهندس (الجيلوجي) الشيخ عبد الله الطريقي ، الذي هو أَول من ابتعث للدراسة إلى أَمريكا ، والدكتور يوسف الهاجري ، والشيخ عبد العزيز بن معمرالسفير سابقاً في سويسرا هؤلاء القلة ، وغيرهم أَقل عدداً منهم لو لم تتح لهم ظروف جاء بها كل واحد منهم إلى الحجاز لما قدر لأَي واحد منهم أَن ينال مثقال ذرة من العلم ، وطبعاً سوف لا ينال أَحد منهم المكانة التي نالها لو حرم من العلم ، وهذا مما دعاني إلى التفكير بان أُصدر كتاباً بعنوان « جيل بين فترتين » متضمناً ترجمة حياة كل واحد من هؤلاء المخضرمين ، الذين دون الجيل القديم سناً ، وفوق الجيل الناشيء الحديث الذين شملتهم النهضة العلمية الحالية في نجد .

المعهد الذي فتح بقوّة الترهيب وبحافز الترغيب

حينما ساء عبد العزيز حرمان مواطنيه من ساكني نجد بسبب العامليْن السالفي الذكر ، ورأى أن فتح مدرسة ثانوية من الطراز الحديث في نجد أمر صعب المنال ـ عمد إلى فتح معهد ثانوي في الطائف ، واسم ذلك المعهد (دار التوحيد) وهو وإن كانت برامج الدراسة فيه تشبه برامج (المعهد السعودي بمكة) إلا أن إدارته منفصلة عن المعهد المذكور ، وقد جلب له عبد العزيز رئيساً من الخارج وهو الشيخ محمد بهجة البيطار ، ومديره ابنه يسار الذي أكمل دراسته فيما بعد فأصبح (دكتوراً) .

وقد أمر الملك عبد العزيز بأن يكون هذا المعهد محصوراً على طلاب نجديين وأن يكون عددهم مائة من حملة

الشهادة الابتدائية أَو ممن لديه من المعلومات التي تلقاها من المشايخ ما يعادلها .

ولما لم يكن في نجد مدرسة ابتدائية ، إلا في الرياض أَو في المدن الثلاث (عنيزة) و (شقراء) و (المَجْمَعة) فقد جيء بطلاب تلك المدارس من أَهلهم بقوة الترهيب وحافز الترغيب ، فمن حيث الأُولى فقد بعث الملك لهؤلاء الطلاب مندوبين يأتون بهم إلى المعهد بدون موافقة أَهلهم ، بل بما يشبه القوة ، ومن حيث الثانية فقد وفر للطلاب السكن والغذاء الحسن ، الذي قد لا يتوفر لكثير منهم عند أَهلهم ، على اعتبار أَن نجداً لم تتوفر فيها الخيرات كما هي الآن ، وبالإضافة إلى ذلك يمنح الطالب مرتباً شهرياً قدره خمسة عشر ريالاً ثمن كسوته ، أَمـا كتب الدراسة فكلها موفرة من الحكومة ، والطالب المتزوج – مثلي بصفتي من طلاب ذلك المعهد ، ومثل الأَخ الشيخ عبد الله بن خميس ، والشيخ عبد الله الشلاش ، والشيخ سعيد جندول – جميعنا – نمنح خمسة وستين ريالاً . كان ذلك في عام ١٣٦٤ هـ (١٩٤٤م) ومن المعلوم ان الريال في تلك الفترة

تقابل قيمته الشرائية الآن أكثر من عشرة ريالات ، وكنت والشيخ ابن شلاش والشيخ عبد الرحمن الشعلان [1] الذي جاء بعدي . وجميعنا ممن كان لهم دراسة تلقيناها على المشايخ تعادل الشهادة الابتدائية . أمـا الشيخ ابن خميس فإنه لم يسبق له تعليم كما أشرت في كتابي « **فهد بن سعد ومعرفة ثلاثين عاماً** [2] » .

---

(١) عبد الرحمن الشعلان : قاضي المستعجلة في مكة الآن .

(٢) ج ١ ص ١٢٦ .

كأن الحكومة جاءت بأولئك الطلاب إلى غياهب السجن لا إلى منهل العلم

كأن العمل الذي قام به عبد العزيز بدافع الغيرة على مواطنيه ، عندما بعث مندوباً ليحضر أولئك الطلاب إلى المعهد المذكور ، موفراً لهم الغذاء والسكن والراتب ، كأن عمله هذا عقاب منه لا في نظر الطلاب الذين كانوا بين يوم وآخر يضربون عن الدراسة ، بل بنظر أولياء الطلاب الذين ضجوا وهاجوا وماجوا فكأن أبناءهم أخذوا ليوضعوا (رهائن) في السجن على الطريقة التي كان يفعلها الإمام يحيى حميد الدين وابنه أحمد من بعده ، لا أنهم أخذوا ليرتووا من مناهل العلم .

وكان مما يشاع عند فتح (دار التوحيد) أن بعض

الناس قال حينما التقى بآخر : (عسى ولدك ما يقرأْ) أَي لعلَّ ابنك أُمِّيٌّ لا يحسن القراءة لأَنه إذا كان يقرأْ سوف يؤخذ من بين يديك ويسجن [1] ...

لم يبقَ القسم الكثير من أُولئك الطلاب في المدرسة إِلا العام الدراسي الأَول ، وما ان جاءت العطلة الصيفية حتى هرب الكثير منهم ولم يعد في السنة الثانية ، وخاصة الطلاب الذين من أَهل شقراء ، ومن بين أُولئك الطلاب الذين هربوا ثم ندموا الأُستاذ الشاعر والناثر الأَخ سعد البواردي ، والأُستاذ الوزير في حكومة الملك فيصل الأَخ

(١) ولهذا القول عند أهل نجد أصل يطول شرحه . وانما أختصره على الوجه الآتي :

كان يوجد في حائـــل في عهد إمارة عبد العزيز بن رشيد شيخ من رجال العلم يدعى (الشيخ صالح السالم « أنظر من شيم العرب » (ج ٣ ص ٢٧٦ – إلى ٢٨٢ – فهذا الشيخ تتلمذ على يد الشيخ عبد الله ابن عبد اللطيف ، وأصبح يكره ابن رشيد ، بل ويعتقد أنه كافر بحكم موالاته للأتراك ، وهؤلاء – الاتراك – يحكمون بغير ما أنزل الله ، ومن والى كافراً فهو كافر ، وقد أصبح له أتباع، مما اضطر ابن رشيد إلى مطاردته هو وأتباعه الذين انتشروا في نجد . فشاعت تلك الكلمة بين أهل نجد (عساك ما تقرأ) أي إن من يقرأ القرآن يعاقبه ابن رشيد . هذا هو أصل (عسى ولدك ما يقرأ) ..

صالح الحُصِّين ، وممن تركوا الدراسة ثم عادوا وواصلوا دراستهم الدكتور عبد الله المبارك الأُستاذ في جامعة الرياض .

ويؤسفني أَن أَذكر حادثة جرت مني كلما تمر ذكراها على ذهني أَخجل من نفسي وخلاصتها : (كان الشيخ محمد بهجة البيطار أَراد أَن يدخل في برنامج الدراسة مادة تعليم اللغة الانجليزية ، فانقسم الطلاب ضد تعليم هذه اللغة إلى قسمين ، قسم مؤيد للشيخ وقسم معارض له ، وكنت مع الأَسف أَشد المعارضين عنفاً ، وكان الشيخ بهجة ـ رحمه الله ـ يقول : يا أَبنائي عليكم أَن تفهموا أَن شهادةً بدون علم أَفضل من علم بلا شهادة) .

ولم نكن جميعاً نفهم أَو نعقل معنى كلمته هذه ، التي تشير إلى أَن الطالب إذا نال (الشهادة الدراسية) تمكن من بلوغ أَعلى منصب في الدولة حينما تكون شهادته عالية حتى ولو نسي معلوماته التي تلقاها أَثناء الدراسة ، وحتى لو لم يمارس مواصلة دراسته في المطالعة التي تزيده ثقافة ، بل حتى ولو لم تكن لديه الموهبة التي يستطيع أَن يعبر بها عن فكرة ما بمقدار صفحة واحدة فقط .

كنت أَجهل هذه الحقيقة كما يجهلها كثير من زملائي إلى أَن اصطدمت بها وجهاً لوجه مع عالم الحياة والواقع المحسوس .

هذه صورة أَضعها بين يدي القاريء ليأَخذ فكرة واضحة عن واقع الأَمر الذي يعيشه أَهل نجد ، وهي صورة تكون من ناحية أَخرى جواباً للسؤال القائل : لماذا تأَخر النمو والتطور في نجد ؟!

أَما بداية التطور فإن الجواب عليها سيكون في الصفحات القادمة .

جاءت بداية التطور امتداداً للجهود التي بذلها عبد العزيز :

جاءت بشائر التطور في نجد تلوح في الأُفق وذلك في أَواخر حياة عبد العزيز ، وكان هذا التطور سريعاً كالبرق الخاطف ، سرعة تختلف اختلافاً تامًّا عن بطء سيره السابق ، بل وثب التطور وثبة تسترعي الانتباه والإعجاب ،

ليس بين يديَّ الآن إحصاء كامل لما وصلت إليه البلاد في آخر حياة عبد العزيز من تطور ثقافي وصناعي وزراعي

واقتصادي ، ذلك التطور والنمو والوثبة السريعة التي وصلت إليها نجد بصورة خاصة ، وما شمل المملكة بمفهوم عام ، فهذا الموضوع يحتاج إلى بحث مستقل ، محيط وشامل لجميع مرافق الحياة الحية ، فمن أَراد الاطلاع على ذلك فما عليه إلا أَن يراجع الأَسفار الكثيرة التي أَصدرها المؤلفون المختصون في هذا الميدان ، أَما الشيء الذي تسرني الإشارة إليه مما أَجدني في صدد الكتابة فيه من شيم عبد العزيز هو أَن أُؤكد تأكيداً لا جدال فيه أَن كل مظهر من مظاهر الرقي والتطور والنمو والازدهار ، وكل معنى من معاني النهوض والتجدد ، والأَمن الذي لا يشارك المملكة فيه أَي بلد في العالم ، وتطور العمران ، وتفجر الذهب الأَسود ، ووفرة المتعلمين ، وكثرة المدارس والمعاهد والكليات والجامعات ، واتساع المعرفة ، والمستشفيات . كل هذه الأُمور كان الغارس لبذرتها الأُولى والواضع لحجرها الأَساسي ، إنما هو عبد العزيز ، فهو بعد الله المؤسس الأَول ، وجميع هذه الخيرات التي تنعم بها البلاد رافلة بحللها القشيبة إنْ هي إلا ثمرة من ثمرات جهوده وكفاحه ، والفضل لله تعالى ثم

لعبد العزيز موحد شبه جزيرة العرب .

والشيء الذي يطيب لي أن أَختم به هذا الفصل هو أَنه بعدما كان ساكنو نجد قبل عهد عبد العزيز يذهبون مهاجرين عن بلادهم بدافع الفاقة والقحط من ناحية ، ومن ناحية أَخرى بدافع الحروب الأَهلية وعدم الاستقرار واضطراب الأَمن الذي يرى المواطن أَن رزقه مهدد بأَن يُنْهَبَ من بين يديه ، بل وحياته وحياة إخوته وأَبنائه وجيرانه ، لا يدري متى تأْتيه غارة تقضي قضاءً أَبدياً عليه وعلى أَهله ، بعد ذلك أَصبح الوافدون إلى هذه البلاد يتزاحمون عليها بالمناكب ، لا من البلاد العربية فحسب ، بل من كل قطر من أَقطار المعمورة .

وبعدما كان المثل السابق الذي أَشرت إليه يقول : (نجد تلد ولا تغذي) فقد أَصبحت (نجد) - بصورة خاصة والمملكة بوجهٍ عامٍّ - معقلاً يأْوي إليه ويولد فيه وينمو فيه أَبناء العدد الوافر من أُمة العرب وغير العرب ، حتى أَصبحت المملكة العربية السعودية قبلة الوافدين إليها من كل فج عميق ، وأَصبح المحظوظ الذي يسعده الجد من

تتاح له الفرصة بمنحه (تأشيرة الدخول) إلى هذه البلاد التي وطد أَمنها عبد العزيز ، وغرس نواة شجرتها المباركة ، ووحد شمل أَبنائها بعد شقاق وفرقة ، وأَصبح كل ما تراه العين من مظاهر الإخاء بين مواطنيها ومن مظاهر الرفاهية والنعيم ، ومن مظاهر الحضارة والنموِّ المطَّرد في شتى مرافق الحياة ، كل هذا وذاك إن هو إلا من ثمرات كفاح عبد العزيز ، ومن نتائج نضاله ، ومن حصيلة جهاده ، ومن حسناته ومساعيه ، ومن فضائله ومُثُلِهِ ، ومن قيمه وشيمه ، غفر الله له وطيب ثراه .

وهكذا كان مجتمعنا بالأَمس ، وهكذا أَصبح اليوم .

الفصل السّادس عشر

القضيّة الفلسطينية ودَور الحكّام العَرب فيها

قدر لي أن أَعيش القضية الفلسطينية ، كما عاشها بـآلامها وآمالها كل عربي مخلص .

عشتها بالواجب نفسه الذي يجب وجوباً ملزماً أن يقوم به كل عربي مسلم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

بل يجب أن يقوم به كل إنسان حُرٍّ يكرهُ الإنسان الباغي الظالم لأَخيه الإنسان المظلوم المضطهد ويجاهد ظلمه وبغيه على الصورة نفسها التي ظلم بها الصهيونيون الباغون إخواننا الفلسطينيين .

عشتها جندياً متطوعاً إبَّان غزوة الصهاينة المعتدين في الحرب الأُولى عام ١٩٤٨م ، ولا زلت أَعيشها بكل جارحة من جوارحي .

وأَرجو أَن لا يتصور القاريء الكريم أَني حينما أُشير إلى هذا أَني أَستهدف من وراء ذلك إطراءً لنفسي .

ولعل الأَخ السفير للمملكة السعودية في بغداد حالياً (علي الصُّقير) أَصدق شاهد على عزوفي عن أَي إطراء في حرب لم يكتب لنا فيها النصر ، أَجل يشهد الأَخ علي الصقير أَنه حينما بعث إليَّ المؤرخ المشهور الأُستاذ عارف العارف رسالة مع رسالة [1] الأَخ علي الصقير عندما كان قنصلاً في (القدس) يطلب الأُستاذ العارف بأَن أُوافيه برسالة أَوضح فيها أَسماء السعوديين المتطوعين ، وأَسماء الشهداء منهم والجرحى .. الخ ، كما يطلب مني بأَن أُوافيه بصورتي الشمسية .

وقد أَجبته على طلبه الأَول . أَما طلبه الثاني فكان جوابي : (الجندي المهزوم لا يشعر بالزهو عندما توضع صورته ، ولذلك أَرجو أَن يعذرني الأُستاذ في عدم تلبية طلبه) .

---

(١) رسالتا العارف والصقير موجودتان عندي .

ما الذي يجيز لي كتابة الأحداث عن الرواة ، ولا يجيز لي كتابة الأحداث التي كنت فيها شاهد عيان ؟ !

إذا كنت أُوضح في هذا السفر جانباً من جوانب شيم عبد العزيز ذات الصلة بشجاعته وبسخائه وبعفوه . وغير ذلك ، وما دام أَنه ما من جانب من جوانب شيمه المتعددة ، إلا وأَسعى ما استطعت باذلاً جهدي لكي أَتصل بمن لهم خبرة ودراية لأَروي عنهم الأَحداث ، فما الذي يجيز لي ويجيز لكل مؤرخ السير على هذا الأُسلوب ، ولا يجيزلي كتابتي الأَحداث التي كنت فيها شاهد عيان وراوياً صادقاً ؟

وما دام أَن لي في القضية الفلسطينية خبرة تزيد عن ربع قرن ـ هذا من حيث المفهوم الشامل العربي بصورة عامة ـ وهي خبرة ودراية يُماثلها بوجه خاص بالنسبة لارتباط القضية الفلسطينية بالمملكة العربية السعودية لا في عهد الملك عبد العزيز فحسب ، بل أَصبحت تلك الصلة امتداداً متصلا مع جميع الملوك إلى يومنا هذا .

فهل ترى إذا كتبت عما أَعرفه كتابة الصادق الأَمين بروايته ، الذي يعمل أَلف حساب وحساب للمسؤولية

التاريخية لأَيّ حرف يكتبه . أَيجوز أَن يقول القائلون عمن يكتب الحقائق الصادقة : إِن هذا الكاتب يكتب عن نفسه ؟ ...

ثم إِذا كان هناك بعض الحقائق التي يكون الكاتب شاهد عيان فيها ، أَو قد يكون طرفاً فيها . فماذا يكون موقف الكاتب الصادق المتحرِّي للحقيقة فيما يكتب إِذا شاهد بعينه هذه الحقيقة وسمع بأُذنيه ؟ ... فهل لي في حالة كهذه أَن أُغفل مثل هذه الحقائق خشية أَن يقال عني بأَنّي أَتحدث عن نفسي ؟ ..

أَأُغفل هذه الحقائق والإِمام ابن القيم يروي عن أَحد العلماء : أَن (العمل من أَجل الناس شرك وترك العمل من أَجل الناس رياء) .

لا بدّ لي من أن أتخذ بين هذا وذاك سبيلاً وسطاً :

كنت كتبت كتابة ، وإِن كانت من صميم الحقيقة والواقع إِلا أَن فيها مجالاً لمن يتصور أَنني أَتحدث عن نفسي ، وإِن كان ذلك الحديث يعبر تعبيراً واضح المعالم

عن قصور حكام العرب في حرب عام ١٩٤٨ من ناحية ، كما يعبر بوضوح لا غبار عليه عن موقف الملك عبد العزيز الصارم في حرب ١٩٤٨ .

ولذلك أَغفلت عدة صفحات سبق أُن سودتها ، إلا أَن هناك حقائق جوهرية ، مهما حاولت أَن أَغفلها فإنني أَشعر بأَن في إغفالها أَو إخفائها إغفالاً وإخفاء يسقط كثيراً من أَهمية الموضوع الجوهري ، الذي يكشف لنا القناع بصورة واضحة جلية ، عن موقف الملك عبد العزيز من القضية الفلسطينية ، وأَعتقد جازماً أَنه من سوء حظ الفلسطينيين أَن الملك عبد العزيز لم يكن في مكان إحدى دول المواجَهَة .

ألا ليت عبد العزيز في مكان إحدى الدول المتاخمة لفلسطين :

كم كنت أَتمنى أَن الملك عبد العزيز في مكان إحدى الدول المتاخمة لفلسطين .

إذ لو كان الأَمر كذلك لتغير مجرى التاريخ العربي الحديث رأساً على عقب ، ولما أَصبح أَي أَثر للسرطان

الصهيوني في خريطة العالم العربي ، والسبب في ذلك يعود إلى كون الحكام العرب المجاورين لفلسطين يختلفون جميعهم وبدون استثناء عن القيادة التي يتمتع بها عبد العزيز اختلافاً شاملاً بمرماه وأبعاده وأهدافه في كل معنى من المعاني التي يحتاج إليها أي حاكم بصورة عامة ، كما يحتاج إليها العرب المجاورون لفلسطين بصورة خاصة . وهذا الاختلاف يحسن بي أن أوضحه على الوجه الآتي :

أولاً – لم يكن بين حكام العرب أولئك حاكم له ماض تليد ومجد عريق ، وشجاعة وكفاح وفتوحات ، وبطولات ، ومغامرات كعبد العزيز .

ثانياً – لم يكن بين أولئك الحكام حاكم جاء إلى الحكم عن طريق نضاله العسكري الذي يعتبر أحياناً نضالاً (انتحاريا) وحّد به اثنتي عشرة وحدة سياسية ، كما وحّد أكثر من ثلاثين قبيلة تشكل كل قبيلة سلطة حكومة باستقلالها ، وبسلبها ونهبها وغزوها ، وافتراس قويها لضعيفها .

ثالثاً – لم يكن بين أولئك الحكام حاكم واحد لديه

شعب سامع ومطيع لأوامر حاكمه بدون قيد أو شرط كما هو شعب عبد العزيز الذي لو أمر رجاله جميعاً بالقيام في مغامرة (انتحارية) لما توقف واحد منهم عن تلبية أوامره ، سامعين مطيعين وراضين وفخورين .

رابعاً – لم يكن بين أُولئك الحكام من جمع بزعامته وقيادته زعامة أُسرته العربية القديمة السلطة والسيادة وخاصة في نجد وزعامته الشخصية ، التي وان كانت زعامة وراثية ولكن عبد العزيز بناها بعون الله فوق أنقاض متداعية .

خامساً – لا يوجد بين أُولئك الحكام حاكم يمضي وقته راهباً متنسكاً يقيم الثلث الأخير من الليل متعبداً متهجداً ، وأسداً بالنهار إذا حمي الوطيس ، ورأى أن المعركة (مصيرية) لا تقبل الحل الوسط ، هناك توشح بحسامه وتقدم رجاله – كما سلف ذكره –[1] .

سادساً – يندر أن يوجد بين شعوب حكام العالم العربي شعبٌ دَرَّبَهُ حكامه تدريباً عسكرياً وروحياً (وعقائدياً) كما

---

(١) انظر فصل الشجاعة في هذا الكتاب .

درب عبد العزيز رجال شعبه بصورة يؤمن معها المقاتل إيماناً وطيداً لا يعتريه أَدنى ريب بأَنه حينما يأذن له عبد العزيز بقتال اليهود ، فانه يقاتلهم بعقيدة المؤمن الذي لا بُدَّ أَن يحقق إحدى الحسنيين إما النصر على العدو ، وإما الشهادة .

سابعاً ــ وهذا يكاد يكون ــ هو العمود الفقري ــ وهو كما يقال بيت (القصيد) ، بل هو المحور الذي يدور حوله الهدف المنشود الذي نحن بصدد الحديث عنه ، أَو بعبارة أَوضح وأَكثر صراحة : هذا الأَمر من أَهم العوامل الرئيسية التي جعلت الحكام العرب في ذلك الوقت يرفضون رأَي الملك عبد العزيز في دعوته إلى أَن تكون الحرب بين اليهود والعرب حرباً (شعبية) بينما يرى أُولئك الحكام أَن تكون حرباً (رسمية) تتولاها الحكومات العربية .

وإذا سأَلتني أَيها القاريء عن هذا السر ، قلت لك : إنه سرٌّ ما كان لي أَن أَعرفه ، لولا أَن الظروف التي أَتاحت لي الفرصة المواتية بساهمتي جندياً متطوعاً ، وخلاصة هذا السر وتلك الحقيقة أَنــه لم يكن بين الحكام العرب

جميعاً وبدون استثناء الحاكم الذي لو يقوم قائد عسكري ، أَو رئيس قبيلة ، أَو صاحب زعامة عريقة ، لو يقوم أَي واحد من هؤلاء بعمل بطولي يحرر به فلسطين .

أَقول واثقاً وجازماً : إنه لم يكن بين أُولئك الحكام ممن لا يخشى على ملكه إن كان ملكاً من منافسة ذلك القائد الفاتح لفلسطين والمحرر لها [1] ، أَو يخاف على رئاسة جمهوريته إن كان رئيس جمهورية . اللهم إلا الملك عبد العزيز ، الذي لو حرر فلسطين أَي قائد من قادته العسكريين ، أَو أَي زعيم قبيلة ، من زعماء قبائله ، أَو من زعماء وأُمراء مملكته ذوي التاريخ العريق بالزعامة ، بل لو حرر فلسطين أَمير من أَكبر أُمراء أُسرته آل سعود ، فإن عبد العزيز لا يخطر له ببال أَن ينافسه على ملكه أَي واحد من هؤلاء جميعاً .

وهذا أَمر مخالف لما يخشاه أُولئك الحكام ، الذين

---

(١) بعد حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ، قام عدد من القادة العسكريين العرب بانقلابات استولوا بها على الحكم وهم لم يحققوا أي مجد عسكري على العدو ، ورغم فشلهم صنعُوا لأنفسهم هالة من المجد ، فكيف لو حققوا نصراً عسكرياً ! !

تمسكهم بكرسي الحكم هو الذي ضيّع فلسطين، كما ضيعهم جميعاً واحداً واحداً بصورة يرثى لها .

أَما بالنسبة لعبد العزيز فإن أَي قائد يبعثه هو ثم يحرر فلسطين ، فإن كل ما في الأَمر أَن يعود ذلك القائد الفاتح المنتصر إلى مكانه الطبيعي الذي وضعه فيه عبد العزيز . وأَكثر توضيحاً من ذلك : لو غضب عبد العزيز على ذلك القائد المحرر لفلسطين فزجَّه في غياهب السجن أَو قتله ، فإنه لن يجد من يشفع له إلا أَن تكون الشفاعة برضاه ، كما أَنه يستحيل أَن يجد من ينتصر له فيما إذا قتله ، لأَن عبد العزيز في أُسلوبه الحكيم الذي ملك به قلوب شعبه لا يقدم قطعاً على عقاب أَحد بالقتل حتى يقيم عليه الحجة الشرعية ، بل وحتى يستعمل معه جميع الأَساليب حتى يجد جميع هذه الأَبواب موصدة في إصلاحه بحيث لا يجد في قلب أَي إنسان له عاطفة أَو رحمة ، فيما إذا عاقبه بالموت .

لو أخذ حكام العرب برأي عبد العزيز لما ضاعت فلسطين

معنى هذا العنوان لا أعتقد أن عربياً واعياً يجهله ، فهو حقيقة باتت معروفة لدى الجميع ، إلا أن هناك حقائق أخرى عرفها من عرفها وجهلها من جهلها .

والشيء الذي لا يختلف فيه اثنان أن حكام العرب الذين عاصروا الملك عبد العزيز وعاشوا النكبة الأولى في عام ١٩٤٨ ـ لو كانوا مخلصين في نياتهم أو غير مسيرين من الخارج لما أدخلوا جيوشهم الحرب على الصورة والشكل والأسلوب الذي دخلوا الحرب بها .

مرة أخرى جاء إلى عبد العزيز وفود يمثلون حكوماتهم العربية ، ومما أذكره أن بين تلك الوفود جميل مردم رئيس وزراء الحكومة السورية ، ورياض الصلح رئيس

وزراء الحكومة اللبنانية ،وغيرهما ، وذلك في عام ١٩٤٨ جاءوا يطلبون رأي عبد العزيز وموافقته على دخول جيوشهم الحرب ، فأَصر عبد العزيز على رأيه الأَول الرامي إلى أَن تكون الحرب بين اليهود والشعب الفلسطيني حرب عصابات ، وحرباً شعبية ، ومما قال عبد العزيز لأَعضاء ذلك الوفد : « إذا صارت الحرب حرباً شعبية بين الشعب العربي الفلسطيني وبين الشعب اليهودي ثم سلمنا جدلاً أَن اليهود انتصروا على الشعب الفلسطيني، وإن كان ذلك بعيد الاحتمال ؛ إذا أَمددنا الفلسطينيين بالمال وبالمتطوعين ، ولكن إذا وقع هذا المستحيل فإن عار الهزيمة يكون محصوراً على الشعب الفلسطيني فقط ، أَما إذا انتصر الشعب الفلسطيني على اليهود وطردهم مدحورين ، وهذا الذي سيتم بعون الله فإنه لم يكن للدول الأَجنبية أَي مبرر للتدخل .

ولكن إذا دخلت الدول العربية الحرب بجيوشها فإن انتصرت هذه الدول على شرذمة مشردين من اليهود ؛ فإنه لا فخر للعرب بهذا الانتصار ، بل سوف تتدخل الدول الكبرى بفرض أَمر تمنع به الدول العربية من مواصلة

انتصارها [1] ، أما إذا انتصر اليهـود المشردون المنبوذون على كل الدول العربية مجتمعة ، فإن ذلك سوف يكون خزياً أبدياً على الأُمة العربية » .

كل هذه الحجج الدامغة ، والبراهين النيرة الواضحة التي أَدلى بها الملك عبد العزيز كلها لم تجد أُذناً صاغية ولا قلباً واعياً ، وإنما رفضها قادة العرب جملة وتفصيلاً ، بل اتُّهِمَ الملك عبد العزيز بأَنه عندما قال ذلك فإنه لا يريد أَن يدخل الحرب ، قال المتهمون هذا وهم يعرفون أَنهم على خطأ ، وأَن عبد العزيز على صواب ، يؤكد أَكثر من واحد من الرواة الثقات بأَن الملك عبد العزيز عندما رفض حكام العرب رأيه هذا ، وأَصروا على الحرب ، يؤكدون أَن مقلتيه ذرفتا دمعاً وقال : (ضاعت فلسطين) !!

وممن أَكد لي هذه الرواية رجلان من موظفي الديوان الملكي هما السيدان عبد الرحمن بن عمران سفير المملكة السعودية في تونس ، وعبد الرحمن الحميدي سفير المملكة سابقاً في سورية ، وغيرهما .

---

(١) وهذا هو الذي حصل في الهدنة الأولى .

لماذا رفض هؤلاء الحكام رأي الملك عبد العزيز الصائب ؟ .

لست أَعرف كل الأَسرار الخفية التي جعلت أُولئك الحكام يرفضون الرأي السديد الصائب وهم يدركون مدى صوابه وصحة أَثره ؟ ..

أَعرف جانباً من هذه الأَسرار ، وهذا الجانب ما كان لي أَن أَعرفه لولا تطوعي في (جيش الإِنقاذ) الذي كان يرأَسه في ذلك الوقت (فوزي القاوقجي) وقد توليت رئاسة مفرزة كنت مرابطاً ورفاقي في قرية تسمى (سَعْسع) في لواء الجليل ، وهي غير سعسع القرية السورية التي دارت فيها معارك حرب رمضان .

كنا جبهة دفاع ، وحينما دخلت الجيوش العربية في ١٥ أَيار ١٩٤٨ ـ قلت لرفاقي :

إذا جاء الأُسبوع القادم ونحن لا زلنا جبهة دفاع فمعناه أَننا خسرنا الحرب !! فسأَلني أَحد الرفاق عن دليلي على ذلك ، فقلت : ما دمنا منذ أَشهر ونحن جبهة دفاع ، ويقال لنا متطوعون ، وعددنا وعتادنا محدودان ، فإِذا دخلت الجيوش العربية بعددها وعدتها ، ومع ذلك لم يتبدل

شيء من موقفنا العسكري من الدفاع إلى الهجوم فهذا يعني أَننا خسرنا الحرب حتماً .

تيقنت أننا مهزومون لا محالة اذا لم نبدل خططنا

لقد جاء الأُسبوع الأَول والثاني والثالث ، ونحن ما زلنا جبهة دفاع ، ثم صدر الأَمر علينا نحن (جيش الإِنقاذ) بأَن نعود إلى معسكر (قَطَنا) القريب من دمشق ، ليتم تدريبنا من جديد ، ولتدخل الجيوش العربية وتحل محلنا ، ونحن نأُخذ فترة نرتاح بها وننظم تنظيماً جديداً ، وهكذا عدنا عن طريق لبنان ثم دمشق ، وهناك التقيت بالسفير عبد العزيز بن زيد سفير بلادي في سورية ولبنان ، فسأَلني عن الجبهة وعن الوضع العسكري ؟ .. فقلت له : نهايتنا الهزيمة لا محالة . فقال : كيف بدا لك ذلك ؟ ...

قلت : كل الأَدلة توحي أَننا مهزومون ما لم نبدل خطتنا العسكرية ، بصورة تكون حربنا ضد اليهود حرباً شعبية ، صادرة عن عقيدة يؤمن المقاتل منا بإِحدي الحسنيين . ومضيت فقلت : إِنني أَودُّ أَن أَتصل برؤساء

العشائر ، وأُنشدهم قصيدة شعبية مهيّجة ، فإن استجابوا لي فإن كل رئيس قبيلة يستطيع أَن يجند ما لا يقل عن خمسة آلاف مقاتل مثل (فوّاز الشعلان) وقبيلته (الرُّولة) و (مقحم بن مهيد) وقبيلته (الفدعان) ،و (ميْزر الجربا) وعشيرته (الفدَّاغة) من شمْر ،و (دهام الجرباء) وعشيرته (الخرصة) من شمر ، و (راكان بن مرشد) وعشيرته (القمصة) من قبيلة (السبعة) وغير هؤلاء العدد الوافر من رؤساء قبائل سورية ، وصادف ذلك الوقت أَن هؤلاء جميعاً كانوا موجودين في دمشق ؛ لأَن كل واحد منهم كان نائباً في البرلمان السوري - وكان كل واحد من هؤلاء يمثل حكومة داخل حكومة ، لأَن لديهم المال والرجال ، ولم تأت (الاشتراكية) بعد ، حيث صودرت مزارعهم . ثم استرسلت وقلت : إذا هيّجت هؤلاء بقصيدة أُثير بها نخوتهم سوف أَذهب إلى علماء الدين وأُهيجهم أَيضاً ، فهؤلاء المشايخ يهيجون أَفراد الشعب المدنيين ، وخاصة المدربين ، وكان في ذلك الوقت أَيضاً من المدنيين مدربون ومعهم سلاحهم منذ عهد الاحتلال الفرنسي ، وأَكدت لابن

زيد أنه إذا نجحت فكرتي هذه فإن الحرب أمام اليهود سوف تكون حرباً دينية ، يثيرها المشايخ بصورة يقاتل المرء بدوياً كان أو حضرياً عن عقيدة روحية ، يريد بقتاله إحدى الحسنيين ، إما النصر وإما الشهادة في سبيل الله ، وتكون حرباً قومية أيضاً لأني أعرف شجاعة البدويّ وشدة بأسه واحتماله للمشاق وصلابته الحرب .

فقال ابن زيد : فكرة حسنة فعليك أن تسعى لتنفيذها والتوفيق بيد الله .

أجمع رؤساء القبائل وعلماء الدين على رأي واحد

ذهبت أولاً إلى رؤساء القبائل ، وكنت قد أعددت قصيدة تزيد على خمسين بيتاً ، وقد وجدتهم مجتمعين في منزل المرحوم (مقحم بن مهيد) الكائن في حي (الشعلان) وكان من الموجودين عند مقحم ميزر الجربا وراكان بن مرشد ـ وهما لا يزالان على قيد الحياة ، حتى كتابة هذا السفر وفي أكثر من مرة كنت أذكرهما تلك المناسبة ـ ونواف بن كرخ رئيس قبيلة (الحديديين) وهناك مهدت بِكلام

مقدماً للقصيدة ، وقاطعني الشيخ مقحم قائلاً : إننا مستعدون للحرب ، ولكن منعنا رئيس الجمهورية شكري القوتلي ، ورئيس الوزراء جميل مردم ، وكان لدي علم أَن رؤساء القبائل أَرادوا أَن يدخلوا جبهة الحرب برجالهم وبكل قوتهم ، ولكن رئيس الدولة ورئيس الحكومة منعاهم ، ولذلك أَعددت بيتاً ضمن القصيدة أُحرضهم على أَن يثوروا في وجههما فيما إذا منعاهم دخول الحرب ، والبيت هو الآتي :

فإنْ كَانْ شكري ومردَمْ ما يطيعون

بِتُّوا حبال الوصل بْحَدَّ السنانـــا

وقد أَلقيت القصيدة كما أَلقيت قبلها كلاماً مثيراً قلت فيه : عليكم أَن تدركوا أَن رئيس الجمهورية شكري القوتلي ورئيس الوزراء جميل مردم عندما يقفان أَمامكم إنما يفعلان هذا حسداً لكم على شرف الجهاد ، وهما على ثقة بأَنه إذا تم النصر على أَيديكم في فلسطين فإن رئيس الدولة ورئيس الحكومة سوف يكون المتعلم من أَبنائكم أَو سوف يكون من الأَشخاص الذين تفرضونهم أَنتم .

ذهبت من عندهؤلاء بدون أَن أَجد منهم نفياً قاطعاً ولا

قبولاً محسوساً ، بل كل ما عرفته عنهم أنهم مستعدون بأَن يذهبوا للحرب حينما يأذن لهم رئيس الجمهورية ، وأَكد لي الشيخ مقحم بحضور الشيخ راكان ، بأَن الأَخير جاء بعدد من رجاله مجهزين بالأَسلحة والعتاد ، ووسائل النقل ، وأَن الرئيس شكري منعه عن ذلك ، بل وتوسل بالشيخ مقحم بأَن يساعده على أَن يثني عزيمة الشيخ راكان ففعل مقحم ذلك .

بعد خروجي من عندهؤلاء شخصت نحو منزل الشيخ فواز بن شعلان ، فكان جوابه كجواب رؤساء القبائل السابقين أَسلافه ، أَي يعتذر بالعذر نفسه الذي اعتذر به مقحم ورفاقه ، بقوله : إنه على أَتم الاستعداد للحرب لولا أَن الرئيس شكري منعه .. الخ .

العذر الذي قاله رئيس رابطة العلماء هو نفس العذر الذي قاله رؤساء القبائل

ومن رؤساء القبائل ذهبت إلى المشايخ ، فاتصلت أَولاً بالشيخ (مكي الكتاني) كما اتصلت فيما بعد بالشيخ (أَحمد كفتارو) مفتي الجمهورية السورية حالياً ، والحق أَنني وجدت عند الأَول حماسة وتجاوباً أَكثر من الثاني ،

وكان الأول في ذلك الوقت نائب رئيس رابطة العلماء في سورية ، وكان رئيس الرابطة (أبو الخير الميداني) ، ولكن الكتاني هو الرئيس الفعلي ، وعندما سمع مني الكلام المليء بالحماس الديني ، وبتحذيري من التوسع الصهيوني ، فيما إذا لم يقض عليه في مهده ، وقبل أن تنمو اسرائيل ويستفحل أمرها ، ويستعصي بعد ذلك اجتثاث هــذا السرطان من جذوره ، حينما سمع مني الكتاني تلك العبارات المهيجة اغرورقت عيناه وذهب من عندي ، ثم عاد حاملاً (رشاشاً) وقال : لا تظن أني من نوع رجال الدين الذين لا يعرفون عن الدين الإسلامي إلا العبادة فقط ، فالدين الإسلامي دين كفاح وجهاد ، وأنا قادر على استعمال الأسلحة ، ولدي ما يقارب ثلاثمائة شابّ كلهم مدربون ، وأنا وهم على أتم الاستعداد على أن نسير جنوداً تحت رئاستك ، حتى لا يقال : إن لي رغبة في الزعامة ، بل سوف نذهب إلى قتال اليهود المعتدين لنجاهد في سبيل الله ، حتى ننال إحدى الحسنيين ، ولكن منعنا عن ذلك رئيس جمهوريتنا (شكري القوتلي) ثم أضاف : ألا تعلم يا ابني

أنني ذهبت إلى معسكر (قطنا) لأُلقي على الجنود الذاهبين إلى الجبهة موعظة دينية لكي يقاتل الجندي عن عقيدة ، وأَنني بعد أَن شرعت في الخطاب وسط الجنود ، تقدم إلي الضابط رئيس المعسكر إذ ذاك أَديب الشيشكلي وأَخذني بيدي وقال : نحن نقاتل باسم العروبة ، دعنا من هذا الكلام ، وختم الشيخ الكتاني حديثه بقوله : دع سفيركم يحدث رئيس الجمهورية السيد شكري القوتلي لعله يأذن لنا ، وسيرى جماهير الشعب تتدفق للجهـاد كالسيـل الجارف ، وسوف ينصرنا الله بعونه ومشيئته [1] .

نفّذ السفير ابن زيد الفكرة

خرجت من عند الشيخ الكتاني وذهبت إلى السفير ابن زيد ، ونقلت له الحالة التي شاهدتها من رؤساء القبائل ومن رئيس رابطة علماء الدين في سورية . وقلت : ظهر لي الآن ان الواقف حجر عثرة في سبيل تنفيذ فكرتنا هو

(١) اذا كنت استشهدت في حديثي مع رؤساء القبائل بالرجال الذين لا زالوا على قيد الحياة فانني أستشهد بحديثي مع الشيخين بالأستاذ أديب غالب الموظف الآن بمكتب الملحق الثقافي السعودي في بيروت .

رئيس الجمهورية شكري القوتلي، ونقلت له رأي السيد الكتاني ورغبتي بأَن يتصل هو برئيس الجمهورية ويطلب منه أَن يسمح لجماهير الشعب بالجهاد ، والحقيقة أَن السفير ابن زيد أَخذ الموضوع مأخذ الجَدِّ ، فذهب من فوره إلى الرئيس القوتلي ، في الحين الذي كنت أَنتظر بفارغ الصبر عودة السفير لأَنظر ماذا تكون الإجابة من الرئيس ، وبعد فترة قضاها السفير عند الرئيس عاد وعلى محياه مشهدان: مشهد ينم عن تفاؤله بنجاح مهمته ، ومشهد يعبر عن مدى تأثره النفسي الذي ساوره عندما كان يتحدث مع الرئيس في الموضوع . وما إن أَخذ مكانه حتى قال لي : أَظن أَننا نجحنا في مهمتنا . فقلت : إلى أَيِّ مدى نجاحك هذا ؟ فقال : بدأت الحديث مع الرئيس شكري وعرضت عليه المستقبل الأَسود الذي سيواجهه أَبناؤنا وأَحفادنا من الخطر الصهيوني التوسعي فيما إذا لم نسع من الآن للقضاء على هذا الخطر ما دام في المهد ، وقبل أَن يتجسد ويصعب علينا مقاومته ، ورجوته بأَن يرفع علم الجهاد المقدس ، وأَن يقول : (يا دين محمد) وأَن يسمح لأَفراد شعبه بأَن

يحققوا إحدى الحسنيين:إما الشهادة وإما النصر ، وان يكون هو ونحن جميعاً في مقدمة المجاهدين . وحذرته من العاقبة التاريخية الوخيمة التي تنتظر أَمتنا فيما إذا تقاعسنا عن قيامنا بالواجب اليوم قبل الغد ، ومضى السفير ابن زيد فقال : إن العَبْرة حشرجت في صدري ، وانتشر الدمع من عيني مدراراً ، الأَمر الذي جعلني لا أَستطيع أَن أَنتظر منه الردَّ (الايجابي) . وذلك أَن الرئيس نفسه بادلني بدمع رأَيته يسيل فوق وجنتيه ، وهذا يعني أَن الرد منه سيكون (ايجابياً) لا محالة .

السفير بكى عن عقيدة ، والرئيس بكى عن مكر وخداع

ذهبت من عند السفير وكلي أَمل وفأَل طيب ،فاتجهت نحو منزل السيد الكتاني وكان في الصالحية ،وأَخبرته بما سمعته عن السفير وعن بكائه وبكاء رئيس الجمهورية فابتسم السيد الكتاني ابتسامة لا تنم عن اطمئنان ، بل تنم عن السخرية ، وقال : يا ابني أَما الدمع الذي فاضت به عينا سفيركم وعن بكائه فإنني أَشهد أَن بكاءه صادر

عن إيمان منه وعن تـأَثر حقيقي لا نفاق فيه ، وأَما بكاء رئيس جمهوريتنا فانه بكاء صادر عن خدعة وعن مكر وعن تضليل . وكنت إذ ذاك لم أَطلع على الحكمة القائلة : (إذا كمل مكر المرء ملك دمعته) . فقلت للسيد الكتاني : لماذا أَنت متشائم من الرئيس شكري ، فالرجل ما دام قد تـأَثر من حديث سفيرنا حينما صوّر له المستقبل المظلم إلى درجة أَنه سكب الدمع من عينيه فإِنه حتماً استجاب لتحقيق هدفنا المنشود؛لأَن الدمع لا يصدر إلا إما عن حزن وإما عن نخوة وحماس . فقال : أَنا أَتحدث عن خبرة طويلة وعن معرفة عميقة الأَساس والجذور ، وقد تخالفني الرأي ولكن هناك دليل سوف يثبت لك صدق حديثي ، وهذا الدليل هو أَن الرئيس بعد غد سوف يلقي خطاباً بمناسبة تجديد رئاسة الجمهورية ، فإِن أَلقى في هذه المناسبة كلمة حث فيها على الجهاد وقال : أَيها الشعب العربي المسلم السوري ، هذه أَبواب الجهاد مفتوحة أَمامكم يا جماهير الشعب . إن قال ذلك فيكون رأْيي بالسيد شكري مبني كله على خطأْ ، وأَما إن كان خطابه كعادته تضخيم الأَلفاظ وجمل رنانة خالية

من المعنى ، فما عليك بعد ذلك إلا أَن تعلم بأَنني مُحِقٌّ عندما أَقول : إن سفيركم بكى عن إيمان وصدق ، ورئيسنا بكى عن مكر وتضليل وخداع .

خرجت من عند السيد الكتاني وذهبت إلى السفير وعرضت عليه فكرة الكتاني، فقال: لقد ملأَها الرجل عَدْلاً في حكمه هذا فما علينا الآن إلا أَن ننتظر ماذا يقول الرئيس شكري في خطابه بعد غد .

وما أَن جاء اليوم المعين ودنت عقارب الساعة لتحديد اللحظات التي يلقي فيها الرئيس خطابه حتى دنا السفير وأَنا من (الراديو) وكان كل منا يكاد يدخل رأسه داخل الجهاز ـ وهكذا كنا ننتظر خطاب السيد القوتلي حتى جاءت ساعة الصفر ـ فذهب يلقي الكلام الذي تنبأَ به الكتاني ، كلاماً كل معانيه تدور حول إقناع سامعيه من أَفراد الشعب السوري بأَنه سوف يجعل سورية جنة الفردوس في خلال السنوات التي عدَّل بها الدستور، ليتم له الانتخاب في رئاسة الجمهورية مرة ثانية . غير أَن الزعيم حسني الزعيم باغته وقطع عليه آماله وأَمانيه بأَن يظل رئيساً للجمهورية

وأَن يضع الشعب السوري في جنة الخلد !!.

عندما قرأ الأُستاذ الشاعر بدوي الجبل هذه الصفحات التي كتبتها عن المرحوم شكري القوتلي قرأها مسودة قبل الطبع ، عندئذ تحركت في نفسه عاطفة الصداقة والوفاء لصديقه شكري القوتلي وقال : إنك يا فلان قسوت على الرئيس شكري . فقلت : هل تشك بصدق ما كتبته عنه ؟ ... فقال : كلا ! فقلت : إن أَمانة التاريخ في أَحداث تاريخية (مصيرية) قدر لي أَن أَعيشها وهي أَحداث متصلة اتصالاً مباشراً بتاريخنا الحديث ، يجب أَن أَذكرها لأَن الكثير منها يخفى على الجيل الحديث . فالواجب يفرض علي أَن أَذكرها بكل صدق وأَمانة وتجرد ، لكي تعرف الأَجيال القادمة السرَّ الخفيَّ الذي بسببه احتلت الصهيونية أَرضنا العربية ، ثم مضيت فقلت للأُستاذ الشاعر : إذا كنت كتبت عن السيد شكري حقائق ذات صلة بتقاعسه وعدم وفائه للقضية العربية الفلسطينية ذات الطابع العام التي تشغل ذهني وذهن كل عربي من المحيط إلى الخليج ، فإنك يا أُستاذ قد هجوت السيد شكري

بسبب عدم وفائه على المستوى الشخصي هجاءً مُراً أثقل وطأَة مما ذكرته عنه ، هجوته بقصيدة منها :

يرضيه أَن يتشفى من مدامعنا
لم نبكِ منه ولكنَّا بكيناه
قدهانَ حتى سمتْ عنه ضغينتُنا
فما حقدنا عليه بل رحمناه

أدلة وبراهين تثبت صحة ما ذكرته آنفاً :

هذا الحديث الذي ذكرته في هذه الصفحات ، ولا سيما البحث الذي له صلة بالفكرة التي عرضتها على السفير ابن زيد ، وما دار حول هذا الموضوع من حديث له صلة برؤساء القبائل وعلماء الدين في سورية ، وخاصة الحديث الأَخير الذي يكاد يكون هو موضوع العبرة أَو الغرابة ، وأَعني به الحديث الذي دار بيني وبين الشيخ الكتاني ، وبصورة أَوضح الرأَي الذي عبّر عنه السيد مكي الكتاني الذي توفي رحمه الله في أَواخر عام ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م أَي الذي قاله الكتاني عن بكاء السفير ابن زيد وبكاء الرئيس القوتلي ،

هذا الموضوع بالذات حرصت كل الحرص على أن أستند فيه إلى ما يشبه الوثيقة التاريخية حتى إذا كتبته في مناسبة كهذه المناسبة لا أجد من يفند كتابتي ، لا سيما والمصدر الذي أحتاج إلى شهادته الذي هو السفير ابن زيد توفاه الله ، والرئيس شكري هو أيضاً توفاه الله ، ولو كان على قيد الحياة ، فإنَّ من الصعب أن يعترف على نفسه بهذه الحقيقة المرة ، ولذلك وجدتني حينما اجتمعت بالسيد الكتاني في منزل الصديق الشيخ (محمد باحارث) في جدة منذ ثلاث سنوات ، وفي وسط حفل يضم عدداً وافراً من الناس المدعوين إلى حفلة الغذاء التي أقامها الشيخ باحارث للكتاني ، في تلك المناسبة وجهت إلى السيد الكتاني سؤالاً أستشهد به في هذا الموضوع وذلك بعدما أوردت هذه القصة في ذلك الحفل ثم قلت : لعلك يا سيد مكي تذكر ذلك جيداً ؟ فأجاب مؤكداً صحة ما ذكرته في الصفحات التي تقدمت ، والجدير بالذكر أنني قل أن تأتي مناسبة أجتمع فيها بالسيد الكتاني إلا وآتي على ذكر تلك الحادثة قاصداً من وراء ذلك أن أذكر السيد الكتاني بهذه الحادثة

التاريخية خوفاً من أن ينساها مع مرور الأيام ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أُخرى ، أردت أن يكون شاهداً في ذلك ، وأذكر أنني في مناسبة اجتمع فيها السفير السابق الأخ عبد الرحمن الحميدي بالشيخ الكتاني وجهت للشيخ الكتاني السؤال نفسه الذي وجهته له في منزل الأخ الشيخ باحارث [١] . أما الحديث الذي دار بيني وبين رؤساء القبائل فإن فيه ممن حضره رجال لا يزالون على قيد الحياة ، كما ذكرت آنفاً ، وهم الشيخ راكان بن مرشد ـ الذي يقيم الآن في المملكة العربية السعودية ، والشيخ ميزر الجرباء ، وسكرتير الشيخ مقحم بن مهيد المدعو (قدري) وهذان الرجلان موجودان في سورية الآن ، وعندما أورد هذه الأدلة قاصداً أن أقنع القاريء بصحة هذا الجزء الخاص بهذه الذكرى المؤلمة ـ واثقاً أنني عندما أُقدم للقاريء أُدلة أكيدة يقنع بها فإنه حري أن يقنع ويصدق ببقية المعلومات الماضية والآتية من أنباء هذه الأحداث التاريخية التي مضى عليها الآن أكثر من ربع قرن .

(١) لا يزال الأخوان أبا حارث والحميدي على قيد الحياة .

والقاريء الذي أوردت هذه الأدلة بغية إقناعه أعني به القاريء الذي لا يعرفني ، أما القاريء الذي يعرفني عن كثب ، فإني تارك حكمه على ما يقرأ من كتاباتي لحكم ضميره . هذا اذا كان ذا ضمير يقظ منصف .

ما يقال عن الرئيس القوتلي حريٌ به أن يقال عن الحكام الآخرين :

ومن موقف الرئيس شكري الذي بذل كل ما وسعه من الجهد للحيلولة دون السماح للجماهير الشعبية السورية لئلا تدخل ميدان الجهاد لتحرير فلسطين ، من هذا الموقف نستطيع أن نعرف كنه الحقيقة التي جعلت الحكام العرب يرفضون الرأي الصائب الذي أبداه لهم الملك عبد العزيز .

فالحقيقة التي أُؤمن بها إيماناً قاطعاً هي أن أُولئك الحكام حينما رفضوا قبول رأي الملك عبد العزيز ، فإن ذلك خشية من نفس الخوف الذي يخشاه السيد شكري القوتلي ، ونفس الخوف الذي كان يخشاه محمود فهمي النقراشي رئيس الحكومة المصرية ، عندما أصدر أمراً بمنع (الاخوان المسلمين) عن ممارسة الجهاد في الجبهة الجنوبية ، ونفس

الخوف أيضاً كان يخشاه الملك عبد الله بن الحسين ملك الأردن ، عندما أصرّ إصراراً شديداً على منع المجاهدين السعوديين الذين جهزهم الملك عبد العزيز بقيادة الأمير محمد الأحمد السديري ـ لقد منعهم الملك عبد الله من أن يجتازوا حدوده ، ليس ذلك فحسب ، بل بعث إنذاراً شديد اللهجة ، يعبر أعنف التعابير وأقساها عن مدى الأُسلوب الذي سيتخذه في منعه للجنود السعوديين المجاهدين فيما إذا حاولوا أن يجتازوا حدوده ليحاربوا اليهود ، وهذا الإنذار أنقله بنصه الحرفي الذي أورده الاستاذ خير الدين الزركلي في كتابه « شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز » بعنوان (ذكرى مؤلمة) ، فخذ ما رواه الأستاذ الزركلي حرفاً بحرف على الآتي :

(وما زلت أذكر بألم وحسرة ، قبل نشوب القتال بين العرب واليهود ، سنة ١٩٤٨ ، مقابلتي للسفير البريطاني بجدة ـ حوالي الساعة العاشرة ليلاً ـ وكنت آنئذ أقوم بشؤون الخارجية ، وقد أبلغني رسالة شفهية عن لسان الملك

---

(١) ص ١٢٨٩ .

عبد الله ملك الأَردن مؤداها:أَن عبد الله علم بنبأُ التجمعات على حدود المملكة الأُردنية ، وانه إذا كان القصد زحفها إلى فلسطين عن طريق بلاده ، فسوف يترك قتال اليهود ويقاتلها) .

ومن هنا يبدو لنا الأَمر واضحاً أَن السيد شكري القوتلي لم يكن إلا واحداً من نمط حكام ذلك العهد .

حقيقة يؤكدها الرواة الثقات والوثائق التاريخية

عندما اجتمع رؤساء الوفود العربية في عام ١٩٤٧ في أَحد مصايف لبنان في (عاليه) على مستوى وزراء الخارجية ويشاركهم الأَمين العام للجامعة العربية الأُستاذ عبد الرحمن عزام ، وبحضور الحاج أَمين الحسيني ممثلاً لفلسطين الذي يقوم مقام رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الآن .

وكان يرأَس وفد المملكة العربية السعودية الشيخ يوسف ياسين بصفته نائباً لوزير الخارجية ، ومن أَعضاء الوفد السعودي الشيخ عبد العزيز بن زيد الذي كان سفيراً للمملكة العربية السعودية في سورية ، وفي لبنان .

والسفير ابن زيد هو المرجع الوحيد الذي أنقل عنه ما دار في تلك الجلسة من خلاف في الرأي بين من حضر تلك الجلسة ، وكان الخلاف على ما رواه لنا ابن زيد ينقسم إلى قسمين : قسم يرى أن لا بد من أن تدخل الجيوش العربية الحرب ، وأن يكون القائد الأعلى لهذه الجيوش الأمير عبد الله بن الحسين الهاشمي الذي أصبح ملكاً على الأردن فيما بعد ، وقسم يخالف هذا الرأي مخالفة تامّة ويرى أن تقوم الدول العربية بدور عملي في مناصرة المجاهدين من أبناء فلسطين ، بإمدادهم بالسلاح والعتاد ، وتجهز كل دولة عربية عدداً وافراً من المتطوعين ليكونوا باسم متطوعين فلسطينيين ، وتكون الدول العربية بمعزل عن زجّ جيوشها في ميدان الحرب من الناحية الرسمية وإن كانت مساهمة بكل ما لديها من القوة من الناحية العملية .

رجحت كفة الخطأ على كفة الصواب !

كان أكثر وفود الدول العربية يرون الرأي الأول ، ولم يخالفهم في رأيهم هذا إلا وفد الملك عبد العزيز ، والحاج

أمين الحسيني .

هناك من يجد مبرراً لبعض الوفود العربية لمخالفتهم رأي الملك عبد العزيز ورأي الحاج أمين الحسيني ، يوجد مبرراً لهؤلاء لجهلهم بحرب العصابات ولعدم معرفتهم بأهمية شأن نضال العصابات على الصعيد العسكري ، باعتبار أنهم وإن كان من بينهم مناضلون مخلصون ، ولكن نضالهم كان سياسياً وليس عسكرياً ، أما الذي يلام فهو الرجل الذي عرف بأنه مناضل عسكري قبل أن يعرف كمناضل سياسي ، وأعني به الأستاذ عبد الرحمن عزام الذي عرف بنضاله العسكري الوطني في حربه للطليان شاباً مناضلاً حاملاً سلاحه جنباً إلى جنب مع رفاق النضال الليبيين ، الذين صارعوا وحاربوا الاستعمار الطلياني مدة طويلة المدى ، هذا المناضل المجرب هو الذي يلومه اللائمون في مشاركته الأكثرين في ذلك الرأي الشطط . وقد يقال : (لعل له عذراً وأنت تلوم) .



الملكان : عبد العزيز بن سعود وعبدالله بن الحسين

حينما وجهت لابن زيد السؤال التالي : ما هي الحجة التي يستند اليها الذين يعارضون رأيكم ورأي المفتي ؟ ...

كان جواب ابن زيد ما يلي : كان وفد الأُردن يصر إصراراً شديداً بأَن لا يشترك في عضوية الوفد ما لم تدخل الدول العربية الحرب ، وما لم يوافق أَعضاء الجامعة العربية بالإِجماع على أَن يكون عبدالله هو القائد الأَعلى للجيوش العربية جميعاً في حالة دخولها الحرب ، ليتم على يده تحرير فلسطين !!!

ونظراً لما بين الملك عبد العزيز وبين الملك عبد الله من خلاف في ذلك الوقت؛ زعم المعارضون أَو المؤيدون لرأي الملك عبد الله في دخول الجيوش العربية الحرب ، وتوليه قيادتها ، أَن معارضة الملك عبد العزيز هذه قائمة على أَنه يحسد الملك الهاشمي انتصارَهُ العسكريَّ الذي سيحرر به فلسطين ، ولئن كنت لا أَشك بصحة رواية السفير ابن زيد ، ولا يعتريني أَدنى ريبة بأَمانة ما نقله وصدقه ، فإِنني من جهة أُخرى عاجزٌ أَيضاً بأَن أَقنع بأَن الأُستاذ عزام



الملك عبد العزيز وعن يساره الاستاذ عبد الرحمن عزام أمين جامعة الدول العربية سابقاً

يشارك هؤلاء الأعضاء ، يقول ابن زيد : إن السيد عبد الرحمن عزام قال لأعضاء الوفد السعودي : إذا كان الملك عبد العزيز عندما يعارض رئاسة الملك عبد الله للجيوش العربية – يخشى أن الملك عبد الله سوف يحقق نصراً فاننا نؤكد لعبد العزيز بان عبد الله لن يحقق النصر » أو ليس معنى ذلك أن رؤساء تلك الدول وأمين الجامعة معهم مدركون للهزيمة ؟!

وقد كتبت رسالة إلى الحاج أمين الحسيني ، تتضمن سؤالي واستفساري عما رواه لي السفير ابن زيد عن موقف الملك عبد العزيز المعارض لدخول الجيوش العربية ، وعن موقف أمين الجامعة العربية المعارض لموقف عبد العزيز والمنحاز لموقف أعضاء الدول العربية .

ولا يسعني الآن إلا أن أورد (الوثيقة) التي وردت إليَّ من المفتي وإن أغفل فيها الجواب على السؤالين الهامين فإنه أوضح الغرض المطلوب ، الهدف المنشود فيما يتعلق بموقف عبد العزيز من القضية الفلسطينية ، وهو موقف قائم على أن تكون القضية الفلسطينية بيد أهلها وأبنائها ، لا وصاية

لأَية دولة عربية أَو غير عربية عليهم ، وهذا المطلب الذي يطالب به الفدائيون الآن هو المطلب الذي طالب به الملك عبد العزيز منذ ثلث قرن .

وهذه الوثيقة التاريخية التي جاءت من المرحوم المفتي الحاج أمين الحسيني، هي بنصها الحرفي الآتي :

الهيئة العربية العليا
لفلسطين
بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

سعادة الاخ المحترم الشيخ فهد المارك حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فاني اجيب على كتابكم المؤرخ ٢٥ جمادى الاولى ١٣٨٥ بما يلي :

ان كل من يعرف المرحوم السفير الشيخ عبد العزيز بن زيد يشهد له بالصدق والنزاهة، وانه ثقة في روايته. كما اني اكدت لكم سابقا أن كل ما ورد في روايته عن موقف المرحوم الملك عبد العزيز من معارضته لبعض مندوبي دول الجامعة العربية حينئذ في دخول الجيوش العربية الى فلسطين، ونصحه لهم بعدم دخول الجيوش الرسمية، والاعتماد على اهل فلسطين الذين برهنوا خلال ثلاثين عاما على بسالتهم وتغلبهم على الاعداء، على ان تساعدهم الدول العربية بالمتطوعين والسلاح والاموال وتعهد هو شخصيا بارسال عدد كبير من المتطوعين السعوديين على نفقته الخاصة. كما اقترح على الدول العربية ان ترسل متطوعين من بلادها حسب استطاعتها، على ان يتعاون جميع المتطوعين مع الفلسطينيين في المعركة الحاسمة المصيرية التي كانت ناشبة حينئذ.

[توقيع]

بيروت في ٣ جمادى الآخرة ١٣٨٥
٢٨ أيلول ١٩٦٥

كنت دائماً أَرغب مطالعة التاريخ بصورة عامة وتستهويني بصورة خاصة مطالعة مذكرات الرجال الذين قدر لهم أَن يقوموا بدور بارز في التاريخ وفي يوم الاثنين ١٠ رمضان ١٣٩٥ ، و ١٥ من أَيلول (أُكتوبر) ١٩٧٥ ، كنت أُطالع مذكرات اللواء محمد نجيب أَول رئيس للجمهورية المصرية ، فوجدت في مذكراته ما هو مطابق لرأْي الملك عبد العزيز في عدم دخول الجيوش العربية في حرب مع اليهود عام ١٩٤٨ م ، وقد وجدت هذا الرأي لنجيب في أَكثر من صفحة من مذكراته وها هو أَنقله كما ورد بنصه الحرفي [١] الآتي :

« كانت فكرتي أَلاَّ تتورط الجيوش العربية في حرب نظامية .. لما يحتاجه ذلك من أَسلحة وتدريب لم يكن في حقيقته متوفراً للجيوش التي كان اهتمامها يجذب قسراً إلى شكليات وطوابير استعراضية .

كانت أَجهزة الدعاية العربية قد ركزت دعايتها على أَن سبعة جيوش عربية سوف تقتحم فلسطين ، وكان قلبي

(١) ص ٩٢ .

يهبط من الأَسى لمعرفتي حالة بعض الجيوش العربية من الداخل .

كنت مقتنعاً بأَنه إذا كان الصهيونيون يحاولون فرض سيادتهم على أَرض فلسطين عن طريق العصابات الإِرهابية (أَرجون ـ زفاي بيومي ـ وشتيرن ـ والهاجاناه) فإِن مقاومتهم لا تكون إِلا عن طريق حرب عصابات أُخرى ، تعتمد على الفلسطينيين والمتطوعين العرب .

مثل هذه الحرب لو كانت قد بدأَت لما انتهت بما انتهت إِليه حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ عندما تعثرت القوات النظامية هناك ... وقامت إِسرائيل على أَكثر مما قرره (مشروع هيئة الأُمم لتقسيم فلسطين) .

كانت حرب العصابات العربية سوف تشتعل وتلتهب وتحاصر العدوان الصهيوني المستورد من الخارج على الأَرض العربية ... ورغم قسوة بعض العصابات الصهيونية وجرائمها البشعة فان ارتباط حرب العصابات بالوجود الشعبي الفلسطيني لم يكن ليدفع بسطاء الناس إِلى هجرة حقولهم ودورهم تحت الايحاء بأَنهم سيعودون إِليها بعد أَيام

عندما تنتصر الجيوش العربية السبعة .

حرب العصابات كانت سَتُعَمِّقُ جذور الشعب الفلسطيني في أرضه .

ولكن هذا خيال لن يغير التاريخ .. ولن يمحو المأساة .. ولكني سجلته مكتوباً في التقرير الذي قدمته إلى فؤاد سراج الدين عندما كان وزير الداخلية سنة ١٩٥٠ وطلبت منه أن يرفعه إلى الملك [1] ومصطفى النحاس ووزير الحربية مُصِرًّا على أن يظل توقيعي عليه ، بعد أن طلب مني فؤاد سراج الدين حذف توقيعي من هذا التقرير خوفاً من بطش الملك » .

هذا رأي محمد نجيب ورأي كل مخلص عربي فاهِمٍ هذه الحقيقة ، ولكنه رأي لا يريده بعض الحكام العرب الذين ضيعوا فلسطين ـ عليهم من الله ما يستحقونه ـ .

أراد الإنجليز أن يقلبوا خطة عبد العزيز سلاحاً عليه

من المعلوم أن الإنجليز هم الذين غرسوا بذرة (المكروب)

(١) يقصد الملك فاروق .

الصهيوني في قلب العالم العربي ، وهم الذين تعهدوا بحماية تلك البذرة الخبيثة ورعايتها وصيانتها .

فهم والحالة هذه العدو اللدود لأية قوة تحاول ان تقضي على (مكروبهم) القاتل ، والإنجليز أول من يفهم ويدرك أن رجال الجيش السعودي الذين جاءوا عن طريق (الجوف) سيحررون فلسطين ، ويجتثون الشجرة الصهيونية من جذورها .

وهذا شيء يقضُّ مضجعهم ، وقد أرادت بريطانيا أن تنتقم من عبد العزيز عندما أوعزت للملك عبد الله بأن ينذر الجيش السعودي الزاحف على فلسطين بأنه سوف يقاتله ، وكان هدف بريطانيا من ذلك أن تفتح معركة مع ابن سعود ، باسم الملك عبد الله ، وسوف تضع كل ثقلها وما وسعها من قوة السلاح والمال والرجال تحت تصرف الملك عبدالله ، فالمحارب لابن سعود من الناحية النظرية واللفظية عبد الله بن الحسين ، بينما المحارب له من الناحية العملية والواقعية دولة بريطانيا ، كالخطة التي أرادها عبد العزيز بأن يكون المحارب اسماً الفلسطينيون ،

وعملاً الدول العربية بمالها ورجالها .

ولكن عبد العزيز أبعد نظراً من أن يجره الإنجليز إلى معركة خاسرة ، فأمر جيشه أن يتوقف عن الزحف ، واثقاً أن الشريف عبد الله لم يهدده بترك الحرب مع اليهود ولن يحارب ابن عمه العربي لو لم يرغمه الإنجليز على هذا المركب الوعر ، فالإنجليز هم الذين دفعوا الملك عبدالله إلى أن يصدر أمره الذي ذكره الأستاذ الزركلي ، ومن يدري أيضاً فقد يكون الإنجليز أمروا سفيرهم في جدة بأن يتكلم هذا الكلام ، وينذر ابن سعود ويهدده ويحذره ، دون أن يكون للملك عبد الله علم بما يجري وراء ظهره ، إلا بعد صدور إنذارهم وتحذيرهم ، فهل يستطيع الملك عبد الله إذا علم أن الإنجليز أصدروا أمراً باسمه دون علمه ، أيستطيع عبد الله أن يصدر نفياً يؤكد فيه أن ذلك الأمر لم يكن من عنده؟ !هذا إذا كان الإنجليز أقدموا على ذلك بدون علم منه، أما إذا طلب الإنجليز من عبد الله أن يصدر أمره هذا بغية جرّ الملك عبد العزيز إلى الحرب، فهل يستطيع ملك الأردن - كان الله في عونه - أن يرفض ما يأمره به الإنجليز ؟.

إذن فالإنجليز هم أَصل البلاء، وهم الذين أَرغموا الملك عبد الله على سلوك ذلك السبيل الشاق ، وهم بالتالي الذين تسببوا للملك عبد الله بأَن يدفع ثمن إذعانه لأَوامرهم غالياً وباهظاً وتاريخاً مشؤوماً .

مرة أخرى أراد الانجليز أن ينتقموا من عبد العزيز

يقول الأُستاذ الزركلي [1] ما هذا نصه :

(وفي ٣٠-١١-١٣٦٧هـ (٣٠-١٠-١٩٤٨م) قابل السفير البريطاني بجدة ، الملك عبد العزيز وعرض عليه رأي الحكومة البريطانية بأَن الوضع العسكري في فلسطين ليس من مصلحة العرب ، ومن رأي حكومته أَن يقبل العرب مشروع (برنادوت) فكان مما أَجابه : هل قال لكم العرب : إننا ضعفاء ، أَم أَنتم الذين أَجبرتم العرب على وقف الحرب ، فماذا يفعل العرب ؟ . مساعدة لم تساعدوهم ، وإنصاف لم تنصفوهم ، وضمان لم تضمنوهم ، فماذا تطلبون مني أَن أَقول للعرب ؟ . هل أَقول سلموا ؟ . فقال

(١) « شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز » ص ١٢٩٢ .

السفير : ان حكومته بينها وبين العراق وشرقي الأُردن ومصر معاهدات دفاعية ، وإذا اعتدى اليهود على إحداها فحكومته مجبرة على الدفاع عنها ، فقال الملك : انتهينا ، الآن هؤلاء حلفاؤكم اتفقوا معهم وألزموهم بالقبول أَو عدم القبول ، وأَنا لا دخل لي في الأَمر . كنت من قبل أُحيل المسائل إلى الجامعة ، والآن أَنا أُحيلها إلى حلفائكم ، فإن قبلوا فأَنا معهم وإن لم يقبلوا فأَنا معهم ، ولا يمكن أَن أعرض عليهم شيئاً) .

كان عبد العزيز أبعد نظراً وأعلى شيمة ممن خدعهم العدو

أَليس يفهم من كلام السفير البريطاني ، أَن الإنجليز الماكرين أَرادوا أَن يوقعوا عبد العزيز بتحميله مسؤولية قبول الهدنة الدائمة ، وأَن يجعلوا حلفاءهم بعيدين عن تحمل المسؤولية ؟! مع العلم أَن حلفاءهم أَو عملاءهم الذين أَورد أَسماءهم السفير الإنجليزي هم الذين تبنوا الهدنة الأُولى التي بقدر ما كانت امتداداً لأَجل إسرائيل كانت سبباً قوياً وعاملاً فعّالاً بسرعة أَجل كل من حكام

مصر والأُردن والعراق ، أُولئك الحكام التعيسي الحظ ، الذين لقوا المصير الأَسود السيء على يـد شعوبهم نتيجة لتنفيذهم أَوامر المستعمرين الماكرين .

والواقع الذي لا جدل فيه ، أَنه لو لم تكن الهدنة الأُولى لما كانت اسرائيل ، ومن ينظر في « مذكرات العقيد عبد الله التل » التي أَورد فيها الوثائق الناطقة يدرك كيف كان ملك الأُردن مسيَّراً وفق إِرادة بريطانيا ، التي أَوقعته - قاتلها الله - في فخِّها ، وهي تريد أَن توقع الملك عبد العزيز ، بما أَوقعت فيه رجالها المخلصين لها إِخلاصاً دفع كل واحد منهم حياته ثمناً لذلك الإِخلاص الكريه ، كما سيأْتي توضيح ذلك .

وهكذا أَرادت بريطانيا أَن توقع عبد العزيز في المصير الذي لقيه حلفاؤها لولا أَن ذكاء عبد العزيز وشيمته جعلاه يرفض أَن يكون أُلعوبة بيد أَعداء الله وأَعداء أُمة العرب والإِسلام .

أَي شخص عاش أَحداث القضية الفلسطينية ، وتدبر أَمر حكام نكبة ١٩٤٨ ، بل أَي عربي أَساءَ إلى القضية الفلسطينية منصاعاً لأَوامر المستعمرين ، بصورة مباشرة أَو غير مباشرة ، فإننا نجد مصيره إما القتل ، وإما طرده من منصبه الذي عَضَّ عليه بنواجذه ظانًّا أَنه سيخلد فوق أَريكة السلطة ، أَو أَنه سيبقى متوجاً بالمجد إلى الأَبد .

فإذا استعرضنا حكام نكبة ١٩٤٨ – لن نجد منهم رئيس دولة أَو حكومة إلا وكانت نهايته إما القتل على يد شعبه وإما الطرد ، وموته مشرداً عن وطنه ، أَو على الأَقل مبعداً عن منصبه بالقوة ، فخذ الذين أَوقفوا زحف (الإخوان المسلمين) المصريين عن الجهاد بالأُسلوب الذي أُوقف به شكري القوتلي المجاهدين السوريين ، خذ أَولاً المصريين محمود فهمي النقراشي مات قتيلاً ، والملك فاروق مات مشرداً ، وهناك من يقول انه مات مسموماً ، والرئيس شكري القوتلي مات مشرداً بعد أَن طرده الزعيم عن السلطة المتمسك بها ، وجميل مردم رئيس حكومة سورية مات مشرداً ،

والملك عبد الله مات قتيلاً ، ورئيس وزرائه أبو الهدى مات منتحراً ، والعراقيون الذين يقال عن قادة جيشهم المثل المشهور (مَاكُو أَوامر) الوصي عبد الله مات مقتولاً ، ورئيس وزرائه أَو الحاكم الفعلي للعراق نوري السعيد مات مقتولاً ، وحتى الملك فيصل الطفل البريء أَصابته عدوى قومه وأَهله فمات قتيلاً ، وحتى أَيضاً رئيس جمهورية لبنان بشارة الخوري لحقته العدوى فمات بعد أَن نُحِّي عن رئاسة الجمهورية ، ورياض الصلح رئيس وزراء لبنان مات قتيلاً ، وأَخيراً حتى الحكام البعيدين عن القضية الفلسطينية كأَحمد سيف الإِسلام إِمام اليمن مات متأَثراً بجرح أَصابه من أَحد أَفراد شعبه ، فهو والحالة هذه يعتبر مات قتيلاً [1] .

---

(١) إذا قال قائل : وهذا الملك فيصل بن عبد العزيز مات قتيلاً ، قلنا : شتان بين من يموت قتيلاً وأمته بكاملها تنعاه حزناً وأسفاً على فقده ، وبين من يموت والشامتون بل والمسرورون بموته أضعاف المحزونين على أهله وذويه ، والأهم من هذا وذاك ، أنه يوجد بون شاسع بين من يموت والرأي العربي من مشرقه إلى مغربه مجمع بأن قتله مؤامرة دولية من أجل نضاله العربي في حرب رمضان ودعمه للفدائيين ، ومن أجل إصراره على أن تكون القدس عربية إسلامية ، وبين من يجمع الرأي العربي على أن قتله نتيجة لتآمر أمته العربية .

وخلاصة القول ان القضية الفلسطينية أشبه ما تكون بالنار المستعرة من يتلاعب بها تلتهمه بحريقها ، وهكذا لن نجد حاكماً بين حكام العرب السبعة مات موتاً طبيعياً بين أهله موفور العزة والكرامة ، اللهم إلا الملك عبد العزيز ..

هذا ما عرفته عن موقف عبد العزيز من القضية الفلسطينية

فإذا كنت ذكرت شيئاً مما عرفته من مواقف عبد العزيز في هذه القضية فإنني وطيد الثقة بأن الذي أجهله أكثر ولا شك مما أتيحت لي فرصة معرفته .

وإذا كان القسم الذي عبرت عنه في الصفحات السابقة ما كان لي أن أعرفه لو لم تتح لي فرصة التطوع في حرب ١٩٤٨ – فإنني عرفت أيضاً موقفاً لعبد العزيز في دعمه للثوار الفلسطينيين في ثورتهم سنة ١٩٣٥ – وهو موقف ما كان لي أن أعرفه إلا بمحض (الصدفة) التي حدثت كما يلي : كنت أنوي الذهاب من مكة إلى حائل ، وكان وجود المواصلات تلك الأيام ليس بالأمر اليسير ، فنمي إليَّ أن هناك قافلة من السيارات الكبيرة ستذهب من مكة إلى حائل بأمر من وزير المالية الشيخ عبد الله السلمان ، وعلمت أن

من المسؤولين عن هذه القافلة (منيع التركي المرزوق) و (خالد الجابر) ، فذهبت إليهما أطلب صحبتهما ، فوافقا وعينا الزمان والمكان اللذين آتي اليهما وقت السفر.

وحينما دنا الوقت المعين ذهبت إليهما ، فركبت في مقدمة إحدى تلك السيارات بجوار قائدها .

ومشي موكب القافلة المكون من سيارات لا أذكر الآن مقدار عددها وكل ما استطعت معرفته أن هذه الشاحنات تحمل أثقالاً ، محاطة بكثير من الكتمان .

ولما كان المسؤولان عن تلك القافلة خالد ومنيع من الرجال المقدّمين عند وزير المال الشيخ عبد الله بن سلمان ، فقد تبادر إلى ذهني للوهلة الأُولى ، ان حمولة هذه القافلة طعام ، وشيء من الريالات الفضية التي كانت عملة البلاد السائدة قبل الورق ، وأن الغاية توزيعها على الفقراء من قرى مدينة حائل .

ولكن هذا الخاطر لم أجده مقنعاً لأنَّ حمولة كهذه لا تحتاج إلى التحفظ والكتمان الشديدين .

ولما كانت العادة المتبعة تجعل زيادة التحفظ في كتمان

أيّ أَمر من الأُمور حافزاً للمرء يحدوه إلى معرفة ما وراء هذا الغموض ، ولما كانت تلك القافلة قد ظلت في حائل يومين لتصليح السيارات وإعدادها للسفر إلى مكان بعيد ، عن طريق الجوف ، فقد دفعني حرصي لمعرفة ما وراء هذا الكتمان فوصلت إلى نتيجة فهمت منها أَنَّ هذه الحمولة كلها أسلحة وذخيرة . ثم ذهبت أَبحث عما يُراد من ذهاب هذه الأَسلحة عن طريق الجوف ، ومن خلال استقصائي في البحث علمت يقيناً أَنَّ هذه الأَسلحة مرسلة بأَمر من عبد العزيز إلى الثوار الفلسطينيين .

وإذا كانت معرفتي هذه الحقيقة ، والحقيقة التي قبلها من مواقف عبد العزيز من القضية الفلسطينية ، ومن شيمه تجاه هذه القضية التي كانت وما زالت قضية الساعة ، أَقول : إذا كانت كلتا الحقيقتين لم أَستطع معرفتهما لولا الظروف التي أَتاحت لي الوصول إلى العلم بهما فإن ذلك يدلُّ على أَنَّ ما عرفته من مواقف عبد العزيز حيال قضية فلسطين ينطبق عليه قول الشاعر أَبي نواس :

وقُلْ لمن يدَّعي في العلم فلسفة
عرفت شيئاً وغابت عنك أَشياء

وثائق تعبر أصدق تعبير عن موقف عبد العزيز من فلسطين :

لما كان الأُستاذ خير الدين الزركلي يعمل في جهاز حكومة الملك عبد العزيز تارة ممثلاً له في مجلس الجامعة العربية ، وأَحياناً وكيلاً لوزارة الخارجية السعودية ، ولما كان الأُستاذ أَديباً ذائع الصيت ، فقد كان أَوفر حظاً ممن سواه من الكتاب الذين كتبوا عن موقف الملك عبد العزيز في القضية الفلسطينية .

ولما كان هذا الفصل خاصاً بموقف عبد العزيز من تلك القضية فإِنه ليطيب لي أَن أُورد قسماً من الوثائق التاريخية التي أَوردها الاستاذ الزركلي في كتابه ، وهي وثائق تعبر أَصدق التعبير عن موقف عبد العزيز الصارم في هذه القضية العربية ذلك الموقف الحازم الذي اتخذه عبد العزيز تارة مع بريطانيا ، عندما كانت المسؤولة الأُولى عن دعم الصهاينة ، وطوراً آخر مع أَمريكا عندما تبنت هذه دعم الصهيونية بكل ثقلها .

والوثائق التي أَوردها الأُستاذ الزركلي كثيرة ، ومن أَراد الاطلاع عليها فليراجع مؤلفه « شبه الجزيرة في عهد

الملك عبد العزيز » .

فقد طاب لي أن أورد قسماً موجزاً منها بنصه الحرفي :

تعليمات من الملك عبد العزيز لابنه فيصل :

تعليمات شخصية من الملك عبد العزيز لابنه الأمير فيصل ، بصفته ممثلاً له ، في مؤتمر لندن ، للبحث في قضية فلسطين [1] .

١ — قضية فلسطين

هذه القضية لا تحتاج إلى تعريف ولا بيان ، فهي معروفة ومشكلتها غير مجهولة ، فإن هناك بلاداً مقدسة احتلها الإنكليز وأعطوا اليهود وعداً بإقامة وطن قومي لهم فيها ، على شرط أن لا يضر ذلك بمصالح أهاليها العرب .

وكان من نتائج ذلك أن تزايد عدد اليهود في فلسطين ،

(١) لم أظفر بتاريخ لهذه (التعليمات) ولكن من الواضح أنها كتبت قبل اجتماع رؤساء الوفود العربية الذي سبق انعقاد مؤتمر لندن ، أي كتبت حوالي شوال ١٣٥٧ هـ ديسمبر ١٩٣٨ م .

وعظم أَمرهم وخطرهم إلى أَن حصلت الثورات المتتابعة في فلسطين . ومن تتبع المذكرات التي سبق إرسالها للبريطانيين ، والأَحاديث التي أُجريت معنا ، تعلمون وجهة نظرنا في القضية ، والمخاطر والمحاذير التي تتعرض لها الصداقة بين العرب وبريطانيا ، بسبب سياسة الحكومة البريطانية في فلسطين ، وأَن العرب لا يمكن أَن يُؤمن جانبهم ، أَو تصافيهم مع بريطانيا ، إذا لم تُحَلَّ قضية فلسطين ، على وجه يؤمن العدل والإِنصاف ، فينبغي أَن يكون مجراكم في أَحاديثكم مع رجال الحكومة البريطانية على أَساس المذكرات والأَحاديث التي سبق أَن قدِّمت للحكومة البريطانية.

٢ – تمثيل أهل فلسطين

إن هذه القضية لم تحل إلى الآن ، والمشكلة متأَتِّية عن تعارض رغبة الإِنكليز مع رغبة أَهل فلسطين ، فالإِنكليز يهمهم أَن يكون ممثلو فلسطين من الموافقين لهم والمعارضين لهم ، والمفتي [١] وجماعته مصرون على اعتبارهم وحدهم

---

(١) يقصد بالمفتي الحاج أمين الحسيني رئيس الهيئة العربية لتحرير فلسطين .

ممثلين لفلسطين ، وفي كلا الحالين فإن المفتي وجماعته إلى الآن لم ينتخبوا ممثليهم . وسنكون حريصين جد الحرص على إنهاء هذه المشكلة ، بقدر الإمكان فإذا حضر ممثلون عن المفتي وجماعته ، فسيكون ذلك مسهلاً للمهمة ، وإذا لم يحضروا فتكون هناك مصاعب في حلِّ المشكلة ، وأَنتم يجب أَن تكونوا حريصين في جميع أَحاديثكم ، في مصر أَو في أَي مكان آخر ، على أَنكم ترغبون كل الرغبة في أَن يُمَثَّلَ أَهلُ فلسطين ، تمثيلاً صحيحاً ، وأَن مهمتكم في لندن هي المطالبة بحقوق العرب ، وليست المطالبة بحقوق الأَحزاب ، وأَن مطالب فلسطين معروفة وحقوق العرب فيها معروفة .

فإذا تم انتخاب أَهل فلسطين على الوجه المطلوب ، فالخطة هي الموافقة على مطالب أَهل فلسطين ، ومناصرتها ، وإن لم ينتخب المفتي وجماعته أَحداً فينبغي الاجتهاد ، مهما أَمكن ، لمعرفة المطالب التي يطلبها الذين يمثلون مجاهدي فلسطين ، إذا تقدموا بها إلى بعض الحكومات العربية أَو الحكومة البريطانية .

تعلمون أَن الحكومة المصرية ، راغبة في أَن يكون اجتماع المندوبين في القاهرة قبل سفرهم إلى لندن . فإِذا تم الاتفاق على ذلك الاجتماع ، فستكون الأَبحاث منحصرة في موضوعين : الأَول : في تأمين تمثيل أَهل فلسطين في المؤتمر ، و الثاني : في المطالب التي تتفق الحكومات العربية على تقديمها للحكومة البريطانية كأَساس للمفاوضات .

أَما فيما يتعلق بتمثيل أَهل فلسطين ، فينبغي أَن يكون موقفكم كما ذكر أَعلاه ، وبذل كل ما تستطيعونه من الجهد والنفوذ ، لتأْمين تمثيل أَهل فلسطين ، على أَكمل وجه ، وجميع ما تتفقون عليه مع الجماعة في هذا الشأْن امضوا فيه بدون حاجة لاستئذاننا ، واجتهدوا أَن تتصلوا بالسفير البريطاني بمصر لإِقناعه بوجهة النظر فيما تتفقون عليه مع مندوبي الحكومات العربية .

وأَما النقطة الثانية : فيمكن أَن توضحوا لمندوبي الحكومات العربية بأَنه ليس لنا غاية خاصة في الشكل المقترح للحل ، غير تأْمين مطالب أَهل فلسطين ، وأَن

تجعل تلك المطالب كأَساس لتلك المفاوضات . وكل مشروع إجمالي يحوي : أَولاً : تأمين منع الهجرة اليهودية . ثانياً : يمنع بيع الأَراضي لليهود . ثالثاً : تأمين استقلال فلسطين ، فإن كل مشروع يبنى على هذه الأَساسات الإجمالية لا نرى بأساً من أَن توافقوا عليه أَول الأَمر . وابذلوا كل جهد لمنع الدخول في التفاصيل والتفرعات ، قبل معرفة ما عند الإنكليز ، وما يراه ممثلو فلسطين ، في هذه الأَساسات .

٤ ـ في لنـــدن

قد لا يكون من الممكن كتابة تعليمات عن الخطة التي تنهجونها في لندن ، وينبغي ملاحظة ثلاثة أُمور : ١ ـ علاقات الصداقة التي بيننا وبين الإنكليز . ٢ ـ المظهر العربي الصحيح لنا ، بشكلٍ لا يجعل موقفكم دون موقف أَية حكومة من الحكومات العربية في مناصرة فلسطين . ٣ ـ اتخاذ الخطة التي تعتقدون أَنها تؤمن الغاية لوصول أَهل فلسطين إلى مطالبهم .

ولمعلوميتكم الخاصة : إن الذي يهمنا في الوقت الحاضر ،

بصورة مباشرة هو إذا تمكنتم من الحصول على منع الهجرة اليهودية ، ومنع بيع الأَراضي ، فكل شيء وكل طريقة يمكن أَن تحفظ فلسطين من الخطر المحدق بها ، وستقابلون أَحد أَمرين بالنتيجة : إما أَن يفشل المؤتمر ، أَو ينجح ، فإن فشل فيكون موقفكم كموقف الحكومات الأُخرى ، وإن نجح المؤتمر فهناك أَمران لكل منهما علاقة بالآخر . الأَول : شكل الحكومة في فلسطين . والثاني : الضمانة التي يطلبها الإنكليز لليهود الذين في فلسطين في الوقت الحاضر .

أَما شكل الحكومة في فلسطين فمن المصلحة أَن تكون حكومة جمهورية ، وهذه الطريقة ترضي الجميع ، ولا تجعل مجالاً للتخاصم والتسابق على النفوذ فيها .

والثاني : مسأَلة ضمانة اليهود المقيمين في فلسطين في الوقت الحاضر ، فإن الحكومة البريطانية صرحت في عد مناسبات أَنه لا يمكنها أَن تسلم اليهود لأَيدي العرب ، وللخروج من هذه المشكلة يمكن البحث في انه إذا وافقت الحكومة البريطانية على منع الهجرة وعلى منع بيع الأَراضي فيمكن أَن تتعهد حكومات الحلف العربي (ومصر إذا

أَرادت الدخول مع هذه الحكومات) بضمان حقوق اليهود بصفتهم أَقليَّة سينص عليها في المعاهدة ، بشرط أَن لا يحدث اليهود أَحداثاً لمناوأَة العرب أَو مقاومتهم .

وعلى الإِجمال : فالشيء الذي لا يمكن أَن توافقوا عليه هو أَن يتقدم أَيٌّ شخص أَو أَي حكومة على حكومتنا في أَن يكون له أَي مركز ممتاز في فلسطين . ونحن لا نطلب جَرَّ مغنمٍ ، وإِنما سعيُنا منحصرٌ في دفع الضرر عنَّا .

وبالنظر لأَن أَبحاث المؤتمر قد تكون على عجلة ، وقد لا يكون هناك مجال لاستشارتنا فيما يعرض عليكم ، والشيء الذي تخشون فوات المنفعة فيه أَو دفع المضرة ، فلا بأْس في أَن تمضوا فيه ، إِذا كان مطابقاً لما ذكرناه لكم أَعلاه . وإِن كان بالإِمكان استشارتنا ، فالأَحسن أَخذ موافقتنا قبل مبادرتكم بأَي شيء ..

الوثيقة الثانية :

بسم الله الرحمن الرحيم

(٢٣ جمادى الآخر ١٣٦٥–٢٤ مايو ١٩٤٦)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ، ملك المملكة العربية السعودية ، إلى صاحب الفخامة الرئيس هاري ترومان ، رئيس الولايات المتحدة الأَمريكية .

يا صاحب الفخامة ،

تلقت حكومتنا منذ أَيام قليلة ، مذكرة من الحكومة الاميركية ، مرفقاً بها تقرير (اللجنة البريطانية – الأَمريكية) بشأْن قضية فلسطين ، وقد أَجابت حكومتنا باستلامها المذكرة ، وأَبدت مطالعاتها بصورة عامة ، ووعدت بإِعطاء الجواب المفصل خلال المدة المقترحة بعد الاجتماع الذي يعقد في مصر من ملوك وأُمراء ورؤساء الدول العربية ، واجتماع مجلس جامعة الدول العربية . وليس موضوع هذه المذكرة هو الذي قصدنا أَن نتكلم عنه إلى فخامتكم ، وإِنما قصدنا أَن نوجه إِليكم خطابنا هذا على أَثر ما سمعناه

عن تصريح وزير خارجيتكم ، بشأن القواعد السياسية التي ما زالت حكومتكم الموقرة تستلهمها في موضوع تقرير لجنة فلسطين .

نحب أَن نؤكد لكم – يا صاحب الفخامة – ان البلاد العربية والإسلامية ، تعلق أَكبر الآمال على الحكومة الأَمريكية ، بصفتها حاملة مشعل الحرية ، والمناضلة عن الحق والعدل ، في جميع أَنحاء العالم ، من دون تفريق بين العناصر والأَلوان والمذاهب ، ونحن نعلم أَن من الدوافع الرئيسية التي تحملها على مناصرة قضية الصهيونيين ، إنما هو الدافع الناشيء عن اعتقادها أَنها تخدم قضية العدالة والحق والإنسانية .

ولكننا يا صاحب الفخامة ، نربأ بالحرية الأَميركية أَن تعالج الظلم بارتكاب ظلم أَفدح منه ، وأَن تسعى لإغاثة شعب بائس على حساب بؤس شعب آخر ، وأَن تطالب بحرية شعب مضطهد مشتت ، بينما إن ذلك يؤدي إلى استعباد شعب آخر واضطهاده .

إننا لا نخاطبكم باسم المصلحة أَو العاطفة فحسب ،

وإنما نخاطبكم بصفتنا أَصدقاء نعمل معاً على ما فيه خير بلدينا وشعبينا خاصة والعالم عامة ، ونناشدكم باسم الإِنصاف والعدل من حيث هما إنصاف وعدل .

إن قضية إيجاد ملجإٍ لضحايا الظلم النازيّ والفاشيستي ، لَقَضِيَّةٌ إنسانية تحتمها مباديء العدل والإِنصاف والحرية ، ولكن فلسطين لا يمكن أَن تحل قضية هؤلاء اليهود الذين انتهى الآن وقت اضطهادهم ، بزوال قوات الظلم والطغيان ، وقد أَوضحت اللجنة المشتركة هذا الأَمر في توصيتها الأُولى ، والصهيونيون يتخذون أَمر هؤلاء اللاجئين وسيلة لنوال أَغراضهم السياسية في فلسطين .

وإننا نربأُ بالحكومة التي يترأَسها فخامتكم ، أَن تكون مؤيدة لهذا العمل الذي ينظر إليه كل عربي بأَنه ظلم فادح ، لا مثيل له في التاريخ .

أَصبح العرب - يا صاحب الفخامة - ينظرون إلى قضية فلسطين كأَنها قضية حياة أَو موت ، وهي إن لم تعالج بالحكمة ، وعلى أَساس احترام حقوق العرب ، فإنها قد تجرُّ إلى متاعب ومشكلات لا يعلم نتائجها إلا الله .

والمهم أَن يطمئن العرب إلى أَن الأُسس التي أَعلنتها الحكومة البريطانية عام ١٩٣٩ لن تتغير .

وأَن العرب ليأملون أَن يجدوا في فخامتكم ، وفي الحكومة الأَمريكية والشعب الأَمريكي نصراء لقضيتهم العادلة ، مدافعين عن حقوقهم الطبيعية وحرياتهم الأَصلية التي حاربت بلادكم مرتين من أَجل نصرتها ، إن إيجاد ملجإٍ لضحايا الاضطهاد والظلم ، أَمْرٌ ضروريٌّ ، ولكنه يجب أَن يكون منفصلاً عن قضية الصهيونية السياسية ، وعن مطامعها ومبادئها العرقية ، المستمدة من التعاليم النازية والفاشستية ، هذا هو الذي نرجوه ونؤمله من فخامتكم . وهو الأَمر الذي حملنا على الكتابة إليكم في هذا الوقت الذي تدرسون فيه الحلول المختلفة لقضية فلسطين .

وتفضلوا بقبول تحياتنا .

عبد العزيز آل سعود

الوثيقة الثالثة :

بسم الله الرحمن الرحيم

في ١٨-١١-١٣٦٥ (١٥-٩-١٩٤٦)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود .

إلى حضرة صاحب الفخامة مستر هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة .

يا صاحب الفخامة ،

إن الصداقة التي تربط بلادي ببلاد الولايات المتحدة ، والصداقة التي تأَسست بيني وبين الرئيس الراحل روزفلت ، والصداقة التي تجددت بيني وبين فخامتكم ، تجعلني شديد الحرص في المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها ، والعمل على تقويتها ، بكل الوسائل الممكنة . ولذلك تجدونني - فخامتكم - أُلِحُّ وأُكرر في كل مناسبة أَشعر فيها بما يخلُّ بصداقة الولايات المتحدة مع بلادي ، ومع سائر البلاد العربية ، لكي أُزيل ما يمكن أَن يعكِّر هذا الصفاء .

ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم ، عن حقيقة الموقف في فلسطين ، والحق الطبيعي للعرب فيها ، وأَن ذلك يرجع إلى آلاف السنين ، وأَن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية ، اعتدت في أَول الأَمر باسم الإِنسانية ، ثم أَخذت تظهر عدوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان ، مما ليس بخافٍ على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة .

أَضف إلى ذلك أَطماعهم التي يبيتونها ، ليس لفلسطين وحدها ، بل لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها أَماكن في بلادنا المقدسة .

لقد دهشت للإِذاعات الأَخيرة التي نسبت تصريحاً لفخامتكم بدعوى تأْييد اليهود في فلسطين ، وتأييد هجرتهم إليها ، بما يؤثِّر في الوضع الحاضر ، خلافاً للتعهدات السابقة .

ولقد زاد في دهشتي أَن التصريح الذي نسب أَخيراً إلى فخامتكم يتناقض مع البيان الذي طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأَمريكية في جدة من وزارة خارجيتنا أَن ينشر في

جريدة « أم القري » باسم بيان أَدلى به البيت الأَبيض في ١٦ أَغسطس ١٩٤٦ ، وذلك البيان الصريح في أن حكومة الولايات المتحدة الأَمريكية لم تتقيد بأَية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين ، وأَظهرتهم بحلِّها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية ووزراء خارجية الدول العربية ، وبين الحكومة البريطانية والفريق الثالث . وأَظهرتم فخامتكم رغبتكم في اتخاذ تسهيلات في الولايات المتحدة ، لإيواء المشردين وفي جملتهم اليهود ، ولذلك كانت دهشتي عظيمة حين اطلاعي على البيان الأَخير الذي نسب لفخامتكم، مما جعلني أَشك في صحة نسبته إليكم ، لأَنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذي صدر في ١٦ اغسطس ١٩٤٦ من البيت الأَبيض ، وإني لعلى يقين من أَن شعب الولايات المتحدة الذي بذل دمه وماله في مقاومة العدوان الغاشم ، لا يمكن أَن يسمح بهذا العدوان الصهيوني على بلد عربي صديق ، لم يقترف ذنباً غير إيمانه بمباديء العدل والإنصاف ، التي قاتلت من أَجلها الأُمم المتحدة ، وكان من أَركانها بلاد الولايات المتحدة ، وكان لفخامتكم

بعد سلفكم العظيم المجهود العظيم في هذا السبيل .

ورغبة مني في المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدة ، أَوضحت لفخامتكم ، بهذا البيان ، الظلم الذي يمكن أَن يحيق بالعرب ، إِذا بذلت أَيــة مساعدات لهذا العدوان الصهيوني ، ويقيني أَن فخامتكم ومن ورائكم شعب الولايات المتحدة ، لا يمكن أَن يقبل بأَن يدعو للحق والعدل والإِنصاف ، ويحارب من أَجل ذلك ليقره في سائر أَنحاء العالم ، ثم يمنع هذا الحق والعدل عن العرب في بلادهم فلسطين التي ورثوها عن آبائهم وأَجدادهم منذ العصور القديمة .

واقبلوا فائق تحياتي [1]

عبد العزيز آل سعود

(١) المصدر السابق .

الوثيقة الرابعة :

وهي ليست الأَخيرة وإنما هي آخر ما اختصرته من الوثائق الوافرة العدد التي على هذا النمط :

بسم الله الرحمن الرحيم

في ٧ـ١٢ـ١٣٦٥ (أَول نوفمبر ١٩٤٦)

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود .

إلى حضرة صاحب الفخامة المستر هاري ترومان رئيس الولايات المتحدة .

يا صاحب الفخامة .

لقد تلقيت – بتقدير فائق – رسالة فخامتكم التي بعثتموها إلي بواسطة مفوضية الولايات المتحدة الامريكية بتاريخ ٢٥ اكتوبر ١٩٤٦ ، وإني أُقَدِّر صداقة فخامتكم وشعب الولايات المتحدة لي ولبلادي ولسائر البلاد العربية .

وتقديراً للغيرة الإنسانية التي أَظهرتموها ، فإنني لم أَعترض على أَية مساعدة إنسانية تسدونها فخامتكم أَو

تسديها الولايات المتحدة للمشردين من اليهود ، إذا كانت تلك المساعدة الإنسانية لا يراد منها القضاء على شعبٍ آمن في موطنه .

ولكن اليهود الصهيونيين جعلوا من هذه الدعوى الإنسانية ، منفذاً لأَغراضهم الخاصة في الاعتداء على فلسطين ، للتغلب فيها بأَكثريتهم ، وصيرورتها يهودية ، ليؤسسوا لهم دولة فيها ، ويطردوا سكانها العرب ، ويجعلوا منها قاعدة للتعدِّي على البلدان العربية المجاورة ، وتنفيذ برنامجهم الجائر .

إن مباديء الإنسانية ، ومباديءالديمقراطية ، التي قامت عليها دعائم الحياة في الولايات المتحدة ، تتنافى مع إكراه شعب آمن في وطنه بإدخال عناصر أَجنبية عنه ، لتتغلب عليه وتخرجه من بلاده . مستعملة في ذلك تضليل الرأْي العالمي ، باسم الرحمة بالإنسانية ، ووضعوا من وراء ذلك الحديد والنار .

لقد قامت الحرب العالمية الماضية ، ولم يكن في فلسطين من اليهود أكثر من خمسين أَلف يهودي . وقام

العرب مع بريطانيا وحليفتها الولايات المتحدة وحلفائها ، فقاتلوا في سبيل قضية الحلفاء انتصاراً لحقوقهم ، وانتصاراً للمباديء التي أَعلنها الرئيس ولسن ، ومن جملتها تقرير المصير ، فما كان من نتيجة ذلك إلا أَن أَعلنت الحكومة البريطانية وَعْدَ (بَلْفُور) وأَخذت تدخل اليهود إلى فلسطين بالقوة والجبروت ، خلافاً للمباديء الديموقراطية وخلافاً لأَيٍّ مبدإٍ إنساني . وقد قام العرب العرب باحتجاجات وثورات للدفاع عن حقوقهم ، ولكنهم كانوا يجابهون بأَقصى ما يمكن من الشدة والقسوة ، حتى أُجبروا على غير ما يريدون .

ولما قامت الحرب العامة الأَخيرة ، وتأَلبت القوات على بريطانيا من كل جهة ، وثبتت بريطانيا وحدها ، وأَظهرت من الثبات والجلد ما حاز إعجاب العالم ، وأَدَّى ثباتها إلى إنتشال العالم من الخطر المحدق به ، في تلك الأَيام الحالكة المظلمة ، قام أَعداؤها يبذلون الوعود للعرب بالقضاء على الصهيونية ، وكنت في ذلك الوقت أُقَدِّر حراجة الموقف حق قدرها ، فوقفت حينئذ بجانب

بريطانيا ، ونصحت العرب أَجمعين بوجوب الإِخلاد إلى السكينة ، وأَكدت للعرب أَن بريطانيا وحلفاءها ، لن يخالفوا المبادىء الإِنسانية الديموقراطية التي دخلوا الحرب لنصرتها ، فقبل العرب نصائحي ، وساعدوا بريطانيا وحلفاءها بكل ما يستطيعون ، حتى خرج الحلفاء من الحرب ظافرين . والآن يُراد باسم الإِنسانية أَن تُكْرَهَ الأَكثرية العربية في فلسطين على إدخال شعب بغيض لهم ، ليصبح أَكثرية ، ويصبح الأَكثرون الأَقلِّيْنَ . وأَعتقد أَن فخامتكم توافقون معي ، على أَنه لا يوجد شعب في العالم ، يمكن أَن يقبل بأَن يدخل عليه في بلاده شعب أَجنبي عنه ، حتى تكون له الأَكثرية ، ويتحكم فيها بما يشاء . وهذه الولايات المتحدة لم تسمح حتى الآن بإِدخال العدد المقترح إدخاله لفلسطين ، لكي يدخل بلاد الولايات المتحدة ، لأَن ذلك يختلف مع نظمها الموضوعة لحمايتها وحماية مصالحها .

ذكرتم فخامتكم في كتابكم ، أَنه يمكنكم أَن تؤكدوا أَن حكومة الولايات المتحدة تقف ضدَّ كل اعتداء أَو

أي نوع من أسباب الإرهاب لأَسباب سياسية إذا نُفِذَّ اقتراحكم بشأن اليهود ، وذكرتم أَنكم مقتنعون بأَن زعماء اليهود المسؤولين ، لا يفكرون في اتباع سياسة العدوان على الممالك العربية المجاورة لفلسطين ، وبهذه المناسبة أَحب أَن أَذكِّر فخامتكم ، بأَن الحكومة البريطانية هي التي أَعطت (وعد بلفور) ، وهي التي نقلت المهاجرين اليهود إلى فلسطين تحت حماية حِرابها ، وهي التي آوتهم وآوت زعماءهم ولا تزال توليهم من شفقتها ورحمتها بهم ورغم ذلك فإن الجيش البريطاني يكتوي بنار اليهود الصهيونين كل صباح ومساء ، ولم يتمكن هؤلاء الزعماء أَن يمنعوا العدوان من أَنفسهم عمن آواهم ونصرهم ، فإذا كان اليهود ، وهم في حالتهم الحاضرة لم تتمكن الحكومة البريطانية المحسنة اليهم من منع شرورهم ، وهي التي تملك من وسائل القوة ما لا يملكه العرب ، فكيف يستطيع العرب أَن يأمنوا من اليهود في الحال والاستقبال ؟ أَعتقد بأَن فخامتكم توافقون معي ، بعد استعراض هذا الموقف ، على أَن العرب الذين هم اليوم أَكثرية في بلادهم ،

لا يمكنهم أن يطمئنوا لدخول اليهود بينهم ، ولا يمكنهم أن يطمئنوا لمستقبل البلاد المجاورة لهم .

ذكرتم فخامتكم أنكم لا تستطيعون أن تفهموا لماذا شعرت بأن بيانكم الأخير ، كان مخالفاً للوعود السابقة ، والبيانات التي أدلت بها حكومة الولايات المتحدة ، وذكرتم فخامتكم أن التأكيدات التي بذلت لي بأن لا تقوم الولايات المتحدة بأيٍّ عمل يبرهن على أنه عداء للعرب ، وأنه لا يمكن أن يُتخذَ أيٌّ قرار يغير الحالة الأساسية لفلسطين بدون استشارة الفريقين .

وإني على يقين بأن فخامتكم لا تقصدون نقض عهد قطعتموه ، ولا تريدون اعتداءً على العرب . ومن أجل ذلك أستميح فخامتكم أن أبدي بصراحة أن التغيير الأساسي لفلسطين يكون بأن تصبح الأكثرية العربية أَقَلِّيَةً ، وهذا هو الركن الأساسي ، والمباديء الديموقراطية تقضي بأنه متى وجدت أكثرية في بلد ، فالحكومة تكون للأكثرية لا للأقلية . فإذا فقد العرب نسبتهم العددية الحاضرة ، فقدوا كلَّ ميزات الحكم في بلادهم ، وأي تغيير أساسي

أعظم من هذا التغيير ؟ وهل يرضى شعب الولايات المتحد أن يدخل في بلاده عدداً أجنبياً يتغلب علَيه بأكثريته ؟ .. وهل يمكن أن يعتبر مثل هذا عملاً إنسانياً ديموقراطياً ؟ ..

إني على يقين بأن فخامتكم لا تقصدون معاداة العرب ، بل تتمنون الخير لهم . وأعتقد بأن شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يرضى بمخالفة المباديء الإنسانية الديموقراطية ، وقد أوضحت هذا لفخامتكم اعتماداً على والصراحة التي اعتدت عليها ، والتي أعتقد أن فخامتكم وشعب الولايات المتحدة يرغبان فيها . وإني على استعداد لبذل كل ما من شأنه أن يزيل سوء التفاهم ، وأن يجلو الحقائق ويوضحها ، لتأمين الحق والعدالة ولتوطيد الصداقة بيني وبين فخامتكم ، وبين شعب الولايات المتحدة ، وأحب أن تثقوا فخامتكم بأن رغبتي في الدفاع عن العرب ومصالحهم ، لا تقل عن رغبتي في الدفاع عن سمعة الولايات المتحدة في البلاد الإسلامية والعربية وفي العالم أجمع ، ولذلك تجدونني حريصاً كل الحرص على أن أواصل مساعِيَّ لإقناع فخامتكم وشعب الولايات المتحدة

بالحقوق الإنسانية والديموقراطية التي تستهدفها الأُمم المتحدة ويستهدفها فخامتكم وشعب الولايات المتحدة .

ولذلك أتوقع أن تعيدوا فخامتكم النظر في هذا الموقف ، لإيجاد حلٍّ عادل لهؤلاء المشردين ، يحفظ لهم حياتهم في البلاد الواسعة ، بدون إعتداءٍ على شعب آمن مطمئن في بلاده .

وتقبلوا تحياتنا [1]

عبد العزيز آل سعود

وقد أجاب ترومان على كل رسالة بعثها الملك عبد العزيز ، ولا أرى ما يدعو إلى ذكر رد ترومان لأَن ذلك لا يهمني ..

* * *

وقد توقع عبد العزيز ما سيحصل للعرب حينما يرحل الإنجليز عن فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ ولذلك أمر وزارة

---

(١) المصدر السابق .

خارجيته بجدة في ٦-٦-١٣٦٧ (الموافق ٦-٥-١٩٤٨) بأن تقدم إلى المفوضية البريطانية في جدة مذكرة تبين حرص الدول العربية على حفظ النظام في فلسطين وحماية أرواح العرب ، وتلفت نظر الحكومة البريطانية إلى موقفها في ترك فلسطين بعد ١٥ مايو ١٩٤٨ وإلى ما لدى اليهود من استعدادات عسكرية لتهديد كيان العرب ، والإقدام على أعمال لا تخفى عليهم ، وأن هذه الحال تجعل العرب ملزمين باتخاذ كل ما يمكن لحفظ حياتهم وحياة إخوانهم في فلسطين ، فإذا كانت الحكومة البريطانية تتعهد بوقف العدوان اليهودي قبل ١٥ مايو أو بعده ، فنحن مستعدون للسعي مع الدول العربية للتعاون على إحلال السلام ، وإذا ظل اليهود على اعتداءاتهم فلا يوجد حامٍ لأرواح أهل فلسطين العرب . وإذا كانت الحكومة البريطانية ستتخلى عن مسؤوليتها ، ويبقى العرب الْعُزَّلُ أمام اليهودية المجرمة المسلحة ، ففي هذه الحالة سيكون من الواجب على الدول العربية أن تأخذ للأمر عُدَّتَهُ من الآن لتقوم بالواجب عليها في حماية أرواح العرب الذين لن يكون لهم بعد ١٥ مايو ما يقيهم من عدوان اليهود .

وفي ٢٩-٦-١٣٦٧ (٩-٥-١٩٤٨ م) وردت على الملك عبد العزيز برقية من المستر إرنست بيفن - وزير خارجية بريطانيا - يرجو فيها النظر بعين الجدِّ إلى مقترحات تضمن السلم في فلسطين ، وتحول دون ازدياد تدهور الحالة ، وأن يقدر العرب الموقف حق قدره قبل أن يصلو إلى قرار نهائي .

فأَجاب الملك على البرقية ، بواسطة المفوضية البريطانية بجدة : (مع تقديرنا لوجهة نظر الوزير البريطاني ، والشعور النبيل الذي دفعه إلى ذلك ، فإننا لا نرى أَنَّ أَحداً يستطيع أَن يقوم بالواجب في هذه المسأَلة ، لمصلحته الشخصية ومصلحة أَصدقائه ويستطيع أَن يمنع الخطر إلا حكومة بريطانيا).

وجاء في جواب الملك أَيضاً : (إنه مع تقديره لوجاهة آراء المستر بيفن لا ينفع في الخائف أَن يقال : لا خطر عليك ، وإنه لم يبق لتلافي الأَمر إلا طريقتان : إما أَن تقوم الحكومة البريطانية بنفسها بالواجب وتتحمل المسؤولية ، أَو تترك الحبل على الغارب ، وحينذاك لا

يستطيع أَحد أَن يعرف ما تصير إِليه الأُمور ، ويقيني أَنهم إذا لم يحملوا هذه المسؤولية فان الخطر سيكون كبيراً يتأَسفون لنتائجه ، كما يتأَسف العرب عليه[1] .

* * *

وكما كتب عبد العزيز للحكومة البريطانية عن طريق مفوضيتها في جدة تلك العبارات كذلك كتب للحكومة الأَمريكية عن طريق مفوضيتها في جدة .

في ١٢ رجب ١٣٦٧ (٢١ مايو ١٩٤٨ م) كتب يطلب منها أَن تتبصر في الموقف في فلسطين جيداً ، فانه يزداد خطورة ، ويقول : (كنت من قبل أُشير على العرب بالتأَنِّي ، ولكن بعد وقوع ما وقع من سفك دماء النساء والأَطفال ونهب الأَموال ، لم أَجد بُدًّا من أَن يقوم العرب بواجبهم) ثم يقول : (إن كان قصد الولايات المتحدة الامريكية تحدِّي العرب ، وقد تعمدت ذلك ، فإن العرب يفضلون الموت على الحياة ، وإن كان ما بدر من الخطأْ مظنة الإصلاح فنأْمل التبصر في الأَمر) .

---

(١) المصدر السابق .

كان لعبد العزيز موقف قبل الحرب وبعدها

حرص عبد العزيز بأن تكون الحرب بين العرب واليهود حرباً شعبية ، يتولى قيادتها الفلسطينيون ، ويساهم فيها جماهير شعوب الدول العربية جميعاً ، وعندما رفض حكام العرب ذلك ـ كما سلف ذكره ـ ثم وقعت الحرب بين الدول العربية واليهود في عام ١٩٤٨ اتخذ عبد العزيز موقفين حازمين في دعمه للقضية الفلسطينية موقف عسكري ، وموقف اقتصادي .

فأما الموقف العسكري فإنه ذو جانبين : الجانب الأول : أنه جهز جيشاً نظامياً وبعثه بحراً عن طريق قناة السويس ، وهو الجيش السعودي الذي حارب بجانب الجيش المصري ، بقيادة العقيد سعيد كردي ومعاونه الرائد عبد الله بن نامي ، كما بعث جيشاً شعبياً مؤلفاً من أبناء

القبائل بقيادة أمير جازان محمد بن أحمد السديري - وهذا الجيش الشعبي هو الذي منعه الملك عبد الله من المرور بأرضه ، ليقاتل في الجبهة السورية - كما سبقت الإشارة إلى ذلك - وفي الوقت نفسه كان لي الشرف بالمساهمة في تأسيس فوج من الأخوة المتطوعين السعوديين ، انضم إلى جيش الإنقاذ أولاً ثم إلى الجيش السوري ورئيس أركانه حينئذ الزعيم حسني الزعيم . ومن أراد أن يطلع على المعارك التي خاضها المتطوعون السعوديون من رجال ذلك الفوج وعلى عدد الشهداء والجرحى ومن منحتهم حكومة سورية أوسمة عسكرية ، من أراد أن يطلع على ذلك فما عليه إلا أن يراجع مؤلفي « سجل الشرف » .

اما الموقف الاقتصادي الذي اتخذه عبد العزيز فإنه كما فتح باب التطوع لأفراد شعبه عسكرياً ، فتح أيضاً ذلك الباب على مصراعيه لأفراد شعبه من حيث التبرع ماليًّا ، فكان التنافس والسخاء العربي والبذل على الصعيدين الشعبي من أثرياء وأمراء رجالاً ونساء ، وعلى الصعيد الحكومي ، وكما أحصيت عدد المتطوعين وشهداءهم

وجرحاهم في كتابي « سجل الشرف » فقد أَحصيت أَيضاً ما استطعت من المتبرعين من أَفراد شعبنا المناضل ، امتثالاً لما يمليه عليهم الواجب الوطني المقدس من ناحية ، وتنفيذاً لأَوامر مليكهم عبد العزيز من ناحية أُخرى ، الذي دفعته عقيدته الإِسلامية وشيمته العربية ان يقف تلك المواقف الكريمة ولسان حاله يردد قول الشاعر :

ولو أَن قومي أَنطقتني رماحهم
نطقْتُ ولكن الرمــاح أَكَنَّتِ

* * *

كما ورّث عبد العزيز لابنائه الملك، ورّث لهم قيامهم بالواجب الوطني

أود أن أختم مواقف الملك عبد العزيز من القضية الفلسطينية ـ لأقول : اذا كان الملك عبد العزيز أورث لابنائه الملك فانه أورث لهم ، وورثوا منه قيامهم بالواجب الوطني ، في القضية العربية الفلسطينية .

واذا كان كاتب هذه الأسطر عاصر ثلاثة ملوك من أبناء عبد العزيز ، فانني بحكم ما أعرفه عن كل واحد من هؤلاء الثلاثة أستطيع أن أورد لكل واحد منهم مواقف نضالية في القضية العربية الفلسطينية التي أصبحت هي لشغل الشاغل لا في العالم العربي فحسب ، بل وفي العالم الدولي أيضاً .

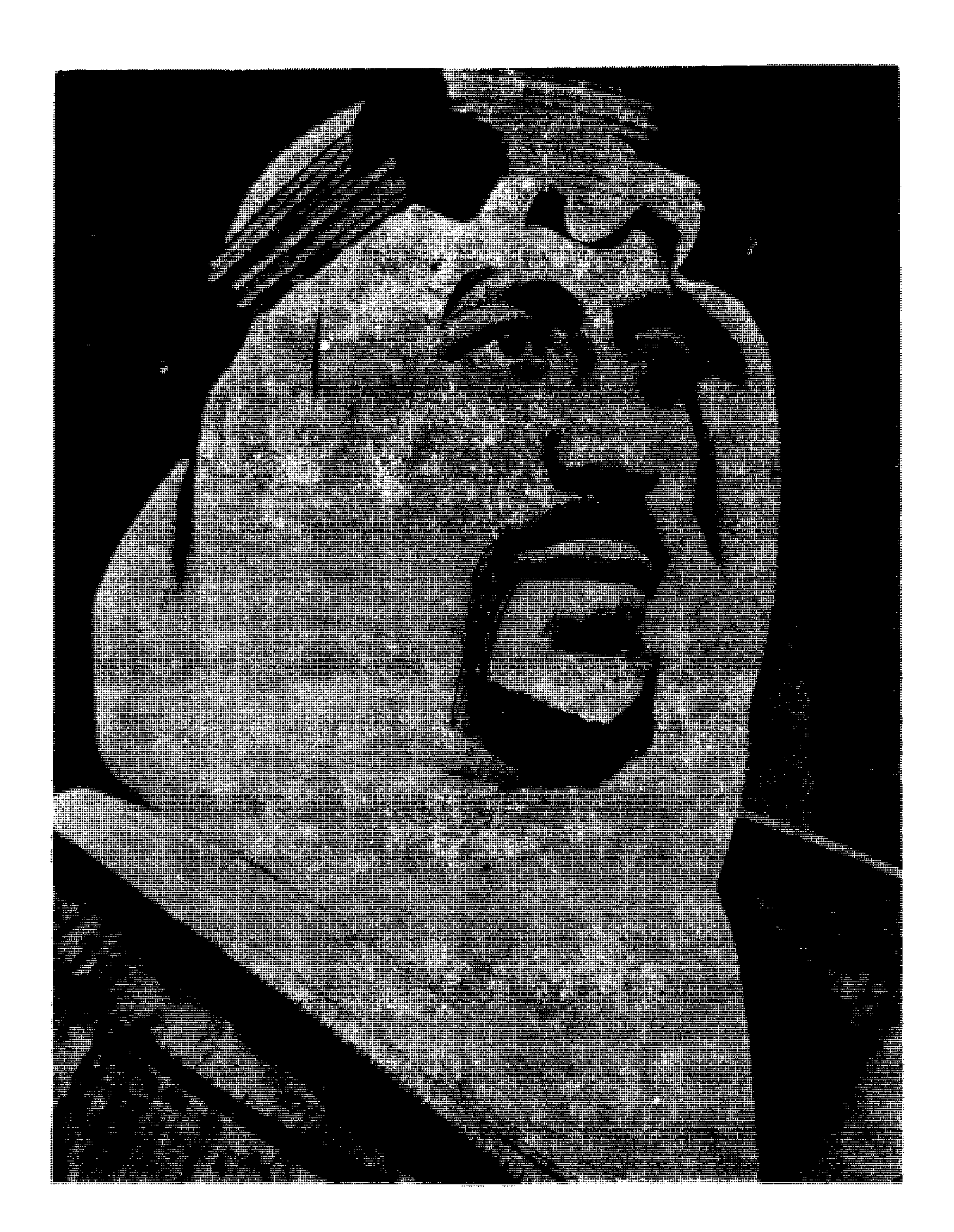
أُثبت مواقف الملوك الثلاثة بالوثائق التاريخية ، وأُثبتها بالأَدلة والحجج ، والبراهين التي لا تقبل الجدل ، بادئاً بهم واحداً واحداً وفق التسلسل التاريخي :

مواقف المرحوم الملك سعود بن عبد العزيز :

فأَولهم المغفور له الملك سعود الذي كان لي صلة به تخولني بأَن أَذكر ما أَعرفه عنه إبان حرب العرب مع اليهود في عام ١٩٤٨ . وكنت حينئذ قائداً لمفرزة من المتطوعين السعوديين ، أُولئك الذين أَصبحوا فيما بعد - كما أَسلفت - فوجاً سعودياً كاملاً ، وفي تلك الفترة كتبت عدة رسائل للأَمير سعود الذي كان ولياً للعهد ثم صار ملكاً .

وكانت الأَجوبة منه تأْتي إليّ مشجعة - وقد ذكرت أَجوبته في مؤلفي من شيم العرب [1] وما كان لي أَن أُعيد ما سبق أَن كتبته لولا أَني ذكرت في السياق ، انني سوف أُثبت بالوثائق والبراهين ، أَن ورثة عبد العزيز أَدوا الرسالة التي قام بها والدهم في مواقفه من القضية الفلسطينية ،

(١) - ج - ٢ ص ٣٣٠ و ٣٣١ .



المرحوم الملك سعود بن عبدالعزيز

ومن هذا المنطلق يطيب لي أَن أَبدأَ أَولاً من موقف الملك سعود ـ في دعمه للمناضلين المتطوعين السعوديين ـ أبدأ ذلك لأَقول :

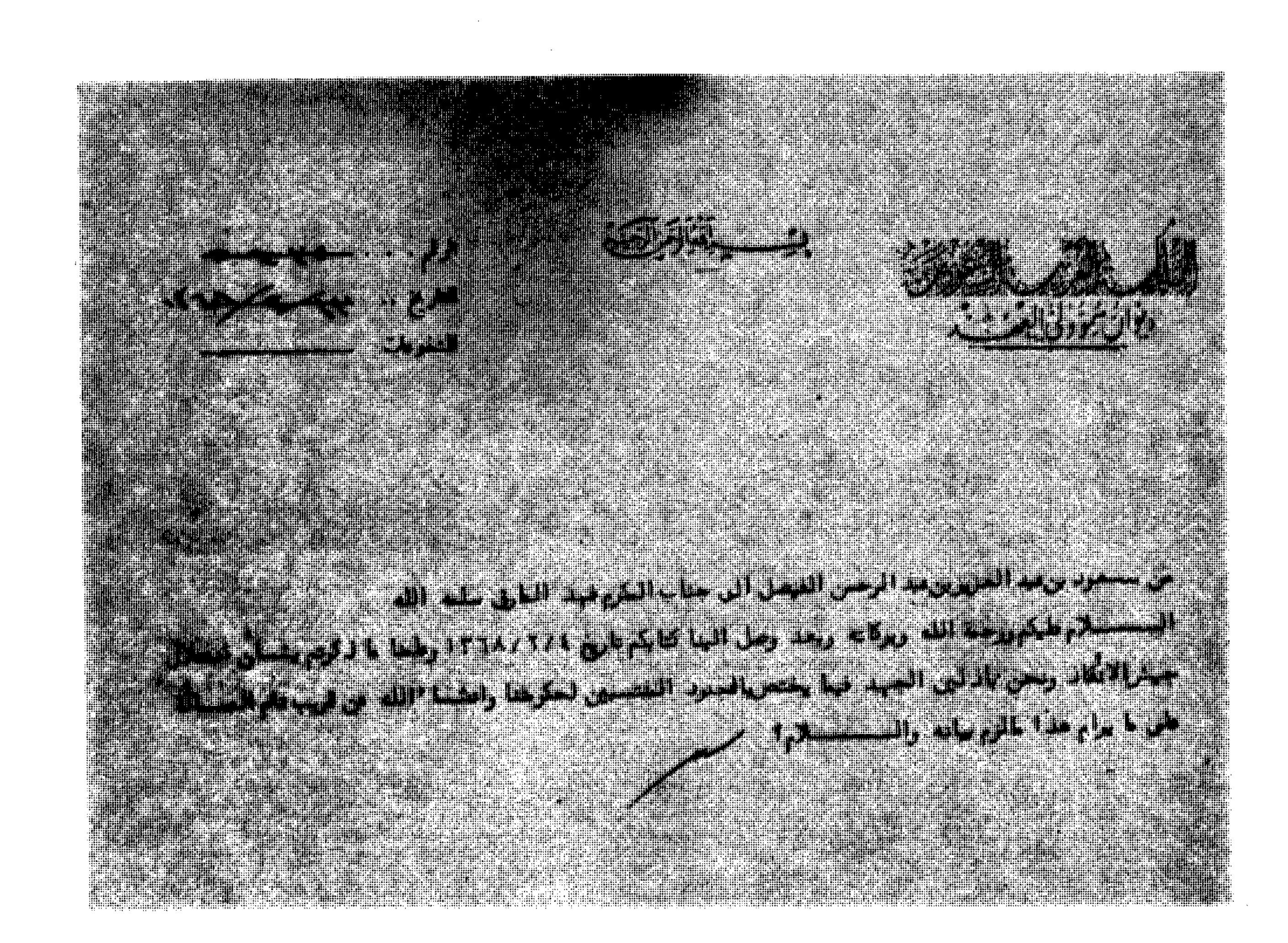
لما كنت المؤسس لفوج المتطوعين السعوديين السالف ذكرهم ، فقد كتبت لولي العهد الأَمير سعود رسالة في ٢٨ـ٨ـ١٣٦٧ هـ أَوضحت فيها رغبتي بتحقيق الأَهداف التي تضمن للمتطوعين السعوديين أَبنـــاء الشهداء منهم والأَحياء المعاني الآتية :

١ ـ أن تتعهد الحكومة العربية السعودية بكفالة أَطفال الشهداء المتطوعين السعوديين الذين استشهدوا في ميدان الجهاد المقدس كما تتعهد بكفالة وإعالة جميع السعوديين المجاهدين الذين أُصيبوا في ميدان الحرب بإصابة أَقعدتهم عن العمل واكتساب الرزق .

٢ ـ ينبغي على الحكومة السعودية بعدما تضع الحرب أَوزارها أَن تعتبر كل مواطن سعودي تطوع في حرب فلسطين جندياً نظامياً ضمن الجيش السعودي النظامي وأَن يمنح كل من نال رتبة مكتسبة في الجهاد مرتبة زيادة علي رتبته الأُولى .

٣ - رجوت الحكومة السعودية بعد أن تضع الحرب أوزارها أن تتعهد بالحج مجاناً وعلى نفقتها لجميع الضباط والقادة من جميع المجاهدين في جيش الإنقاذ الذين أبلوا بلاءً حسناً في الجهاد لا من السعوديين فحسب ، بل من جميع المجاهدين من أي بلد من البلدان العربية .

وقد رد ولي العهد على رسالتي هذه بالجواب الذي يطيب لي أن أوافي القاريء بنصه الحرفي لفظاً ومعنى موضحاً بالرسائل التالية كما يلي :



المملكة العربية السعودية
ديوان ولي العهد

بسم الله الرحمن الرحيم

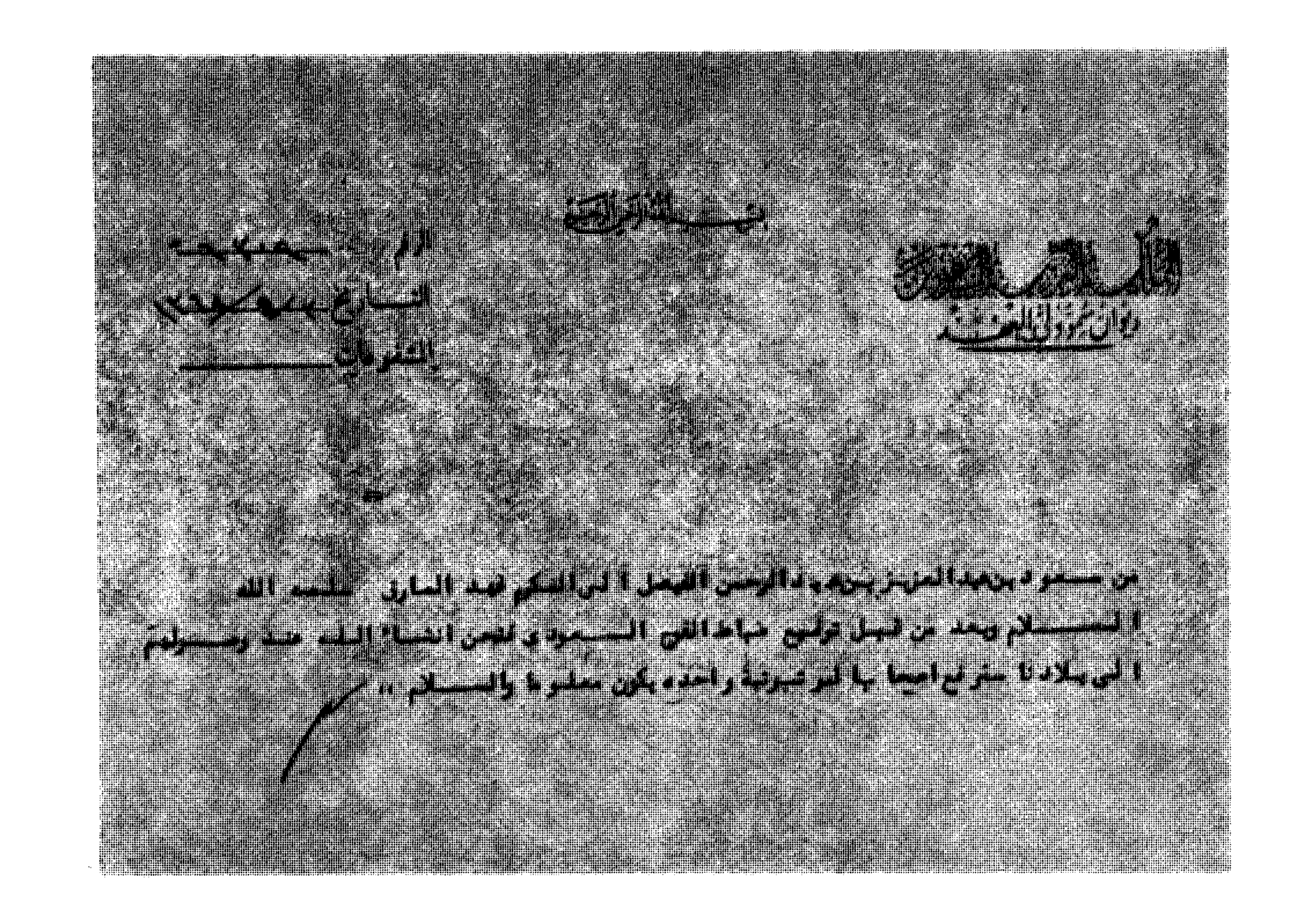
الرقم : ....
التاريخ : ....
المرفقات : ....

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى جناب المكرم [illegible] [illegible] سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد وصل الينا كتابكم تاريخ ١٣٦٨/٢/٩ وفهمنا ما ذكرتم بشأن [illegible]

جهة الانكار ونحن بذلنا الجهد فيما يختص بالحدود ... لحكومتنا وانشاء الله من قريب [illegible]

على ما يرام هذا ما لزم بيانه والسلام



بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible]
ديوان [illegible]

الرقم
التاريخ
المرفقات

من سعود بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى المكرم فهد [illegible] سلمه الله

السلام [illegible] من قبل ترتيب [illegible] السعودي [illegible] [illegible] عند [illegible]

الى بلادنا [illegible] [illegible] واحده يكون [illegible] والسلام ،،

وقد وفى ولي العهد الأَمير سعود بكل ما تعهد به في رسائله بالنسبة لترفيع الضباط السعوديين كالملازم الأَول سعدون حسين ، والملازم الثاني علي الذياب ، كما وفى بإعالة جميع من أُصيب بجرح أَقعده لا من المتطوعين السعوديين فحسب ـ بل حتى المتطوعين اليوغسلافيين المسلمين أَجرى لهم الملك سعود مرتَّباً شهرياً كان يستلمه ثلاثة من الجرحى المشوهين اليوغسلافيين ، يستلمونه بواسطة السفارة السعودية في دمشق ـ أَما المتطوعون السعوديون ، من صف الضباط والعرفاء والجنود ، فإنهم انضموا إلى الجيش السعودي ، والكثير منهم نال رتبة مرموقة في الجيش . بل منهم الآن من هو برتبة لواء.

وللملك سعود مواقف شريفة دعم بها المناضلين الفلسطينيين ـ الذين قاموا بأَعمال الفداء في عام ١٩٥٠ ـ وكان رؤساؤهم المفكرون : المرحوم المناضل القديم توفيق المشهور بأَبي ابراهيم الصغير ـ والمناضل المرحوم سليم الحسيني ـ والمناضل ـ أَبو عمر ـ الذي يعمل الآن في لجنة الشهداء الفلسطينيين في الرياض ـ وهو الشاهد الوحيد

من الأَحياء الذين دعمهم الملك سعود مالياً ليقوموا بأَعمال النضال في الأَرض المحتلة ـ فقام المناضلون من الشبان الفلسطينيين بأَعمال نضالية فترة ـ لم يطل عهدها لأَسباب يعرفها أَبو عمر أَكثر مما أَعرفها .

هذا ما أَلممت به وما عرفته عن مواقف الملك سعود التي ورثها عن أَبيه .

مواقف الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز :

أَما مواقف الملك الشهيد فيصل الذي كان لي بجلالته صلة وطيدة خاصة بما له شأن في القضية الفلسطينية بصورة خاصة وفي القضايا العربية بوجه عام ، فإنها مواقف نضالية لا يتسع المجال إلى ذكرها بصورة كاملة وافية ، وهي مواقف سوف أَذكر ما وسعني العلم بها في مؤلفي ـ الذي بدأت به عن الملك الشهيد فيصل ـ والذي سوف يصدر بعد هذا الكتاب ـ بعنوان « جهاد فيصل الصامت » .

أَما الذي سمعته بأُذني من الملك فيصل فهو قوله :

« لو يعترف الفلسطينيون باسرائيل فإنني لن أَعترف بها » .



الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز

كما سمعته في مناسبة حديث له صلة في حرب ١٩٦٧ يقول : « كنت على وشك أَن أُعلن الجهاد لولا وقف القتال » .

وفي مناسبة أُخرى جاء بها ذكر الجهاد وهو ماضياً في طريقه من صالة السفرة إلى أَهله في الطائف قائلاً :

« والله لئن أَحياني الله إلا أَن يأْتي اليوم الذي نرفع به علم الجهاد » .

الحديث عن الملك فيصل في مواقفه البطولية الخاصة في تحرير فلسطين ، وفي دعمه للفدائيين منذ أَن أَطلق فدائيو فتح رصاصتهم الأُولى في أَول يوم من عام ١٩٦٥ – وعن إصراره ونضاله بأَن لا بد من أَن تعود القدس عربية ، ذلك الإصرار الذي جعله يجود بنفسه الكريمة مستشهداً في سبيل أَهدافه المقدسة التي لقي ربه ، وحلمه وأَمانيه وآماله كلها منصبة ومتجسدة في تحرير فلسطين – وقد لقي الفيصل ربه وكان آخر رجال التقى بهم المناضلون الفلسطينيون ياسر عرفات (أَبو عمار) ومحمود عباس (أَبو مازن) ، وسعيد

المزيّن (أَبو هشام) ممثل فتح في المملكة ، التقى بهمم الشهيد الساعة الحادية عشرة ليلاً وظل جالساً معهم حتى الثانية عشرة ليلاً ، واستشهد صباح الغد من لقائه بالمناضلين الفلسطينيين ، وعندما سأَلته الملكة زوجته عن أَسباب تأَخره عن مجيئه المعتاد أَجابها على ما رواه لي أَبو عمار قائلاً : كنت جالساً مع أَحب الناس إلي . ويقول أَبو مازن : إنه في تلك الجلسة جرى حديث نقله لجلالته أَحد المناضلين والحديث هو قول أَحد الحكام العرب - بأَن القدس سوف تكون دولية يؤكد أَبو مازن بأَن الشهيد قال : بعبارة صارمة : « بل ستكون القدس عربية » .

أَقول إن الحديث عن مواقف الملك الشهيد فيصل في القضية الفلسطينية ، التي ورثها من والده عبد العزيز حديثاً يطول ويطول غفر الله له ولوالده ولأَخيه الأَكبر سعود - وأَمد الله بعمر الملك خالد الذي جاء دوره - لأَذكر موقفه الذي ورثه من والده عبد العزيز .

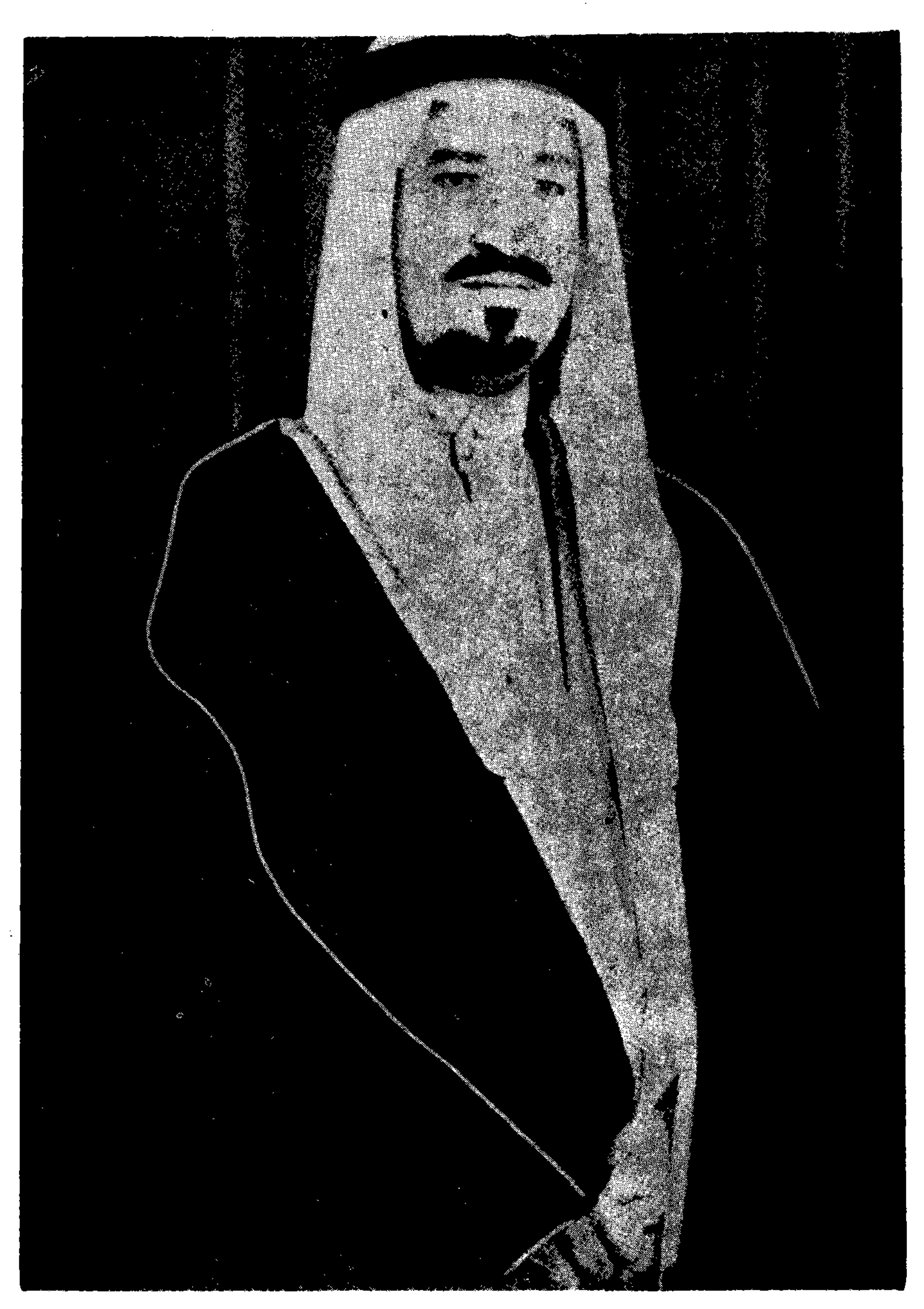
مواقف الملك خالد بن عبد العزيز :

عندما آتي إلى ذكر مواقف الملك خالد في دعمه للنضال الفلسطيني ، فانني أود أن أختصر الحديث عن موقف خالد جملة أنقلها عن الأخ محمود عباس - أبو مازن - عضو اللجنة المركزية في فتح - والذي يقوم بمهمة وزير المالية في حركة فتح - وقد زارني في منزلي في دمشق ، وذلك في ٢-٨-١٣٩٧ هـ الموافق ١٧-٧-١٩٧٧م وفي جلوسه عندي جرى حديث بينه وبين الأخ الأستاذ الصديق سعود بن جمران العجمي والكويتي جنسية ، وقد ألقى الأخ سعود على (أبي مازن) السؤال التالي :

« من أكثر الدول العربية سخاء في دعمها للعمل الفدائي ؟ » .

فاتجه أبو مازن إلى الأخ الجمران ليرد على سؤاله ، ثم بدا له أن الجمران لا يعرفه ولذلك اتجه نحوي وقال : يعرفني الأخ فهد بأنني صريح ولا أجامل [1] في الإجابة

(١) - أكثر من عرفت من فدائيي فتح صراحة الأخ (أبو مازن) وذلك بعد الشهيد (أبو يوسف) محمد النجار ، وكما أن أبا مازن هو المسؤول =



الملك خالد بن عبد العزيز

على سؤال كهذا ، ولذلك أستطيع أو أؤكد أن أكثر الدول العربية بذلاً وسخاء لنا هي المملكة العربية السعودية ، أقول ذلك عن خبرة بصفتي المسؤول عن الشؤونا لمالية » .
ثم عاد السيد سعود الجمران يسأل أبا مازن سؤالاً طلب منه أن يذكر سخاء وكرم وبـــذل الدول العربية بالتسلسل وبالدرجات ، فعاد أبو مازن وقال : الأُولى بالأَسبقية المملكة العربية السعودية ، وأَضاف : لولا بذل السعودية لنا في السنتين الأَخيرتين لربما انشلت حركة نضالنا نهائياً .

ومضى أبو مازن وقال : إن المملكة العربية السعودية لا يقف البذل منها على حد المبلغ الذي التزمت به شهرياً — بل عندما جاء (أبو عمار) وأبدى للملك خالد مجرد إشارة عن حاجته إلى مزيد من الدفع ، أمر الملك خالد إلى الجهات المختصة بأَن تدفع لنا المعونة ، فجاء الجواب من

= حالياً عن الشؤون المالية لفتح ، كذلك كان أبو يوسف هو المسؤول عن مالية فتح ، لأن الأمانة والصدق صنوان لا يفترقان ، والمال في أغلب الأحيان لا يوضع إلا بيد القوي الصادق الأمين كما جاء في القرآن الكريم على لسان النبي يوسف مخاطباً فرعون مصر بقوله « اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم » يوسف : ٥٥ .

هذه الجهة يقول : إن الالتزامات الجارية دفعت بكاملها للفدائيين ، فقال الملك ادفعوا خمسة ملايين دولار وقيِّدوها ضمن حسابي الخاص ، فدُفعت .

لعلي بعرضي هذا الوجيز عبرت ما يجوز التعبير عنه بالوثائق والأَدلة والبراهين التي تؤكد بأَن الملك عبد العزيز كما ورث لأَبنائه الملك ورث لهم ـ وورثوا منه أَيضاً ـ نضاله في سبيل القضية الفلسطينية .



الخاتمة

ما قلته في المقدّمة يحسُن بي أن أعيد بعض معانيه في الخاتمة

•



يحسن بي أن أَختم مؤلفي هذا بعبارة فيها شبه مما أَوردته في المقدمة ، وإذا كنت أَكدت سابقاً في المقدمة ، فانني أَؤكد في الخاتمة للقاريء وهو أَن إعجابي بشخصية عبد العزيز أَولاً ، ثم تفكيري في إبراز هذا الإعجاب من حيز الخيال والفكر إلى حيز التطبيق العملي ، كل من هذا وذاك لم يكن ابنَ ساعته ، بل كان إعجابي وإجلالي وتقديري لهذا العبقري بدأَ يتجسد منذ أَن أَدركت قداسة وجلالة قدر الوحدة العربية ، وابتليت شغفاً بحبها بحيث جلب لي هذا الابتلاء إتهاماً بالتبعية لهذا الحاكم [1] أَو لذلك الحزب ، وأَعتقد جازماً أَن لولا عقل الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز غفر الله له لنالني من جَرَّاءِ ذلك الاتهام أَمرٌ لا تحمد عقباه . ومن

(١) راجع كتابنا « كيف ننتصر على اسرائيل » صفحة ٩ .

خلال تقديسي للوحدة العربية وانطلاقي من أسْرِ العقلية العنصرية والقبلية ، من هذا المنطلق جاء إعجابي وتقديري لشخصية عبد العزيز ، الذي وفقه الله لتوحيد بلادنا على الشكل السالف الذكر ، وبات الأمر طبيعياً أن أُعبِّر عن هذا الإعجاب ، وذلك التقدير بالتفكير في تأليف هذا السفر الذي بين يدي القاريء . ولا بد لي من أن أُواجه :

السؤال الأول : متى بدأ عندي الإعجاب والتقدير ؟؟

والسؤال الثاني : متى اختمرت في ذهني فكرة التأليف ؟

والجواب على السؤال الأول هو : بدأ تقديري وإجلالي وإعجابي بعبد العزيز منذ أن هَزَمَنَا العدوانُ الصهيوني وأنصاره المستعمرون في عام ١٩٤٨ – وعندئذ أدركت أن السرَّ في هزيمتنا وفي وجود الخطر الصهيوني الذي يهدد أبناءنا وأحفادنا ، يعود إلى تفرقتنا وافتقارنا إلى قائد عبقريٍّ تتوفر فيه الشيم والقيم والأخلاق الموجودة في شخصية عبد العزيز .

أما الجواب على السؤال الثاني: فإنني أستطيع أن أُحدد الزمان بمناسبة جاءت في ١٦–٢–١٣٨٢ هـ(١٨–٧–١٩٦٢م) .

من الاعجاب إلى التفكير

بدأَ ذلك الإِعجاب والتقدير في الفترة التي بلغت فيها التفرقة العربية أَوجها بين حاكم وآخر من حكام العرب ، وهي الفترة التي حصدت اسرائيل ثمارها في حرب ١٩٦٧م ، وأَصدق ما تسمى به تلك الليالي الحالكة السواد (أَزمة الضمير) . في تلك الفترة اختمرت في ذهني فكرة تأليف الكتاب ، وكان أَول بذرة لتلك الفكرة مقالاً نشرته لي جريدة « الندوة » في ربيع الأَول ١٣٨٢ ه وهو الذي أُوافي القاريء بخلاصته وعنوانه الآتي :

حتى موحد الجزيرة يُنتَال منه

بقدر ما أَجدني شديد الحرص على استماع الإِذاعات ذات الأَخبار العالمية المفيدة ، بقدر ذلك أبتعد كل البعد عن الإِصغاء إلى استماع الاذاعات التي أَوقفت جهودها على القذف والتشهير بعِرض حاكم أَو زعيم ما ، على حساب الإِطراء والتملق والتزلف لحاكمها ...

وما يصح أَن يقال عن الاذاعات يقال عن الصحف

التي نهجت نفس الأُسلوب ، وليت نتائج هذا الصراع المرير موقوفاً ضرره على القادة فحسب ، ولكن المصيبة الكبرى ان كلا الجانبين يتصارعان ويتنافسان على حساب الإضرار بالأُمة العربية والأَجيال القادمة .

وفي صبيحة ١٦ صفر ١٣٨٢ (الموافق ١٨ يوليو ١٩٦٢) أَصغيت إلى المذياع وبمحض الصدفة سمعت مذيعاً من القاهرة يقول : (عميل الإنجليز الفاعل التارك) ، فلم أَستغرب ذلك لأَن كلمة عميل الاستعمار والرجعية والانتهازي والنفعي من جانب ويقابلها من الجانب المناويء الآخر كلمات مماثلة ، كملحد وكافر وشيوعي الخ [١] ... كل من هذا وذاك أَصبح شيئاً مألوفاً بل ممقوتاً ، ولم يعد له أَيُّ تأثير ولا سيما بعد أَن تجاوز الحدَّ من الطعن بالمباديء السياسية والعقائد الروحية إلى الطعن بالمحارم والأَعراض ، وبالرغم مما في هذا الأُسلوب من الانحطاط ، فإِنه لم يؤلمني أَكثر مما أَزعجني عندما سمعت

---

(١) عندما تولى الملك فيصل الأمر أوقف الاعلام السعودي عن مجاراة أولئك المهرجين في أسلوبهم الأرعن ...

هذا المذياع يتصدى بالهجوم والحط من قدر شخص لا أقول : إنه لقي ربه وترك دار الفناء للمتخاصمين والمتنافسين عليها ، ولا يصح على الميت مهما كان أمره إلا الترحم عليه ، لا ! لا أقول هذا الذي آلمني فحسب ، بل الذي أزعجني أن الذي نِيل منه (موحد الجزيرة العربية) وجامع شتات أبنائها المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود ، الذي مهما شاء أن ينقده الناقدون ، أو يحصي هناته الحاسدون ، فإنه لا بُدَّ لهؤلاء وأولئك إلا أن يتراجعوا صاغرين أمام المعجزة التي حققها هذا البطل بتوحيده لعرب شبه الجزيرة ، تلك الفضيلة التي تمحو كُلَّ خطيئة وتغفر لصاحبها كل زلَّة وتبرر له كل وسيلة ، وتسمو على كل عمل من الأعمال الوطنية .

أجل ! إن وحدة شبه الجزيرة العربية التي تحققت على يد عبد العزيز لا يقدر أهميتها إلا من يعرف تاريخ هذه الجزيرة كيف كانت مُجَزَّأَة وكيف سيكون مآل أهلها فيما لو لم يوفق الله ذلك العظيم لتوحيدها ، أما من يعرف أن أهل هذه البلاد كانوا يتمتعون بكل معنى من معاني

الأخلاق العربية والإسلامية سوى شيء واحد وهو الاتحاد ، وكانوا يأنفون من كل شيء يمس الشرف والكرامة والدين إلا التفرقة ، وكانوا يتورعون عن ارتكاب كل ما حرمه الله إلا نهب القوي منهم لأموال الضعيف وسفك دمه ، وكان الفرد منهم يؤمن بالوطنية إلى حد التضحية بنفسه ، ولكنها وطنية محدودة على بلدته إن كان حضرياً ، ومقصورة على عشيرته إن كان بدوياً ، ومحصورة على قريته إن كان قروياً .

ثم قلت في آخر المقال : إذا كان هناك من يعتقد أن الأخطاء لا يصح أن تُتخذ مبرراً للقضاء على المباديء (الوحدوية) ، أقول بعبارة أصرح وأوضح : إذا كان ذوو العواطف (الوحدوية) يحاولون أن يتجاوزوا عن كل ما ينسب من الأخطاء التي ارتكبها عبد الناصر سواء ما اعترف بها عبد الناصر نفسه أو ما أحصاها عليه خصومه الناقدون ، بحجة ان عبد الناصر كان هدفه السعي لوحدة العرب ، وأنه يجب التجاوز عن عثراته من أجل أهدافه وأمانيه (الوحدوية) التي حتى الآن ما استطاع أن يحقق شيئاً منها .

أجل : ما دام ان هناك من يؤمن بذلك ، أفلا يصح والحالة هذه من عبد الناصر الذي يدافع (الوحدويون) عن خطيئاته ، بل أفلا يجب عليه أن تحترم إذاعته زعيماً عربياً كالمرحوم عبد العزيز آل سعود ، الذي حقق وحدة الجزيرة قولاً وفعلاً ؟! وأن يتجاوز الحاقدون عن كل ما يزعمون من الأسباب التي التمسها عبد العزيز في سبيل تحقيق وحدة البلاد ؟!! .

إنني أعتقد جازماً بأنه يجب على كل عربي يعرف تاريخ جزيرتنا العربية جيداً ويؤمن بالوحدة العربية الشاملة أن ينظر للمغفور له الملك عبد العزيز بعين ملؤها التقدير والإعجاب ، لا لأنه اجتهد وحاول أن يوفق بين قطر وآخر من أمة العرب ولم يحالفه التوفيق ، بل لأنه سعى وناضل وكافح ووفق بأن وحّد بين إمارات متباينة وحكام متخاصمين ، وقبائل متعادية لا تعرف معنى من معاني الوحدة من قرون عديدة ، وبين مقاطعات ووحدات شاسعة ، تحت نفوذ كل حاكم بينه وبين الحاكم الآخر من العداوة والشحناء كما بين الإنسان والشيطان .

ومصدر إعجابي وتقديري لهذا العبقري هو أنه وحّد هذه الجزيرة في الحين الذي لم يكن هناك من يعرف معنى الوحدة العربية كما هو معروف الآن .

الكلمة الأخيرة :

اذا كان لكل أُمة ولكل أُسرة ، ولكل فرد ، فضائل وحسنات وزلات وكبوات ، فانــني في كتابتي لمؤلفــي « الاجزاء الأَربعة من شيم العرب » اختصرت بكتابتي ما للعرب من شيم وقيم ومثل ، بدون ان اكون ذلك المؤرخ الذي يكتب تاريخ هذه الأُمة بما لها أَو ما هو عليها ، وهكذا فانني في كتابتي لشيم الملك عبد العزيز أَسير على النهج نفسه الذي سلكته في مؤلفي « من شيم العرب » .

واذا كان هدفي بكتابتي لمؤلفي « من شيم العرب » أَن يأخذ الخلف قدوة يرثها السلف ، فإِن تسجيلي لشيم عبد العزيز لا أَقول أَن يأخذ ابناء عبد العزيز تراث والدهم من هذه الشيم فحسب ، فأَبناء عبد العزيز الكثير ممن عرفتهم وبصورة خاصة ممن لي بهم صلة وطيدة ، فكل من

هؤلاء أَجدهم على جانب كبير من وراثتهم لأَخلاق أَبيهم .

أَما الأَحفاد فإِنني لا أَعرف منهم إلا القليل ، أَو ما هو أَقل من القليل ـ كما أَن معرفتي بهذا العدد القليل من الأَحفاد لم تكن راسخة الجذور ، ولا هي بعيدة العهد والمدى بحكم فارق السن بيني وبينهم .

وإِنما الأَمر الذي يجب على الآباء ملاحظته والأَخذ به بكل جد واجتهاد هو توجيه وتوعية هؤلاء الأَحفاد بكل ما تعنيه هذه الكلمة .

والشيء الذي يجعلني أُعير هذا الأَمر انتباهي ، وذلك أَننا عندما ندرس تاريخ الأُمم بتدبر وعمق ، وأَعني بالأُمم التي قام حكمها بزعامة الأُسرة ـ لن نجد أُسرة بالتاريخ تقوض صرح بنيان حكمها الشامخ على يد الأَبناء ، وإِنما ينهدم ويتقوض على يد الأَحفاد أَو أَحفاد الأَحفاد أَو الذين يلونهم .

لماذا ؟؟ لأَن المؤسس الأَول وأَبناؤه الموطدون غالباً ما يكون مفهومهم متجانساً ، بينما الأَحفاد ـ أَو أَحفاد الأَحفاد ـ سيكون بينهم وبين أَبناء المؤسس الموطدين بوناً

شاسعاً ، وبينهم بين المؤسس الأَول أكثر بعداً وكلما ازداد بعد الأَحفاد تناسلاً عن المؤسس الأَول وعن أَبنائه الموطدين ازداد هؤلاء بطبيعة الحال بعداً تدريجياً عن مفهوم المؤسس وأَبنائه عن الادارة المحلية وعن مفهوم العقلية الشعبية التي عرفها المؤسس جيداً وورث الموطدون من أَبيهم تلك المعرفة .

أَما الأَحفاد أَو أَحفاد الأَحفاد ، فانهم بحكم نشأَتهم البعيدة عن نشأَة جيل المؤسس والموطدين ـ سوف يكونون معذورين ـ اذا تصور بعض منهم الصورة نفسها التي سمعت المرحوم الأَمير عبدالله المتعب الرشيد في إحدى المناسبات يتحدث حديثاً عن نفسه على ما كان يتصوره في خياله عندما كان أَميراً في حائل ، يقول عبدالله ـ وهو يبتسم ساخراً ـ كنت أَظن في قرارة نفسي أَننا نحن عائلة الرشيد نختلف بالأَفضلية عن جميع البشر ، ولم يخطر لي ببال اننا بشر لا نختلف عن سائر بني الانسان إلا بعد ان فقدنا أَمارتنا ، عندئذ عرفت ان هناك ظروفاً سنحت لجدي الأَول وسوَّدته ، وأَننا لولا هذه الظروف التي سنحت لجدنا

وأسعفه الحظ بها لكنا مثل غيرنا من سائر أَفراد الناس .

وطبعاً لا لوم على عبدالله المتعب لأَنه منذ أَبصرت عيناه الدنيا وهو محفوف بين الخدم والعبيد ، يحمل على الاكتاف طفلاً ويسمع أَن أَباه متعباً كان أَميراً وجده عبد العزيز أَميراً ، وجده الثاني متعب أَميراً ، وجده الثالث المؤسس عبدالله وإن لم يكن أَميراً من ولادته ومطلع شبابه ، ولكنه صار أَميراً منذ نضوجه بعد مشقة ونضال . وجيء بعبدالله المتعب إلى أَريكة الإمارة وهو يافع لا يتجاوز الثالثة عشرة سنة من العمر وقيل له يا أَمير ، وظن أَنه من طينة غير طينة البشر .

ولو أَردت أَن آتي بأَمثال مما سمعته وقرأته من نوع الكلام الذي سمعته من الأَمير ابن متعب لملأت الصفحات الوافرة وإنما اختصرت الموضوع ، وقديماً قالت الحكماء : الغاية من دراسة التاريخ أَخذ العبرة والعظة منه . فعسى أَن تؤخذ هذه الحكمة مأخذ التطبيق العملي لأَنها من ضمن العوامل التي حفزتني إلى تأليف هذا السفر ، والله أَسأله التوفيق . . .

كلمة شكر

أَشكر أُستاذنا الجليل الشيخ حمد الجاسر الذي تولى مساعدتي في طبع الكتاب في مطابع بيروت ـ قبل الحرب الأَهلية ـ ثم جاءت الحرب وتعطل قسم من مواد الكتاب في مكتب الشيخ حمد ، وقسم في المطبعة ، فذهب شيخنا الشجاع مغامراً بحياته تحت وابل من القذائف ، وجاء بمواد الكتاب ، كما أَشكره أَيضاً على جهوده في تحقيقه وتصحيحه بعض الجمل من الناحية اللغوية في الكتاب ، وإن كان تصحيحه أَحياناً يتعدى تغيير الجمل من الناحية اللغوية ، وهذا لا يأتي لكونه يبدلها من حسن إلى أَحسن فحسب ، بل وبحافزٍ من رغبته وهوايته وحبه في إصدار الأَوامر ، وذلك خلقه الذي شب وشاب عليه ، منذ أَن

كان معلماً يصدر أَوامره على تلاميذه ، ثم عين قاضياً يصدر أَحكامه على من يأْتي إليه من المواطنين شاكياً أَو مشكياً عليه .

وعندما اعاد الشيخ حمد مواد الكتاب إليَّ ، وجدت بعض العناوين قد غيرت ، فأَعدتها إلى ما كانت عليه .

وذلك بسبب أَنني بقدر ما كان الشيخ حمد يهوى تنفيذ أَوامره هواية العاشق الولهان بقدر ما أَجدني أنفر نفوراً شديداً من فرض الأَوامر . ولا أَدري إن كانت العناوين التي أَراد الشيخ حمد أَن يبدلها هي الأَحسن ، أَم العناوين التي أَعدتها إلى أَصولها هي الأَحسن !!..

وإذا كنت أَشكر أُستاذنا الشيخ حمد على اجتهاده في كلتا الحالتين ، فإنني أَشكره على مغامرته بنفسه في سحبه لمواد الكتاب ، مضحياً بمكتبته النفيسة ، ومعرضاً حياته لأَي قذيفة طائشة .

الفهارس العامّة

١ – فهرس الأعلام

٢ – فهرس القبائل (والعشائر)

٣ – فهرس الأماكن (ويشمل البلدان والدول والمعارك)

٤ – فهرس الصور والرسائل المصورة

٥ – فهرس الموضوعات

فهرس الاعلام

أ

إبراهيم بن جُميعة : (١) ١٧٠ (٢) ٨٢
إبراهيم بن حجيلان : (٢) ٦٣
إبراهيم بن خميس : (١) ٧٤ (٢) ٣١
إبراهيم بن السالم السبهان : (١) ١١٩ ، ١٧١ ، ٣٠٤ ، ٣١٠ (٢) ٤٠
إبراهيم السويل : (٣) ٣٣٠
إبراهيم السليمان العقيل : (٣) ١٠٣
إبراهيم عبد القادر المازني : (١) ٣٤٤
إبراهيم باشا بن محمد علي : (٢) ٩
أبو جعفر المنصور : (٢) ١١٩ ، ١٢١ ، ١٦٠
أبو الخير الميداني : (٣) ٣٦٢
أبو الطيب المتنبي : (٢) ٢٠ ، ٤٥ ، ١٩٠ ، ٢٠٩ (٣) ٩٢ ، ٢١٥
أبو نواس : (٣) ٣٩٥
أحمد الجابر الصباح : (١) ٢٦٨ (٢) ٣٠
أحمد التيجاني : (٣) ٢٩٤
أحمد بن حنبل : (١) ١٢٦ (٣) ٢٦٠
أحمد سيف الإسلام : (٢) ٢٢ ، ٢٥ ، ٢٦ (٣) ٣٩٢
أحمد طوسون بن محمد علي : (٢) ٩
أحمد بن عسكر : (٢) ١٦٢
أحمد بن عقيل الياور : (٣) ٢٢
أحمد كفتارو : (٣) ٣٦١
أحمد محمد جمال : (٣) ٢٧٤
أديب الشيشكلي : (٣) ٣٦٣
أديب غالب : (٣) ٣٦٣
إرنست بيغن : (٣) ٤٢١
أنطوان سعادة : (٣) ٣٧
إدريس الشيباني : (١) ٣١٢
أسعد داغر : (١) ١١
أمين الحسيني : (٣) ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩
أمين رويحة : (١) ١٠٥ ، (٢) ٢٧٣

إيليا أبو ماضي : (٢) ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣

ب

البحتري : (١) ٢٣٢
بتال السهلي : (٢) ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤
بدوي الجبل : (٣) ٣٦٨
بشارة الخوري : (٣) ٣٩٢
بشير الحواصلي : (١) ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠
بندر التمياط : (٢) ٤٩

ت

تركي بن عبد الله آل سعود : (١) ٧٦ (٢) ٩ ، ٣٩
تركي المرزوق : (١) ٣١٢
تركي بن مشعان : (٢) ٨٥ ، ٨٧
توفيق (أبو إبراهيم) : (٣) ٤٣٣

ج

جمال الحسيني : (٣) ٣٢٨
جمال سالم : (٢) ٥١
جمال عبد الناصر : (٢) ١٢ ، ١٥ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، (٣) ٤٥٠ ، ٤٥١
جميل الجاني : (٣) ٣٠
جميل مردم : (١) ٢٥٨ ، ٢٦٧ (٣)٣٥٣ ، ٣٦٠ ، ٣٩١

ح

حاتم الطائي : (٣) ٢٢٨
حافظ إبراهيم : (١) ٢٥٦
الحبيب بورقيبة : (٢) ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩
ابن حثلين : (١) ٢٢٩
حسان بن ثابت : (١) ٥٢ ، (٣) ٩٤
الحسن الإدريسي : (٢) ١٠٢ ، ١٠٣ (٣) ١٤٢
حسن بن مهنا : (٣) ١٨٢
حسني الزعيم : (١) ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، (٣) ٣٦٧ ، ٣٩١
حسين بن طلال (الملك) : (٣) ٢٨٥
حسين بن عساف : (٢) ١٦٢
حسين بن علي (الملك) : (١) ٩١ ، ١٦١ ، ١٧٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ٢٠٤ ، ٢٦٦ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، (٢) ٣٤ ، ٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، (٣) ١٦٨ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ .
حسين قاضي : (٢) ٧٥
حمد الجاسر : (٢) ٣٢ ، (٣) ٣٣٠ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧

حمد الحقيل : (٢) ١٢٩ ، (٣) ١٠٤
١٠٥
حمزة بن عبد المطلب : (٣) ٢٩٧
حمزة غوث : (٣) ٣٢
حمد الشويعر : (١) ١٧١ ، ١٧٢
(٢) ٤٠
حمد أبو عُرْف : (١) ٢٩١ ، ٢٩٢
حمد بن فارس : (٢) ٢٦٧ ، ٢٦٨
حمود الزيد : (١) ١٧٢
حميدان الشويعر : (٢) ٢٦٧
حميد الغاشم : (٣) ٧٦
حنيف : (٣) ٥٧

خ

خالد الجابر : (٣) ٣٩٣ ، ٣٩٤
خالد الحكيم : (١) ٩٤ ، (٢) ٢٧٢
خالد السديري : (٢) ١١٠ ، ١١٢ ،
١١٣
خالد بن عبد العزيز (الملك) :
(١) ٢١٦ ، (٢) ٩ ، ١٤٦ ،
٣١٣ ، (٣) ٤٨ ، ٧٩ ، ٤٣٧ ،
٤٣٨ ، ٤٤٠
خالد القرقني : (٢) ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤
(٣) ٣٢٦
خالد العلي : (٣) ٢٣٠
خالد بن الوليد : (١) ١٣٩
خدام الفائز : (١) ٢٨٩ ، ٢٩٠ ،
٢٩١ ، ٢٩٩ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥
خدعان بن شبيب : (٢) ١٦٢
خديجة بنت خويلد : (٣) ٢٩٦
خميس بن منيخر : (٢) ٧٩ ، ٨٠ ،
٨١ ، ٨٢ ، ٨٣
خير الدين الزركلي : (١) ٢٥٨ ،
٢٦٧ ، ٣٤٤
(٢) ٨٤ ، ٨٥ ، ١٢٦ ، ٢١٢ ،
٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٤٦ ، ٢٥٩ ،
(٣) ٨٦ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٩٦ ،
٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٥ ،
٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٣١٦ ، ٣٧٣ ،
٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦

د

دحيم المهوس : (١) ١١٣ ، ١١٤
دهماء الجربا : (٣) ٣٥٨

ذ

ذعار النافع : (٣) ١٨٩

ر

راشد بن علي العامري : (٢) ٧٨
راغب العثماني : (٣) ٣٧
راشد بن غنيم : (٢) ١١٣ ، ١١٤
راكان بن مرشد : (٣) ٣٥٨ ، ٣٥٩ ،
٣٦١ ، ٣٧١
رجا بن موشير : (١) ٢٧٤

ابن رفادة : (٢) ٢٩٥ ، ٢٩٦
رشاد فرعون : (٢) ٢١٣ ، ٢١٤ ، (٣) ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢
رشدان السعيد : (١) ٢٥٠ ، ٢٥١
رشدي ملحس : (٣) ٣٢٨
رشيد سليم الخوري : (٢) ٢٨٩
رشيد عالي الكيلاني : (٢) ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٧٣
(٣) ٢١ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٥
رشيد العبيلان : (٣) ١١٨
رشيد بن ليلى : (١) ١٢٦ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٥
رياض الخطيب : (١) ١٨٠
رياض الصلح : (٣) ٣٥٣ ، ٣٩٢

ز

زامل بن سليم : (٢) ١٨٢
زياد بن أبيه : (١) ١٥٩
زيد الأطرش : (٢) ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩
الزهاوي : (١) ٢٠

س

سالم السبهان : (١) ٢٠٦ (٢) ١٤٨ ، ٢٦٥
سرور العبد العزيز : (١) ٩٨ ، ٩٩
سعد البواردي : (٣) ٣٣٥
سعد بن عبد الرحمن آل سعود : (٢) : ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠
سعد بن عيسى : (١) ٣١٢
السعداوي : (٢) ٢٧٣
سعدون بن منصور بن سعدون : (١) ٧٩ ، ٢٢٩ (٢) ١٣٤
سعيد التوم : (١) ١٥١
سعود الحمود بن رشيد : (١) ١٠١ ، ١١٥ ، ١٣١ ، ١٤٥ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٦٣ ، ٢٥٠ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧
(٢) ١٧٦ ، ١٨١ ، ٢٣٣
(٣) ١٦٧ ، ٢٦٢
سعود بن السعود الرشيد : (١) ١٠٨
مسعود الغانم بن جمران : (٢) ٧٦ ، ٧٨ ، (٣) ٤٣٨ ، ٤٤٠
سعود بن عبد العزيز (الملك) : (١) ١٧٥ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ٢٣٩ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠
(٢) ٥١ ، ٥٢ ، ٣١٣
(٣) ٦١ ، ٩١ ، ٣٢٨ ، ٤٢٧ ،

٤٢٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧
سعود بن فيصل : (٢) ٢٦٥
سعود بن عبد العزيز (سعود الكبير)
(١) ٢٥٤
سعود بن هذلول : (١) ٨٥ ، ٨٨ ، ١٣٨
(٢) ٢٢ ، ١٢٩ ، ١٤٩
سعيد جندول : (٣) ٣٣٢
سعيد بن العاص : (١) ٣٣٧ ، ٣٣٨
سعيد كردي : (٣) ٤٢٣
سفوان : (٢) ٢٣٥ ، ٢٣٦
سلامة العودي : (١) ٢٩٧
سلطان الأطرش : (٢) ٢٧٢ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ .
سلطان بن بجاد بن حميد : (٣) ٢٠٠
سلطان الطلال الجبر : (١) ١٢
(٢) ٤٣
سلطان الحمود آل رشيد : (٢) ١٨٦
سلطان بن حُميد : (١) ٣١٩ ، ٣٢١
(٣) ١٤٨ ، ٢٠٠
سلطان الدّويش : (١) ٧٩ ، ٢٢٩
سلمان بن رشدان : (٣) ١٦٤
سلمان بن عبد العزيز : (١) ٢٢٩ ،
(٣) ٦٧ ، ٢٢٩
سلمان بن محمد آل سعود : (١) ١٢ ، ٣٤ ، (٢) ٤٣ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
١٨٧ (٣) ٣٩
سليم الحسيني : (٣) ٤٣٣
سويلم الشعلان : (٢) ١٦٣
سليمان الشنيفي : (٢) ٥٠
سيد قطب : (٢) ٥٤

ش

شفيق الصبان : (١) ٨٠
شكري القوتلي : (١) ٦٧ (٢) ١٩٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، (٣) ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤
شكيب أرسلان (٢) : ٢٩٧
شلهوب : (٣) ٧٥ ، ١٠٥ ، ١٠٦
شليويح العتيبي : (٢) ٨٥
الشوكاني : (٢) ٢٣

ص

صالح أفندي : (١) ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣، ٩٦
صالح الحُصَيْن : (٣) ٣٣٦
صالح بن رخيص : (١) ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٥٨
صالح السالم : (١) ١١٩ (٣) ٣٣٥
صالح السكيني : (١) ١٣٩ ، ١٤٠
صالح القريشي : (١) ١٠٠ ، ١٠١ ،

١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤
صالح بن يحيى : (٢) ١٦٣
صبري العسلي : (٢) ٢٧٢
صحن بن طعيسان بن زويمل : (١) ١٥١
صَرَّاع بن مغاس : (١) ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥
صلاح الدين الصباغ : (١) ١٠٥
الصنعاني : (٢) ٢٣

ض

ضاري بن طوالة : (١) ١٥٤ (٢) ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢

ط

طارق بن زياد : (٢) ١٣٩
طاهر الدباغ : (١) ١٦١ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، (٣) ٣١٠
طلال الجبر : (١) ٢٥٢
طلال بن رشيد : (٣) ١٨٥ ، ١٨٦
طلال بن عبد الله (الملك) : (٣) ٢١٠ ، ٢٢١ .

ع

عادل أرسلان : (٢) ٢٧٨
عادل العظم : (٢) ٢٧٨
عادل العظمة : (٢) ٢٨٦
عارف العارف : (٣) ٣٤٤
عامر المشورب : (١) ٢٧٤
عجلان : (١) ٨٢ (٢) ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٦١ ، ١٦٣
عباس بن علي : (١) ١٤٠
عبد الله البرقاوي : (٢) ٢٢
عبد الله بن بليهد : (١) ١١٣
عبد الله التل : (٣) ٣٩٠
عبد الله بن جلوي : (٢) ١٧٤
عبد الله الخليفي : (١) ١١٧ ، ١١٨
عبد الله الخيال : (٢) ٣٢ ، ٢١٤ ، ٢١٥ (٣) ٣٣٠
عبد الله بن خميس : (٣) ٢٥٩ ، ٣٣٢
عبد الله بن الحسين (الملك) : (١) ١٧٨ (٢) ١٠١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، (٣) ٢٨٥ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٤٢٤
عبد الله الدملوجي : (٢) ٢١٥ ، ٢٧٣
عبد الله بن الزبير : (١) ٢٣٦
عبد الله السلمان : (٣) ٣٩٣ ، ٣٩٤
عبد الله بن سعود : (٢) ٩ (٣) ٣٠٠
عبد الله آل سليمان : (٣) ٧٥
عبد الله الشلاش : (٣) ٣٣٢

عبد الله الشيخ عطية : (٢) ٢٨٧ ،
٢٨٨ ، ٢٩٥ ، ٢٩٨
عبد الله الطريفي : (٣) ٣٣٠
عبد الله الطلال : (١) ٢٨٨
عبد الله بن عباس : (٣) ٢٩٧
عبد الله بن عبد اللطيف : (١) ١١٨
(٢) ٢٦٦ ، ٢٦٨ (٣) ٣٣٥
عبد الله بن علي بن رشيد : (١) ٦٤ ،
٦٥ ، ٦٦ (٣) ١٦٥ ، ١٨٦
عبد الله الفضل : (١) ١٦٤
عبد الله الفيصل : (١) ٣٩ (٢) ٨٤ ،
٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٠ (٣)
١٨١
عبد الله المبارك : (٣) ٣٣٦
عبد الله بن متعب بن رشيد : (١)
١٦٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ،
٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ،
٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٦٤ ، ٢٨٨ ،
٢٩٠ ، ٢٩٩ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ،
٣١٠ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٩
(٢) ١١٦ ، ١٨٢
(٣) ٥٢ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ،
٦٠ ، ٦١ ، ٦٢
عبد الله المسعري : (٢) ١٥٣ ، ٢٤٣
عبد الله بن مرشد : (٢) ١٦٠
عبد الله بن مسعود : (١) ١٨٤
عبد الله بن مسلم : (١) ١١٨
عبد الله الملحوق : (٣) ٣٣٠
عبد الله بن نامي : (٣) ٤٢٣
عبد الله بن الوزير : (٢) ٢٦ ، ٢٨
عبد الحميد الخطيب : (١) ١٠٣ ،
١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ،
١٨٧ ، ١٩١ ، ١٩٢
(٢) ١٠١ (٣) ٧٥ ، ١٢٠ ، ٢٨٩ ،
٣١٠
عبد الحميد التركي (السلطان) : (١)
١٢٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣
عبد الرحمن الحميدي : (٣) ٢٣٣ ،
٢٣٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٥٥ ،
٣٧١
عبد الرحمن الحوطي : (١) ١٦١
عبد الرحمن بن ربيعان : (٢) ٢٥٠
عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ :
(٢) ١٦١
عبد الرحمن عزام : (٣) ٣٧٤ ،
٣٧٦
عبد الرحمن الشعلان : (٣) ٣٣٢
عبد الرحمن شهبندر : (١) ٢٦٧
عبد الرحمن ضبعان : (١) ٨٤
عبد الرحمن الطبيشي : (٢) ٢٢١
(٣) ٧٥
عبد الرحمن بن عمران : (٣) ٣٥٥
عبد الرحمن الفيصل آل سعود : (١)
٤٤ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٧٩ ،
٨٠ ، ٢٢٩ ، ٣١٥
(٢) ١٦٢ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦

(٣) ٩٤ ، ٩٥
عبد الرحيم القناوي : (٢) ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨
عبد العزيز الأحمد السديري : (١) ٧٢ ، ٧٤ ، ٨٠ (٢) ١٨٨ ، ٢٢٢
(٣) ٣٢٦ ، ٣٢٨
عبد العزيز بن تركي : (٢) ٢٥٠
عبد العزيز بن المتعب بن رشيد : (١) ٥٨ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٢ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٧٠ ، ١٧٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٦
(٢) ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٤٦ ، ١٤٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٨٠ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ٢٠٩
(٣) ٧١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ٣٣٥ ، ٤٥٥
عبد العزيز بن زيد : (١) ٦٧ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ،
(٢) ١٩٣
عبد العزيز العريفي : (١) ١١٧
عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ : (٢) ٢٣١ ، ٢٣٢
عبد العزيز القحيمي : (١) ١٧٥
عبد العزيز المرشدي : (١) ١١٩
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود (الملك (١) ح ، ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ،

١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ،
١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ،
١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ،
١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ،
١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ،
١٨٢ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ،
١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ،
٢١٥ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ،
٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،
٢٢٦ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
٢٣٣ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٩ ،
٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،
٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،
٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ،
٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ،
٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٣ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ،
٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ،
٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ،
٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ،
٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ،
٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ،
٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ،
٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ،
٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ،
٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٣٠ ،
٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ،
٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٩ ، ٣٤١ ،
٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤

(٢) ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٨ ،
٩ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ،
١٨ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ،
٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
٣١ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ،
٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٣ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ،
٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ،
٦٠ ، ٦١ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٦٧ ،
٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٩ ، ٨٠ ،
٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٨ ،
٩٢ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٠٠ ،
١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٥ ،
١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٤ ، ١١٥ ،
١١٦ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ،
١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ،
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،
١٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٤ ،
١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ،

١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ،
١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ،
١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨١ ،
١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ،
١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ ،
١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ،
٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ،
٢٠٦ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،
٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،
٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ،
٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ،
٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ،
٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ ،
٢٤٦ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ،
٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢ ،
٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٨ ،
٢٦٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،
٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠ ،
٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ،
٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،
٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ ،
٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣

(٣) ٧ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ،
١٦ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ،
٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ،
٣١ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٣٩ ،
٤١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ،
٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٥ ،
٥٦ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦٢ ، ٦٥ ،
٦٨ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ،
٧٤ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٠ ،
٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ،
٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٣ ، ٩٤ ،
٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ،
١٠٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ،
١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ،
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٤ ،
١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ،
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ،
١٦٧ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ،
١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ،
٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ،
٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،
٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ،
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ،
٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ،
٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ،
٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ،

٢٥١ ، ٢٥٦ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣١ ، ٣٣٤ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٩ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ١٠٩ ، ١٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٩٣٧ ، ٩٤١ ، ٩٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٢

عبد القادر عوده :
(٢) ٥١ ، ٥٤

عبد القدوس الأنصاري : (٢) ٨٤
(٣) ٣١٦

عبد الكريم الخطابي : (٢) ٢٧٧

عبد الكريم بن رمان : (١) ٢٩٥ ، ٢٩٦

عبد الكريم العودي : (١) ٢٩٧

عبد المحسن الرشيد : (٣) ٢١٠ ، ٢١١

عبد المحسن بن فهد المارك : (٣) ١٥٩

عبد الملك بن عبد الله بن عبداللطيف آل الشيخ : (٢) ١٦٢

عبد الملك بن مروان : (١) ٤٢

عبد الرؤوف الصبان : (١) ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ١٨٥
(٣) ٣١٠

عبد الوهاب الإدريسي : (٢) ١٠٣ ، ١٠٤

عبد الوهاب عزام : (٣) ٣٠٦

عبيد البواردي : (٢) ١٦٢

عبيد الله علي بن رشيد : (١) ٦٥
(٣) ١٦٥ ، ٢٢٩

عثمان بن عفان : (٢) ٢٦

عزيز علي المصري : (١) ٣٤٣

عقاب بن عجل : (١) ١٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢
(٣) ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢٠

عقل بن جراد : (١) ٢٥٢

عقيل الياور : (٣) ١٤ ، ١٦ ، ١٨ ،

٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٣٠ ، ٣٧ ،
٤١
علي بن أبي طالب : (١) ١٥٩ ، ١٦٠
(٢) ٢٦
علي العبد العزيز العريفي : (١) ١١٤
علي بن الجهم (٢) ٨
علي حزام الحاضري : (٢) ٢٢
علي بن الحسين : (١) ١٠٣ ، ١٧٨ ،
٢٦٧
(٣) ٧٤
علي الحمود السبهان : (١) ١٢٣ ،
١٢٤ ، ٣٣٤ ، (٢) ٦٢
علي الذيب : (٣) ٢٨٣
علي الصغير : (٣) ٣٤٤
علي بن رشيد : (١) ١٣٢ (٣) ١٦٤
علي الزلقيني : (٢) ٣٠٤
علي المجراد : (١) ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ،
٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨
علي بن محمد علي زينل : (٢) ١٥
علي بن المقرب الأحسائي : (٢) ١٦٤
عليان الزهيري : (١) ٩٣
عماش بن عنيزان : (١) ١٥١
عمر بن الخطاب : (١) ٢٥٦ ، (٢)
٢١٧ ، (٣) ١٦٢
عمر السقاف : (٣) ٩١
أبو عمر : (٣) ٤٣٣ ، ٤٣٤
عمرو بن العاص : (٢) ١١٣
عنترة العبسي : (١) ٢٣١
عوض البحراوي : (١) ٣٤٥
عون الرفيق : (٣) ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
٢٨٤ ، ٣٠٥
عوني عبد الهادي : (١) ٣٤٤

غ

غازي بن فيصل : (٢) ٣٠ ، ٣١
غنام الشريطي : (١) ١٥١

ف

الملك فاروق : (٢) ١٢ ، ١٣ ، ١٥
(٣) ٣٨٥ ، ٣٩١
فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم
(٣) ٢٩٦
فالح (قُدَيْر عَيْش) : (١) ١٢٢ ،
١٢٣
فرج الملاح : (٣) ٢٦٦
فرحان بن مشهور بن شعلان : (٣)
٢٠١
فيصل الأول (ملك العراق) :
(١) ١٧٣ ، ١٧٤ ، ٢٦٧
(٢) ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٢
فيصل الحمود الرشيد : (١) ١٣٠ ،
١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٦١
(٢) ٢١٦ ، ٢١٧
فيصل الدويش : (١) ١٥٧ ، ١٥٨ ،

٢٢٣ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، (٢)
٩٨ ، ٢٥٧
(٣) ١٤٨ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ،
١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ،
٢٠٢ ، ٢٠٥ ، ٣٢٥
فيصل الرشيد : (٣) ٢٣٧ ، ٢٤٠ ،
٢٤٢
فيصل بن سعد بن عبد الرحمن آل
سعود : (١) ٢٤٣ ، (٢) ٢٥٧
فيصل بن سعود : (٢) ١٢ ، ١٣
فيصل الطلال : (١) ٢٥٢
فيصل بن عبد العزيز (الملك) :
(١) ح ، ١٨١ ، ٢٤٣ ، ٣١٢ ،
(٢) ٤٧ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٧٠ ،
٧٢ ، ٧٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ،
١٠٤ ، ١٥٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ،
٢٨٥ ، ٣١٣
(٣) ٣٦ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٦ ،
٤٧ ، ٥٢ ، ٧٩ ، ٣١٣ ، ٣٣٥
٣٩٧ ، ٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٢٧ ،
٤٤٨
فيصل المبارك : (١) ١٢٤
فؤاد الخطيب : (١) ١٠٣ ، ١٠٤ ،
١٦١ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ،
١٨٠
(٣) ٣١٩
فؤاد حمزة : (٢) ٢٧٣ ، ٢٩٧ ،
٢٩٨
(٣) ٢٤٧ ، ٢٤٨
فؤاد سراج الدين : (٣) ٣٨٥
فواز الشعلان : (٣) ٣٥٨ ، ٣٦١
فوزي القاوقجي : (٢) ٢٧٣ ، ٢٧٤ ،
٢٧٥ ، ٢٨٥
(٣) ٣٥٦
فلان قابل : (٣) ٢٨٢ ، ٢٨٣
فهد بن خالد بن عبد الرحمن آل سعود
(٢) ١٥٣
فهد بن خرينق : (١) ٢٥٢
فهد بن راشد : (٢) ١٦٢
فهد بن سعد : (١) ٢٣٦ (٢) ٣٢ ،
١٢١ ، ٢٦٠ (٣) ٣٣٣
فهد بن صلبيبيخ : (٣) ٢٥٦
فهد بن عبد العزيز (ولي العهد) :
(٢) ٣٠٤ ، ٣١٣
(٣) ٢١٩
فهد الفويه : (١) ١٤٠
فهد المارك : (١) ح ، ١٥ (٢) ١٥٦ ،
٢٧٦ ، ٢٨٣ ،
فهاد الوبير : (١) ١٥١
فهيد مولى عبد العزيز المتعب الرشيد :
(١) ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩

ق

قدري : (٣) ٣٧١
القرقني : (٢) ٢٧٣
القطامي : (٢) ١٦٤

ابن القيم : (٣) ٣٤٦

ك

كافور الإخشيدي : (١) ٦٤
كامل التونسي : (٢) ٢٠١

م

ماجد الحمود الرشيد : (١) ١٠٢
ماجد بن عجل : (١) ١٥٢
مارق : (٢) ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣
ابن ماضي : (٢) ١٦٢
مبارك السعيد : (٢) ٢٤١ ، ٢٤٢
مبارك الشمران : (١) ٨٦ ، ٨٧، ٨٨
مبارك الصباح : (١) ٤٦ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٥٨ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٢٢٨
(٢) ٦٠ ، ١٣٣ ، ١٨٥ ، ٢٣٥
(٣) ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥
مُجَرِّي العتيبي : (٢) ٩٢ ، ٩٤ ، ٩٥
مجول العيد بن زوميل : (١) ١٥١
محسن الفلت : (٣) ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦
محمد بن إبراهيم المفتي : (٣) ٣٢٨
محمد الأحمد السديري : (٢) ٢٣٠
(٣) ١٠٧ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ٣٧٣ ، ٤٢٤
محمد إقبال : (٣) ٣٠٦
محمد باحارث : (٣) ٣٧٠ ، ٣٦١
محمد بهجة البيطار : (٣) ٣٣١ ، ٣٣٦
محمد بن رشيد : (١) ٣٢ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠
(٢) ١٤٩ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨
(٣) ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٨ ، ١٨٩
محمد سرور الصبان : (١) ١٨٠ ، ١٨١
(٢) ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨
محمد سعيد عتيبي : (٢) ١٦
محمد صادق : (١) ١٧٨ ، ١٨٠
محمد الصحابي : (١) ١٥٥ (٢) ٣٩ ، ١٤٧ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٩
محمد بن صالح شلهوب : (٣) ٢١٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٣
محمد صلاح الدين : (٢) ٣٠٨

محمد بن عبد العزيز : (٣) ٧٤
محمد العبد الله بن رشيد : (١) ٤٠ ، ٤١ ، ٣٠٦
(٣) ١٦٧
محمد بن طلال بن رشيد : (١) ١٢٣ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٨٨ ، ٢٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٣٩ (٢) ٤٠
محمد الطويل : (١) ١٦١ ، ١٧٨ ، ١٧٩
محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم : (١) ١٨٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧
(٢) ٢١٨ ، ٢٧١ (٣) ١٨ ، ٦٣ ، ١٣٣ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٧ ، ٢٤٥ ، ٢٩٩
محمد بن عبد الله بن عثمين : (٣) ٢٦١
محمد بن عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ : (٢) ١٦١
محمد بن عُبيكان : (٢) ١٥٣ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨
محمد بن عبد الرحمن الفيصل : (١) ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، (٢) ٣٤ ، ٣٦ ، (٣) ٢٧٣
محمد بن عبد العزيز بن عبد اللطيف ابن عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب : (٢) ٢٤
محمد عبد الوهاب : (١) ١٢٦ (٢) ٢٣ (٣) ١٣٦ ، ١٣٧ ، ٣٠٠
محمد علي باشا : (٢) ٩٠
محمد علي زينل : (٣) ٢٧٣
محمد علي الشواف : (٢) ٢٧٢ ، ٢٧٨
محمد العودي : (١) ٢٩٧
محمد العوني : (١) ١٣٧ ، ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٧٤ ، ٣٠٧ ، ٣٣١ (٣) ١٨٩ ، ٢٦١
محمد الفاسي : (١) ١٩٢
محمد الفرم : (٢) ١٥٣
محمد بن فضيلة : (٢) ١٥٣
محمد بن فيصل آل سعود : (٢) ٢٦٦
محمد بن مانع : (١) ١١٨
محمد المصمودي : (٢) ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠
محمد ناصر : (٢) ٢١
محمد النجار : (٣) ٤٣٨
محمد نجيب : (٣) ٣٨٣ ، ٣٨٥
محمد نصيف : (٣) ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
محمد بن نفيسة : (١) ١١٥
محمد بن هندي : (٢) ٢١٠ ، ٢٥٠ (٣) ٥٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢

محمد بن هندي بن حميد : (٢) ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥
محمود سامي البارودي : (٢)٩٦ (٣) ٦٩
محمود شيت خطاب : (٣) ٢٥
محمود عباس (أبو مازن) (٣) ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠
محمود فهمي النقراشي : (٣) ٣٧٢ ، ٣٩١
مروان بن الحكم : (١) ٣٣٧ ، ٣٣٨
مشاري بن مصيص : (٣) ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠
مشعل بن دهيمان : (٢) ١٦١
مِشلّ التمياط : (٢) ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، (٣) ٣٠
مصطفى كمال : (١) ١٦٣
مصطفى النحاس : (٣) ٣٨٥
مطلق بن الجبعاء : (٢) ٩٤
معاوية بن أبي سفيان : (١) ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩
معروف الرصافي : (١) ١٧٣
معضد بن خرصان : (٢) ٦٩ ، ٧٠
معن بن زائدة : (١) ٦٠
المغيرة بن شعبة : (١) ١٤٤ ، ١٥٩
مقحم بن مهيد : (٣) ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٧١
مكي الكتاني : (٣) ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١
ملبس بن جبرين : (١) ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦١
ممدوح الميداني : (٣) ٣٠
ابن منيخر : (١) ٢٢٩
منيع التركي المرزوق : (٣) ٣٩٣، ٣٩٤
منير الجربا : (٣) ٣٥٨ ، ٣٥٩، ٣٧١

ن

ناجع الصهليلي : (٢) ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٢، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥
ناجي السويدي : (٢) ٢٥٧ ، ٢٦٢
ناصر بن حاضر : (٢) ٢٤٣
نايف بن حميد : (٣) ٦٠
نايف بن عبد العزيز آل سعود : (١) ٢٤٠ ، ٢٤١ (٢) ٢٣١ ، ٢٣٤، (٣) ٦٧
نايف بن محمود بن هندي : (٣) ٥٩
نبيه العظم : (٢) ٢٧٢ ، ٢٧٨
ندا بن نُهَيْر : (١) ١٤١ ١٤٢
نواف بن شعلان : (١) ٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ (٢) ١٨١ (٣) ١٦٦

نواف بن كرخ : (٣) ٣٥٩
نوري السعيد : (١) ١٠٥ (٢) ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ (٣) ٣٩٢
نهار بن مهنا بن رشيد : (١) ٢٥٢

ه

هاري ترومان : (٣) ٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤١٢ ، ٤١٩
هبّاس : (١) ١٦١ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦
ابن هبيرة : (١) ١٢١ ، ١٦٠
الهرمزان : (١) ٢٥٦
هزاع بن بدر الدويش : (٣) ١٨٩
هزاع بن شقير : (١) ١٥٤ ، ١٥٥
هشاش الكلب : (٣) ٣٢١

ي

ياسر عرفات : (٣) ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤٠
يحيى حميد الدين : (٢) ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦
يحيى بن حزام : (٢) ٢٥ ، ٢٨
يزيد بن معاوية : (١) ٣٣٧
يسار البيطار : (٣) ٣٣١
يوسف الهاجري : (٣) ٣٣٠
يوسف ياسين : (٢) ٢٦٢ ، ٢٧٣ ، ٣٠٩ ، ٣٧٤

فهرس القبائل (والعشائر)

— أ —

الأسلم (عشيرة) : (١) ١٤٤ ، ١٥٤
(٢) ١٧٥ ، ١٧٧

— ب —

برقا (عشيرة) : (٢) ١٦٩ ، ٢٥٠ (٣)
٥٩ ، ٧٠
البقوم : (٣) ١٧١

— ت —

التومات (عشيرة) : (٢) ٤٨

— ج —

الجحيش (عشيرة) : (٣) ١٦٤

— ح —

الحديدين : (٣) ٣٥٩
حرب : (٣) ١٧٨
حرب الحجاز : (٣) ١٧١
حرب نجد : (٣) ١٧١
الحَرَّث : (٣) ١٧١
آل حسين (عشيرة من شَمَّر) : (٣)
١٨٤ ، ١٨٥

— خ —

بنو خالد : (٣) ١٧١
الخرصة : (٣) ٣٥٨

— د —

الدَّوَاسر : (٣) ١٧١

— ر —

الرولة : (١) ٢٧٧ (٣) ٢٠١ ، ٣٥٨

— س —

السَّبعة : (٣) ٣٥٨

سُبَيْع : (٢) ١٦١
سُبَيْع الحرمة : (٣) ١٧١
سُبَيْع العارض : (٣) ١٧١
السهول : (٣) ١٧١

— ش —

آل شامر : (٣) ١٧١
شَمَّر : (١) ٣٢ ، ٦٦ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣٥ ، ٢٥١ ، ٣٠١ ، ٣٠٩
(٢) ٤٨ ، ١٣٤ ، ١٧٥
(٣) ١٣ ، ١٤ ، ١٦٤ ، ١٧١ ، ١٧٧ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٧ ، ٢٣٣ ، ٣٥٨
الشرارات : (٣) ١٧١

— ظ —

الظفير : (٢) ٢٣٥ (٣) ١٧١

— ع —

عبدة (عشيرة) : (١) ١٣٦
عُتَيْبَة : (٢) ١٦٩ ، ١٧٥ ، ٢٠٩ ، ٢٥٠
(٣) ٦٠ ، ٧٠ ، ٢٠١
عُتيبة الروقا : (٣) ١٧١
عُتيبة برقا : (٣) ١٧١
العُجْمَان : (١) ٧٩ ، ٢٢٩
(٢) ٧٨ ، ١٩٦ ، ١٦٩
آل عُجْمَان : (٣) ١٧١
عنزة غربي نجد (الرولة) : (٣) ١٧١
عنزة شمالي نجد (آل عمارات) : (٣) ١٧١
عنزة جنوبي نجد للغرب (ولِد سلمان) (٣) ١٧١
العوازم : (٣) ١٧١

— ف —

الفدعان : (٣) ٣٥٨
الفداغة (عشيرة) (٣) ٣٥٨

— ق —

قحطان : (١) ١٠٩ ، ١١٣ (٣) ١٧١

— م —

آل مرة : (٣) ١٧١
القمصة : (٣) ٣٥٨
مُطَيْن : (١) ٧٩ ، ١٥٤ (٣) ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ١٨٨ ، ٢٠١
مطير الحجاز : (٣) ١٧١ ، ١٧٨
مُطير نجد : (٣) ١٧١
المناصير : (٣) ١٧١
المنتفق : (٢) ١٣٤

— ه —

بنو هاجر : (٢) ٧٨ ، ٧٩ (٣) ١٧١
هُتَيم : (٣) ١٧١

فهرس الأماكن
(ويشمل البلدان والدول والمعارك)

ـ أ ـ

أبها : (٣) ١٩٨
الإحساء : (١) ١٧٩ ، ٣١٥ (٢) ١٩٩ (٣) ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٦٧ ، ١٦٨
الأردن : (٣) ١٧٩
الأستانة : (١) ١٩١ (٣) ٣٠٠
استامبول : (١) ١٦٣
اسكندرونة : (١) ٦٧
الأرطاوية : (١) ١٥٧ (٣) ١٩١ ، ٢٠٥
الأزرق : (٢) ٢٩٢
أفغانستان : (١) ١٧٩
إيران : (٣) ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩

ـ ب ـ

الباكستان : (١) ١٨٠
برزان : (١) ٨٦ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٢٤
بُريدة : (١) ٨٣ ، ٨٤ ، ٢٠٩ ، ٢٩٩ (٢) ٦٣ ، ١٦٣ (٣) ١٦٧ ، ١٨٢ ، ١٩٠
البصرة : (٣) ٢٥٤
بُصَيّة : (٣) ١٥٤
بغداد : (١) ١٦٢ ، (٢) ٣٠ ، ٥٩ ، ٦٠
البُكيرية (معركة) : (١) ١٠٢ ، ١١٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٤ ، ٢١٦
بيروت : (١) ١٧٥ (٢) ٢١٤ ، ٢٨٣ (٣) ٣٦٣
بيش : (٢) ١١٢ ، ١١٤

ـ ت ـ

تركيا : (١) ١٦٣ ، ١٦٤

تعز : (٢) ٢٦ ، ٧٣
تونس : (٢) ٢٧٢ ، ٣٠١ ، ٣٠٧ ، ٣١٠ (٣) ٣٥٥
تِـهامة : (١) ٣٢٢ (٢) ٣٧ ، ١١٠ (٣) ١٦٨ ، ١٩٨ ، ٣٠٣
تيماء : (١) ٢٩٥ (٣) ١٦٧

– ج –

جازان : (٢) ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١١٢ (٣) ١٠٧ ، ٤٢٤
جبل أُعَـيْرف : (١) ١٧٢ ، ٢٤٥
جبل الدروز : (٢) ٢٧٧ ، ٢٨٧
جبل لبنان : (٣) ٢٥
جدة : (١) ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٣٤ ، ٢٤٣
(٢) ٨٨ ، ١٠٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣
(٣) ٧٤ ، ١٩٨ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٨٢ ، ٢٩٧ ، ٣١٤ ، ٣١٩ ، ٣٧٠ ، ٣٨٨ ، ٤٠٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢
جراب (معركة) : (١) ١١٥ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٥٠ ، ٢٥١
(٢) ٢٣٣
جزيرة سعد : (٣) ٢٧١
لواء الجليل : (٣) ٣٥٦
الجودرية : (٣) ٢٨٤
الجوف : (١) ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧
(٢) ١٨١ ، ٢٢١ (٣) ١٠٧ ، ١٦٦ ، ٣٢٦ ، ٣٨٦ ، ٣٩٥

– ح –

حائل : (١) ٣٢ ، ٤٠ ، ٥٠ ، ٥٤ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٨ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٤٤ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ٢١٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩٧ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣١٢ ، ٣١٧ ، ٣٣٤ ، ٣٣٩
(٢) ٣٩ ، ٤٠ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ١٣٤
(٣) ٧٢ ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٥ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٤١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٣٣٥ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩
الحجاز : (١) ٣٢ ، ٩١ ، ٩٢ ،

٩٣ ، ١٦٤ ، ١٧٨ ، ١٨٠ ،
١٩٠ ، ١٩١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ،
٣١٦ ، ٣٤٥
(٢) ٣٧ ، ٥٢ ، ٨٧
(٣) ١٣٤ ، ١٦٨ ، ١٩٨ ، ٢٠٠
٢٠٤ ، ٢٣٩ ، ٢٥٢ ، ٢٦٨ ،
٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ،
٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ،
٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ،
٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ،
٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ،
٣١٠ ، ٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ،
٣٢٠ ، ٣٢٩
حجة : (٢) ٧٣
الحُديدة : (٢) ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٥ ،
١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤
الحرمين : (١) ٦٤ ، ٩٦ (٣) ٢٦٩ ،
٣١٩
الحريق (معركة) : (٢) ١٨٩ ، ١٩٦
حُرَيْملا : (٣) ١٦٧
الحسا : (١) ٣٤٥
حومان (معركة) : (٢) ٢٣٥
الحوطة : (٢) ٢٤٣
حيفا : (١) ٢٦٧

— خ —

الخرج : (١) ٣٣٩ (٣) ٦٧ ، ٧٠ ،
٧٢ ، ١٦٧
الخرطوم : (٢) ١٥٨
الخليج العربي : (١) ٧٩ ، ٨١
خيبر : (١) ٩١ ، ٩٤

— د —

دمشق : (١) ١٦٦ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ،
٢٦٧
(٢) ٧٦ ، ٧٨ ، ٢٧٧
(٣) ٨٦ ، ٢٥٤ ، ٣٢٨ ، ٣٥٧
٣٥٨ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨
الدَّوَاسر : (٣) ١٦٧

— ر —

الرسّ : (٢) ١٦٢ (٣) ٢٣٠
روضة التنهات : (١) ١٠٥ (٢) ٩٣
روضة سُدَيْر : (٢) ١٦٢
الرياض : (١) ١٨ ، ٣١ ، ٤٠ ،
٧٦ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٧ ، ٩٤ ،
٩٨ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١٤٤ ،
١٤٥ ، ١٨٠ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ،
٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٥٩ ،
٢٦٠ ، ٢٩٥ ، ٣٠٩ ، ٣٣٣ ،
٣٣٤
(٢) ٣٦ ، ٣٩ ، ٤٧ ، ٤٩ ،
٦٨ ، ٧٠ ، ٧٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ،
٨١ ، ٩٧ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ،
١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ،
١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ،

١٣٩ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ،
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ،
١٥٣ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ،
١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ،
١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٨٩ ،
٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٨٦ ،
٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨
(٣) ٣١ ، ٣٤ ، ٥٢ ، ٧٠ ،
٧١ ، ٨٤ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ١٢٠
١٦٧ ، ١٨٩ ، ٢١٠ ، ٢٣١ ،
٢٣٢ ، ٢٣٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٦

— ز —

الزبير : (٢) ٢٣٥ ، (٣) ٢٥٤
الزُّلْفي : (٢) ١٦٢ (٣) ١٦٧
الزِّيمة : (٢) ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧

— س —

السَّبلة (معركة) : (١) ٢٦٤ ، ٣٢١
(٢) ٩٨ (٣) ٢٠٤ ، ٢٠٥
سُدَيْر : (٣) ١٦٧
سعسع : (٣) ٣٥٦
سكاكا : (١) ٢٧٧
السُّلَيّ : (٢) ٨٠
السودان : (١) ١٩٧
سورية : (١) ٢٨ ، ٦٤ ، ٦٧ ، ٧٠ ،
١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٩٧

(٢) ٢٧٢ (٣) ٣٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ،
٧٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٣ ،
٣٦٧ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٩١ ،
٤٢٤
السُّويداء : (٢) ٢٨٧
السياريات : (١) ١٥٠

— ش —

الشام : (٣) ١٧٣ ، ٢٥٣ ، ٣٦٤ ،
٢٨٥ ، ٣٢١ ،
شبه جزيرة العرب : (١) ٦ ، ١٠ ،
١١ ، ١٤ ، ١٥ ، ٣٩ ، ١٩٥ ،
١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ،
٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣٦ ،
٢٣٩ ، ٢٤٧ ، ٢٥٨ ، ٣٤٤ ،
(٢) ٨٤ ، ٩٠ ، ١١٦ ، ١٢٦ ،
١٤٣ ، ١٥٦ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ،
١٨٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٤ ، ٢١٣ ،
٢٤٦ ، ٢٥٢ ، ٢٥٩ ، ٣١٢ ،
(٣) ١٣ ، ١٤ ، ١٦ ، ٢١ ،
٣٠ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٥٠ ، ٦٨ ،
٩٦ ، ١٠٣ ، ١٢٩ ، ١٣٦ ،
١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٩٦ ، ١٩٨ ،
٢٦٦ ، ٢٧٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٦ ،
٣١٦ ، ٣٢٠ ، ٣٣٩ ، ٣٧٣ ،
٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٤٥١ ، ٤٥٢
شرق الأردن : (١) ١٧٨ (٣) ٣٨٩ ،
٣٩٠

شقراء : (٢) ١٦٢ ، ١٦٧ (٣) ٣٣١

- ص -

اللصافة : (٢) ٢٣٦ ، ٢٣٧
صبيا : (٣) ١٦٨
الصريف (معركة) : (١) ٨١ (٢) ١٨٥ ، ١٨٦
الصفيح : (١) ١٥٧ ، ١٥٨
صنعاء : (٢) ١٥٨

- ط -

الطائف : (١) ٣١٧ (٢) ٢٨١ (٣) ١٣٢ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٣١
الطرفية (معركة) : (١) ٥٨ ، ٢٢٨ ، ٢٣١
(٢) ١٦٢ ، ١٨٦

- ظ -

الظفير : (٣) ١٩٧
بادية الظفير : (٢) ٢٣٥
الظهيرة : (٢) ١٤٦

- ع -

عاليه : (٣) ٣٧٤
العراق : (١) ١٠٨ ، ٢٩٠
(٢) ٤٩ ، ٩٣ ، ١٧٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٧٢
(٣) ١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٤١ ، ٧٩ ، ١٣٧ ، ١٥٤ ، ١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٧ ، ٢٥٢ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠
عسير : (١) ٣٢٢ ، ٣٤٥
(٢) ٣٧ ، ١٩٨ ، ٣٠٤ ، ٣٠٩
عمان : (١) ١٧٥ (٢) ٢٩٢
(٣) ٢٨٥
عنيزة : (١) ٢٠٩ ، ٢٩٤ ، (٢) ١٦٣ (٣) ١٦٧ ، ١٨٢ ، ٣٣١

- ف -

فاس : (٣) ٢٩٤
فالوغا : (٣) ٢٥
فلسطين : (١) ١١
(٢) ١٩٢ ، ٢٧٢
(٣) ٣٧ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٨ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٩ ، ٤٢١ ،

٤٢٢ ، ٤٣٦

– ق –

القاهرة : (١) ١٧٨ ، ١٩٧
(٢) ١٢ ، ٢٠٧
(٣) : ٢٨ ، ٤٠٠
القدس : (٣) ٣٤٤ ، ٤٣٦
القريّة : (٢) ٢٨٧
القريّات : (٣) ٣٢٨
قطنا : (٣) ٣٥٧ ، ٣٦٣
القصيم : (١) ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٥
(٣) ١٦٧ ، ١٧٥ ، ١٨٢ ، ١٩٠ ، ٢٣٠
القطيف : (٣) ١٦٧ ، ١٦٨

– ك –

كشب : (٢) ٨٥ ، ٩٠
كُنزات (معركة) : (٢) ١٩٨
الكويت : (١) ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٥٤ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨١ ، ٨٢ ، ١٧٦ ، ٢٠٤ ، ٢٦٨ ،
(٢) ٣٠ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٣١ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٦٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٥٧ ،
(٣) ١٧٣ ، ١٨٩ ، ٢٥٤
الكهفة : (١) ٢٨٥

– ل –

لُبْدَة : (١) ١٣١ ، ١٤٠
لبنان : (١) ٩٠٥
(٢) ٢٠٣ ، ٢٨٣ (٣) ٣٧ ، ٣٥٧ ، ٣٧٤ ، ٣٩٢
ليبيا : (١) ١٧٦ (٢) ٣٠١ ، ٣٠٣
لينة : (٢) ٥٠

– م –

المجمعة : (٢) ١٦٢ (٣) ١٦٧ ، ٣٣١
المحمل : (٣) ١٦٧
المدينة المنورة : (١) ٩
(٣) ٧٤ ، ١٦٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٣١٤
مصر : (١) ٦٤ ، ١٧٦ ، ١٧٨ (٢) ٢٨
(٣) ١٧٣ ، ٢٥٣ ، ٢٨٥ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٩ ، ٤٠٢ ، ٤٠٤ .
المصمك : (١) ٢٦٠
معكال : (٢) ١٦٠
المغرب : (٢) ٢٧٢ (٣) ٢٨٥
مكة : (١) ١٧٨ ، ٢٥٩ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٩

(٢) ٣٤ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨، ١٠٣ ، ٢٤٩
(٣) ٨٣ ، ٨٤ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٨ ، ٢٧١، ٢٧٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨٠ ، ٣١١ ، ٣١٢، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣٩٣

المُليداء : (١) ٤٠ (٣) ١٨٢ ، ١٨٣

المملكة العربية السعودية : (١) ٣٢ ، ٢٩٦
(٣) ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ٣٠ ، ٣٢، ٥١ ، ٦٤ ، ١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٨٦، ٣٣٩ ، ٣٤٥ ، ٣٥٥ ، ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٤٠٤ ، ٤٤٠

منفوحة : (٢) ١٦٠

— ن —

النبك : (٢) ٢٧٧ ، ٢٩٣

نجد : (١) ٣٢ ، ٤٠ ، ٤٨ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨١ ، ١٢٢ ، ١٣٨ ، ١٥٠ ، ١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٩١ ، ٢١١ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٦٥ ، ٢٨٣ ، ٣٠١ ، ٣١٢ ، ٣١٥ ، ٣٤٥
(٢) ٨٥ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٢ ، ١٧٨ ، ١٨٦ ، ٢٠٤ ، ٢٠٩ ،
(٣) ١٤ ، ٥٦ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ١٥٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٧٣ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٨ ، ٢٠٠ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٥١ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٩

النجف : (٣) ١٧٧

النيصيّة (معركة) : (١) ١٥٨ ، ٢٩٧

— هـ —

الهند : (٣) ٨٥ ، ٢٥٢

— و —

الوشم : (٢) ١٦٢
(٣) ١٦٧

— ي —

ينبع : (٣) ٢٧٠ ، ٣١٤

اليمن : (١) ٣٢٢ ، ٣٤٥
(٢) ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠١ ، ١٠٢
(٣) ١٣٨ ، ٣٩٢

فهرس الصور والرسائل المصوّرة

أ ـ فهرس الصور

صاحبا الجلالة الملكان عبد العزيز آل سعود وفيصل بن عبد العزيز	١ ـ ي
حضرة صاحب الجلالة الملك خالد بن عبد العزيز	١ ـ ل
صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز	١ ـ ن
مبارك الصباح ـ حاكم الكويت	١ ـ ٥١
الملك عبد العزيز وأخوه محمد وبينهما مبارك الصباح	١ ـ ٥٥
الملك عبد العزيز	١ ـ ٦٣
المقدم بشير الحواصلي وعن يساره الشيخ عبد العزيز بن زيد	١ ـ ٦٩
أمير الجوف عبد العزيز السديري واقفاً	١ ـ ٧٣
الملك عبد العزيز وبيده عصاً تشبه المحجان	١ ـ ٧٥
فؤاد الخطيب	١ ـ ١٠٣
الأمير سعود بن سعود الرشيد وعن يمينه عمير المنصور من أعيان مدينة حائل	١ ـ ١٠٧

علي العبد العزيز العريفي ١ — ١١٦
إبراهيم السالم السبهان وعن يمينه المؤلف ١ — ١٢٠
علي الحمود السبهان وعن يساره المؤلف ١ — ١٢٥
الشيخ محمد الصحابي ١ — ١٥٦
رشيد باشا الناصر بن ليلى ١ — ١٦٥
محمد الطويل ١ — ١٧٩
طاهر الدباغ ١ — ١٨٣
عبد الرؤوف الصبان ١ — ١٨٦
عبد الحميد الخطيب ١ — ١٩٠
الملك حسين بن علي ١ — ٢٠٥
الشاعر محمد العوني ١ — ٢١٣
الملك عبد العزيز ١ — ٢٢٢
الأمير سلمان بن عبد العزيز ١ — ٢٣٠
الأميران عبد الله المتعب الرشيد ومحمد بن طلال آل رشيد ١ — ٢٣٨
الأمير نايف بن عبد العزيز ١ — ٢٤٢
الملك عبد العزيز والأميران محمد الطلال وعبد الله المتعب ١ — ٢٤٦
الأمير سعود بن عبد العزيز بن رشيد ١ — ٢٧٦
جميـــل مردم ١ — ٢٥٨
الأمير سعود بن رشيد ، وفخري باشا ، وعبد الله بن طـــلال ابن رشيد قاتل الأمير سعود ، ودرعان قاتل عبد الله بن طلال ١ — ٢٧٨
الشيخ عبد العزيز بن زيد ١ — ٢٩٣
جيش عبد العزيز الشعبي ١ — ٣٠٠

الشيخ ابراهيم السالم السبهان وعن يمينه الأستاذ محمد أسد مؤلف كتاب الطريق إلى مكة	١ — ٣١١
الملك عبد العزيز وبجانبه الملك عبد الله بن الحسين	١ — ٣١٨
أبناء أمير حايل سعود بن رشيد وهم مشعل بين أخويه سعود عن يمينه ومحمد عن شماله	١ — ٣٢٠
علي الحمود السبهان جالساً	١ — ٣٣٥
الأميران الرشيديان : عبد الله المتعب ومحمد الطلال	١ — ٣٤٠
الملك عبد العزيز والملك فاروق	٢ — ١٠
الملك الشهيد فيصل	٢ — ١٤
قادة الثورة المصرية	٢ — ١٧
العقيد محمد ناصر	٢ — ٢١
الإمام يحيى حميد الدين	٢ — ٢٤
الملك عبد العزيز	٢ — ٢٧
الأمير محمد بن عبد الرحمن	٢ — ٣٥
الأمير الفارس سلمان بن محمد آل سعود وبجانبه المؤلف	٢ — ٤٤
الشيخ مشل بن برغش التمياط	٢ — ٤٨
الرئيس جمال عبد الناصر وعن يمينه الشيخ خالد القرقني وعن يساره الشيخ عبد الله الفضل	٢ — ٥٣
الشيخ محمد سرور الصبان	٢ — ٥٦
الملك فيصل بن عبد العزيز	٢ — ٧١
سعود بن غانم بن جمران العجمي وعن يمينه المؤلف	٢ — ٧٧
الأمير عبد الله الفيصل	٢ — ٨٧
الملك عبد العزيز	٢ — ٩١

فيصل بن سلطان الدويش ٢ — ٩٩
ناجع الصهليلي ٢ — ١١١
الملك عبد العزيز ممتطياً جواده ٢ — ١٢٢
خوخة (باب المصمك) ٢ — ١٤٠
جلالة الملك خالد بن عبد العزيز ٢ — ١٤٥
جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ٢ — ١٥٠
الشيخ محمد عبيكان والشيخ محمد أحمد نعمان ٢ — ١٥٤
الشيخ ضاري بن طوالة ٢ — ١٧٩
الأمير الفارس سلمان بن محمد آل سعود ٢ — ١٨٤
الأمير الفارس سعد بن عبد الرحمن آل سعود ٢ — ١٩٥
الشيخ عبد العزيز بن حسن آل الشيخ ٢ — ٢٣٢
الشيخ محمد الصحابي وعن يمينه حفيده عبد المحسن وعن يساره المؤلف ٢ — ٢٣٦
الملك عبد العزيز يتلو ورده ٢ — ٢٣٩
الملك عبد العزيز شاهراً سيفه أثناء العرضة وخلفه أبناؤه وحاشيته ٢ — ٢٤٧
الملك عبد العزيز والملك فيصل الأول ملك العراق ٢ — ٢٥٨
الأمير فهد بن سعد ٢ — ٢٦١
فوزي القاوقجي وعن يمينه المؤلف وسعدي بصبوص وعن يساره الأستاذ محمد أديب غالب ٢ — ٢٧٩
الجيش السعودي أول تأسيسه ٢ — ٢٨٤
الملك عبد العزيز وعن يساره رئيس جمهورية سورية سابقاً السيد شكري القوتلي ٢ — ٢٩١
عقيل الياور ٣ — ١٥
عقاب بن عجل ٣ — ١٩

الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز ٣ — ٣٤
رشيد عالي الكيلاني ٣ — ٣٥
الأمير الفارس سلمان بن محمد ممسكاً بيد المؤلف ٣ — ٣٩
الدكتور رشاد فرعون ٣ — ٥٣
الملك عبد العزيز ٣ — ٨٢
محمد الأحمد السديري ٣ — ١٠٩
الملك عبد العزيز ٣ — ١١١
الملك عبد العزيز ممتطياً جواده ٣ — ١١٥
فيصل الدويش ٣ — ٢٠٣
عبد المحسن الرشيد ٣ — ٢١٢
الأمير سلمان بن عبد العزيز والمؤلف ٣ — ٢٢٥
الشيخ محمد القرقني يصافح الأمير عبد الكريم الخطابي ٣ — ٣٢٧
الملكان عبد العزيز بن سعود والملك عبد الله بن الحسين ٣ — ٣٧٧
الملك عبد العزيز وعن يساره الأستاذ عبد الرحمن عزام ٣ — ٣٧٩
المرحوم الملك سعود بن عبد العزيز ٣ — ٤٢٨
الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز ٣ — ٤٣٥
الملك خالد بن عبد العزيز ٣ — ٤٣٩

ب – فهرس الرسائل المصورة

رسالة المؤلف للزعيم العربي فوزي القاوقجي	٢ – ٢٧٤
رسالة الملك عبد العزيز لمحمد بن صالح بن شلهوب	٣ – ٢٢١
رسالة الحاج أمين الحسيني للمؤلف	٣ – ٣٨٢
رسالة الملك سعود للمؤلف	٣ – ٤٣٠
رسالة الملك سعود للمؤلف	٣ – ٤٣١
رسالة الملك سعود للمؤلف	٣ – ٤٣٢

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة
الإهداء	١ — ح
المقدمـــة	١ — ع
تمهيـــد	١ — ١٧

الفصل الأول

عبد العزيز في نظر ذوي الفراسة وهو في سن الطفولة	١ — ٣٧
شبح عبد العزيز يطارد محمد بن رشيد	١ — ٤٢
اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله	١ — ٤٥
حوار بين الأمير ورسوله	١ — ٤٦
الأمير يصارح رسوله بمهمته	١ — ٤٩
ظل الرسول حائراً بين الفتيين	١ — ٥٣

الفصل الثاني

ثقة عبد العزيز بنفسه ورأي الرجال فيه بعد بروزه على مسرح الأحداث	١ — ٥٩
أمثلة عامة عن عدد من الرجال ذوي الثقة بالنفس	١ — ٦٢

الموضوع	صفحة
من لا يملك الا عصاه كيف يفكر أن يملك نجداً ؟	١ — ٧٢
ثقة عبد العزيز بنفسه تجعله لا يقبل أن يكون مرؤوساً	١ — ٧٧
آمال عبد العزيز عام ١٣٢٣ تحققت في عام ١٣٤٠	١ — ٨٣

الفصل الثالث

عبد العزيز في نظر من رآه بعد نضوجه	١ — ٨٩
عبد العزيز برأي من نظر إلى سجاياه وشيمه عن كثب	١ — ٩٧
عبد العزيز في نظر أشرس رسول أوفد اليه من أعدائه	١ — ١٠٠
كأن عبد العزيز ينظر إلى قلب الرجل فيبدله من سخط إلى رضا	١ — ١٠٦

الفصل الرابع

اذا فتح عبد العزيز البلاد عسكرياً ملك قلوب أهلها أخلاقياً	١ — ١٠٩
آمنت بمقلب القلوب والأبصار	١ — ١١٣
هناك قرائن تأتي بها المناسبات تؤيد بعضها بعضاً	١ — ١١٧
عامل عبد العزيز أهالي حائل معاملة المضيف والضيف والوالد	١ — ١١٩
قل أن تجد مواطناً من رجال عبد العزيز حاربه مع خصومه	١ — ١٢٦
من رئيس لأركان جيش ابن رشيد إلى رئيس لأركان جيش عبد العزيز	١ — ١٢٩
من سبر لابن رشيد الى حارس لعبد العزيز	١ — ١٣٣
اليك الصورة التي جعل بها عبد العزيز السبر عليه حارساً له	١ — ١٣٩
أدلة تثبت صحة ما حدثني به هباس	١ — ١٤٢
من أشد المحرضين على قتال عبد العزيز إلى أفتك المقاتلين بسلاحه	١ — ١٤٧
من هو هذا المحرض والموالي ؟ ومتى كان محرضاً	١ — ١٥٠

الموضوع	صفحة
كيف تبدل المحرض على قتال عبد العزيز إلى مقاتل بسلاحه ؟ ومتى كان ذلك	١ — ١٥٧
من وكيل للأمير ابن رشيد إلى وكيل للامام عبد العزيز	١ — ١٥٩
من رئيس وفد للعدو — إلى رئيس وفد بعثة لعبد العزيز	١ — ١٦٧
أراد الواشون الإساءة لابن زيد فأحسنوا إليه	١ — ١٧٣
التائب من الذنب كمن لا ذنب له	١ — ١٨٢

الفصل الخامس

لا يهتم عبد العزيز بملك الرقاب بقدر ما يهتم بملك القلوب	١ — ١٩٣
سر جهله كثير من المؤرخين	١ — ١٩٧
ما هو السر الذي مكن عبد العزيز من توحيد شبه جزيرة العرب	١ — ٢٠٣
أدبنا القومي أصدق وثيقة تاريخية	١ — ٢١٤
هل الحظ دائماً حليفاً لعبد العزيز	١ — ٢٢١
بهذا السر تم لعبد العزيز النصر وتوحيد البلاد	١ — ٢٢٨
الفضل ما شهدت به الأعداء	١ — ٢٣٥
بقدر ما تَكرَه تُكْرَه وبقدر ما تُحِبُّ تُحَبُّ	١ — ٢٤٠
كان أعنف عدو لعبد العزيز فأصبح أحب اليه من نفسه	١ — ٢٤٤
أدلة وشواهد ووقائع متعددة	١ — ٢٤٩
لماذا يلقب عبد العزيز « بمعزي »	١ — ٢٥٣
ثقة عبد العزيز بشعبه صادرة عن عدله	١ — ٢٥٥
نموذج من الأسلوب الكريم الذي ملك به عبد العزيز قلوب أعدائه	١ — ٢٥٩
عندما ملك عبد العزيز قلوب خصومه منحهم الحرية المطلقة	١ — ٢٦٣

الموضوع	صفحة

الفصل السادس

عن وفاء عبد العزيز بالعهد وعدم رغبته في الحرب	١ — ٢٦٩
رفض عبد العزيز أن ينقض عهده ويأتي عدوه من الخلف	١ — ٢٧٨
لم تكن الحرب عند عبد العزيز غاية في حد ذاتها	١ — ٢٨١
لو قبل ابن رشيد شروط السلم لظل أميراً في بلاده	١ — ٢٨٣
اضطر عبد العزيز إلى الحرب حين رفض ابن رشيد شروط السلم	١ — ٢٨٥
هل كان عبد العزيز سيترك آل رشيد في بلادهم لو قبلوا شروطه	١ — ٢٩٤
حاول عبد العزيز أن يقنع آل رشيد بقبولهم السلم	١ — ٢٩٩
حجة تحتاج إلى تنفيذ ومنطق يفتقر إلى برهان	١ — ٣٠٦
دليل آخر يؤكد أن عبد العزيز لا يرغب في الحرب	١ — ٣١٤

الفصل السابع

السياسة التي وطد عبد العزيز حكمه في تطبيقها	١ — ٣٢٣
ما يتحدث عبد العزيز عن سياسته قولاً يطبقه عملاً	١ — ٣٢٧
سياسة عبد العزيز للرجال	١ — ٣٣٠
شتان بين سياسة عبد العزيز بإصلاحه بين خصومه السابقين	
وبين معاوية الذي يضع الشقاق بين ذويه الأقربين	١ — ٣٣٦
حكمة لو لم أعرف مصدرها لقلت صاحبها عبد العزيز	١ — ٣٤٢

الفصل الثامن

في وفاء عبد العزيز	٢ — ٥
ما دام عبد العزيز وفياً مع أعدائه ، فحري به أن يفي مع أعداء أهله	٢ — ٩
وفاء عبد العزيز مع أصدقائه	٢ — ١٢

الموضوع	صفحة
عبد العزيز يفعل الوفاء من أجل الوفاء	٢ — ١٦
عبد العزيز يجازي بالوفاء بدل العقاب من تآمر عليه	٢ — ٢٢
هكذا عامل الملك عبد العزيز المتآمر عليه	٢ — ٢٦
المعروف لذوي الوفاء كالبذرة الطيبة في الأرض الخصبة	٢ — ٢٩
نموذج من الأسلوب الكريم الذي يملك به عبد العزيز قلوب أعدائه	٢ — ٣١
ألذ شيء في الحياة مكافأة أهل الوفاء بوفاء مماثل	٢ — ٣٤
لذة الوفاء لذوي المعروف لا تعدلها لذة	٢ — ٣٧
التزم عبد العزيز بالوفاء ضمناً لا شرطاً	٢ — ٣٩

الفصل التاسع

عفو عبد العزيز	٢ — ٤١
البون الشاسع بين من يرى اللذة بالعفو وبين من يرى اللذة بالعقاب	٢ — ٥١
تعليق وتحليل	٢ — ٥٥
وشهد شاهد من أهلها	٢ — ٥٩
صدق من قال : إن عبد العزيز أقرب للعفو من العقاب	٢ — ٦٢
عندما يكون الراوي مرهوب الجانب — تمهيد —	٢ — ٦٤
أصادق من قال : إن الملوك لا يسألون ؟	٢ — ٦٧
ومن بلاد الغرب حجة	٢ — ٧٥
اللذة في معرفة الحقيقة تسمو على أي تعب في سبيلها	٢ — ٧٦
ما أجمل الحادثة عندما أنقل خبرها من مصدرها	٢ — ٧٨
كانوا يخشون أن ينالهم عقاب بسببه ، وإذا بهم يتمنون إكراماً كإكرامه	٢ — ٨٠
حادثة رويتها من مصدرها لا ممن نقلها	٢ — ٨٤
مهما كان الجاني في أمان فإن شبح الجريمة يطارده	٢ — ٨٤
عدل وعفو في آن واحد	٢ — ٨٩

الموضوع	صفحة
كان الأمل في عقابه فحل محله العفو	٢ — ٩٢
نجا من براثن الأسد وافترسته الذئاب	٢ — ٩٥
هكذا خلقُ العربي الكريم إذا انتصر على خصمه	٢ — ٩٧
كأنه أخ شقيق أو والد رحيم	٢ — ٩٨
أخطاء متكررة يقابلها عفو وإحسان	٢ — ١٠١
سلم نفسه وفاء فعفا عنه عبد العزيز مع عظيم ذنبه	٢ — ١٠٦
لماذا قتل ناجع الرجلين؟ وكيف عفا عنه عبد العزيز	٢ — ١٠٨

الفصل العاشر

شجاعة عبد العزيز	٢ — ١١٩
لماذا أجمع المؤرخون على حصر شجاعة عبد العزيز بفتح الرياض ؟	٢ — ١٢٦
أخطأ الأولون وقلدهم الآخرون	٢ — ١٣٠
مغامرة احتمال النجاح فيها واحد بالألف	٢ — ١٣٦
هذا التحدي من عبد العزيز هو مضرب المثل في شجاعته	٢ — ١٣٨
كما تحدى عبد العزيز عنترة الحضر ، تحدى أيضاً عنترة البدو	٢ — ١٦٧
ظن المجرم أن وجوده بجوار وحصانة فارس نجد يحميه من العقاب	٢ — ١٦٩
غالباً ما يكون الشجاع صادقاً	٢ — ١٨٠
بطولة يندر أن وقع من نوعها في تاريخ الأبطال	٢ — ١٨٣
في مثل هذا الموقف العسكري الحرج يتقدم عبد العزيز رجاله	٢ — ١٨٥
اذا كان لنوادر الرجال طاقة فولاذية فان عبد العزيز منهم	٢ — ١٨٧
أبيات قالها أبو ماضي تليق بعبد العزيز	٢ — ١٩١
واحدة من الصدمات لا يطيقها الا من له ارادة فولاذية كعبد العزيز	٢ — ١٩٦
إذا كان بين الرجال من تزيده الصدمات قوة فهو عبد العزيز	٢ — ١٩٨
قلبَ عبد العزيز سرور أعدائه إلى مآتم ومآتم رجاله إلى أفراح	٢ — ٢٠٠

الموضوع	صفحة
شجاعة عبد العزيز النفسية	٢ — ٢٠٢
الكلمة التي غيرت مجرى حياة الفتى	٢ — ٢٠٣
الفتى على مفترق الطريق	٢ — ٢٠٦
شجاعة عبد العزيز البدنية	٢ — ٢٠٩
أيستطيع الانسان الوسط أن يطيق إصابات كهذه ؟	٢ — ٢١٠
كان عبد العزيز جرّاح نفسه	٢ — ٢١٢
الأحداث يؤيد بعضها بعضاً	٢ — ٢١٤
قوة عبد العزيز البدنية منسجمة مع شجاعته الفكرية والقلبية	٢ — ٢١٦
راهب في الليل ، وأسد في النهار	٢ — ٢١٧
كان عبد العزيز يعمل بالحكمة أنى كان مصدرها	٢ — ٢١٨
شجاع وهو في النفس الأخير من حياته	٢ — ٢٢٠
خذوا عني التاريخ ما دمت بينكم حياً	٢ — ٢٢١
عناية الله والقلب الشجاع المؤمن	٢ — ٢٢٤
من التجأ إلى الله فهو حسبه	٢ — ٢٢٨
ما وجدته في صدور الرواة مخالفاً لما كتبه المؤرخون	٢ — ٢٤٨
بحسن الشيم والرأي السديد سقط نوري السعيد	٢ — ٢٥٤
هل الشجاعة جزء لا يتجزأ ؟ أم الأمر عكس ذلك	٢ — ٢٦٣
عرف عبد العزيز بشجاعته الأدبية قبل أن يعرف بشجاعتهالعسكرية	٢ — ٢٦٥

الفصل الحادي عشر

حماية عبد العزيز لمن يلوذ بجواره ويستنجد به	٢ — ٢٦٩
حماية المستجير	٢ — ٢٧١
كان عبد العزيز ملاذ للمستجيرين من المناضلين العرب	٢ — ٢٧٢
مع قائد الثورة السورية	٢ — ٢٨٧
رب صدفة خير من ميعاد	٢ — ٣٠٠

الموضوع	الصفحة
كان عبد العزيز تاركاً بلاده مفتوحة لأي عربي ومسلم	٢ — ٣١١
اعتبر عبد العزيز عمله هذا واجباً عربياً لا منة فيه	٢ — ٣١٢

تتمة الفصل الحادي عشر

حماية عبد العزيز لمن يلوذ بجواره	٣ — ٧
كان العربي يشارك أهل البلاد السعوديين	٣ — ٩
كل شرط ينافي شريعة الإسلام وشيم العرب باطل	٣ — ١١
أراد عبد العزيز القضاء على النهب	٣ — ١٣
فيك الخصام وأنت الخصم والحكم	٣ — ٢٠
الشيم العربية لا تخضع للشروط السياسية	٣ — ٢٣
الشيم العربية لا تخضع للشروط السياسية	٣ — ٢٣
كان لا يرى ملجأ يلوذ به الا عبد العزيز	٣ — ٢٧
ها قد وصل الكيلاني إلى عرين الأسد	٣ — ٣٢
أكد الملك الشهيد رواية الكيلاني	٣ — ٤٢
قال عبد العزيز لفرنسا اقبلوه سفيراً وإلا فلن يأتيكم مني سفير	٣ — ٤٨
ما تراه فرنسا جريمة في حق الدكتور يراه عبد العزيز فضيلة	٣ — ٥٠
أنت للعرب جميعاً ولست لفئة دون الأخرى	٣ — ٥٤

الفصل الثاني عشر

سخاء عبد العزيز وكرمه	٣ — ٦٥
من يكون سخياً ببذل المال خليق أن يملك الرقاب	٣ — ٧٠
يفضل عبد العزيز أن يستولي على أهل البلاد بكرمه لا بسلاحه	٣ — ٧٣
قلم الكريم كريم ، وهو أكرم من قلمه	٣ — ٧٤
هبني الآن قبل أن تنفد خزينتك يا عبد العزيز	٣ — ٧٦

الموضوع	الصفحة
من يوهب يطلب المزيد ، ومن لم يوهب يطلب المساواة	٣ — ٧٨
كرم عبد العزيز وسخاؤه لضيوفه	٣ — ٨٠
الأوسمة التي يمنحها عبد العزيز	٣ — ٨٥
هكذا يمنح عبد العزيز الأوسمة للوافدين الرسميين	٣ — ٨٧
خاتمة ما أحطت به علماً في هذا الفصل	٣ — ٨٩
الأخلاق لا ترى تنافياً بين العدو والصديق	٣ — ٩٠
أول بادرة عرف بها كرم الملك عبد العزيز	٣ — ٩٣
الفصل الثالث عشر	
بيان الملك عبد العزيز وبلاغته	٣ — ٩٧
ضاع الكثير من تاريخنا بين جيلين	٣ — ١٠١
نزر من شعر عبد العزيز	٣ — ١٠٣
كدت أفلس من الحصول على شيء من شعر عبد العزيز	٣ — ١٠٧
صورة موجزة عن تعريف أوزان الشعر الشعبي	٣ — ١٠٨
نماذج من شعر عبد العزيز	٣ — ١١٢
ما جئنا هنا لنطمع أو لننعم بنعمة الملك	٣ — ١٢٠
ان التباعد بين الراعي والرعية يدع مجالاً للنفعيين	٣ — ١٢٤
اننا لا تهمنا الأسماء والألقاب	٣ — ١٢٩
تعلمون أننا ما دخلنا الحجاز إلا بعد أن حوربنا	٣ — ١٣٢
نحن لسنا أصحاب مذهب جديد أو عقيدة جديدة	٣ — ١٣٦
ان أحب الأمور الينا أن يجمع الله كلمة المسلمين	٣ — ١٤٠
واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر	٣ — ١٤٥
انني لم أجمعكم خوفاً من أحد	٣ — ١٤٨

الموضوع	صفحة

الفصل الرابع عشر

صورة من الأمن قبل عهد الملك عبد العزيز وفي عهده	٣ — ١٥٧
من هو الذي يشعر بنعيم هذا الأمن	٣ — ١٦٢
كانت البلاد اثنتي عشرة وحدة اقليمية	٣ — ١٦٦
كانت شبه الجزيرة العربية أكثر من ثلاثين وحدة قبلية	٣ — ١٧٠
هكذا كانت تجزئة البلاد وأمنها قبل أن يوحدها عبد العزيز	٣ — ١٧٣
كان حجاج بيت الله بهذه الصفة	٣ — ١٧٧
فترة من الأمن قصير أجلها ومحدود مفعولها	٣ — ١٨١
هذه لمحة عن الأمن المحدود	٣ — ١٨٣
العشيرة التي كانت حصناً للقتلة	٣ — ١٨٤
نهاية عهد الفوضى ، وبداية عهد الأمان	٣ — ١٨٧
أول بذرة غرسها عبد العزيز في توطيده لأسس الأمان	٣ — ١٩١
كيف انقلبت حياة القوم الاجتماعية بهذه السرعة	٣ — ١٩٤
المرحلة النهائية لتوحيد البلاد وتوطيد أمنها	٣ — ١٩٨
ظلت رواسب الماضي مصدر قلق حتى قضى عبد العزيز عليها	٣ — ٢٠٠
ابتدأ الأمن بفتح حائل وبلغ القمة بفتح الحجاز وتوطد بعد السبلة	٣ — ٢٠٤
عادات سيئة أزالها عبد العزيز	٣ — ٢٠٦
عادة دخيلة قاومها عبد العزيز بشدة وعنف	٣ — ٢٠٩
ما يقوله عبد العزيز لفظاً يطبقه عملاً	٣ — ٢١٠
من الذي أوجد الفوارق والامتيازات	٣ — ٢١٣
هكذا كان عبد العزيز يخاطب مواطنيه بدون تعال عليهم	٣ — ٢١٦
وهكذا يتقيد عبد العزيز بالمثل العربية	٣ — ٢٢٦
أصر عبد العزيز إلا أن يبيت طاوياً مثل رفاقه	٣ — ٢٣١
الايثار فيمافعل عبد العزيز أبرز منه في تلك القصة	٣ — ٢٣٥

الموضوع	صفحة
هناك أمور جريئة من حيث مظهرها وهي عظيمة بمعفولها	٣ — ٢٣٨
معاملة عبد العزيز للمرأة	٣ — ٢٤٤
عندما تكون الرواية متواترة ومشهورة	٣ — ٢٤٦
المطلقة لا تفقد من عبد العزيز إلا شخصه	٣ — ٢٤٨
الفصل الخامس عشر	
الحياة الاجتماعية والثقافية قبل عهد عبد العزيز وأثناء عهده	٣ — ٢٤٩
الناحيتان الاقتصادية والاجتماعية	٣ — ٢٥٢
الناحيتان الزراعية والصحية	٣ — ٢٥٦
الناحية الثقافية	٣ — ٢٥٩
ناحية المواصلات	٣ — ٢٦١
الحجازيون أسعد حظاً من ناحية وأسوأ حظاً من ناحية أخرى	٣ — ٢٦٨
التعليم الأهلي	٣ — ٢٧٢
اذا كان الحجازيون أسعد حظاً مادياً فانهم أسوأ حظاً معنوياً	٣ — ٢٧٥
صورة عن عدوى التقاليد السيئة	٣ — ٢٧٨
أدلة وبراهين تؤكد صحة ما ذكرت	٣ — ٢٨٥
واليك وثنية من نوع آخر	٣ — ٢٩٠
كيف سرت عدوى الوثنية كسريان النار بالهشيم	٣ — ٢٩٦
كانت نهاية العثمانيين ممن احتضنوهم لا ممن قاتلوهم	٣ — ٢٩٩
هكذا كانت شبه الجزيرة قبل عبد العزيز وهكذا أصبحت بعده	٣ — ٣٠٣
قضى عبد العزيز على وثنية السلطان ووثنية القبور	٣ — ٣٠٤
كان الحجازيون أسرع تطوراً مما سواهم	٣ — ٣٠٩
أولاً — تطور المعرفة والعلم	٣ — ٣١١
ثانياً — التطور الصحي والثقافي	٣ — ٣١٤

الموضوع	صفحة

التطور الشامل لجميع مرافق الحياة	٣ — ٣١٦
لماذا تأخر التطور في نجد .. ؟ ومتى بدأ	٣ — ٣٢٠
مهما كان الزعيم عبقرياً فانه لا يستطيع النهوض بالمجتمع الخامل	٣ — ٣٢٣
لا يقاس فضل العبقري بين شعب واع كقياسه بين شعب متخلف	٣ — ٣٢٤
كان الواقفون دون التطور ، والتطور قسمين	٣ — ٣٢٦
المعهد الذي فتح بقوة الترهيب وبحافز الترغيب	٣ — ٣٣١
كأن الحكومة جاءت بأولئك الطلاب إلى غياهب السجن لا إلى منهل العلم	٣ — ٣٣٤
جاءت بداية التطور امتداداً للجهود التي بذلها عبد العزيز	٣ — ٣٣٧

الفصل السادس عشر

القضية الفلسطينية ودور الحكام العرب فيها	٣ — ٣٤١
ما الذي يجيز لي كتابة الأحداث من الرواة ولا يجيز لي كتابة الأحداث التي كنت فيها شاهد عيان ؟!	٣ — ٣٤٥
لا بد لي من أن أتخذ بين هذا وذاك سبيلاً وسطاً	٣ — ٣٤٦
ألا ليت عبد العزيز في مكان إحدى الدول المتاخمة لفلسطين	٣ — ٣٤٧
لو أخذ حكام العرب برأي عبد العزيز لما ضاعت فلسطين	٣ — ٣٥٣
لماذا رفض هؤلاء الحكام رأي الملك عبد العزيز الصائب	٣ — ٣٥٦
تيقنت أننا مهزومون لا محالة اذا لم نبدل خططنا	٣ — ٢٥٧
أجمع رؤساء القبائل وعلماء الدين على رأي واحد	٣ — ٣٥٩
العذر الذي قاله رئيس رابطة العلماء هو نفس العذر الذي قاله رؤساء القبائل	٣ — ٣٦١
نفذ السفير ابن زيد الفكرة	٣ — ٣٦٣
السفير بكى عن عقيدة والرئيس بكى عن مكر وخداع	٣ — ٣٦٥

الموضوع	صفحة
أدلة وبراهين تثبت صحة ما ذكرته	٣ — ٣٦٩
ما يقال عن الرئيس القوتلي حري به أن يقال عن الحكام الآخرين	٣ — ٣٧٢
حقيقة يؤكدها الرواة الثقات والوثائق التاريخية	٣ — ٣٧٤
رجحت كفة الخطأ على كفة الصواب	٣ — ٣٧٥
حجة ظاهرها الصواب وباطنها الخطأ	٣ — ٣٧٨
أراد الانجليز أن يقلبوا خطة عبد العزيز سلاحاً عليه	٣ — ٣٨٥
مرة أخرى أراد الانجليز أن ينتقموا من عبد العزيز	٣ — ٣٨٨
كان عبد العزيز أبعد نظراً وأعلى شيمة ممن خدعهم العدو	٣ — ٣٨٩
ماذا كانت نهاية حكام كارثة ١٩٤٨ ؟	٣ — ٣٩١
هذا ما عرفته عن موقف عبد العزيز من القضية الفلسطينية	٣ — ٣٩٣
وثائق تعبر أصدق تعبير عن موقف عبد العزيز من فلسطين	٣ — ٣٩٦
تعليمات من الملك عبد العزيز لابنه فيصل	٣ — ٣٩٧
قضية فلسطين	٣ — ٣٩٧
تمثيل أهل فلسطين	٣ — ٣٩٨
مؤتمر القاهرة	٣ — ٤١٠
في لندن	٣ — ٤٠١
الوثيقة الثانية	٣ — ٤٠٤
الوثيقة الثالثة	٣ — ٤٠٨
الوثيقة الرابعة	٣ — ٤١٤
كان لعبد العزيز موقف حازم قبل الحرب وبعدها	٣ — ٤٢٣
كما ورث عبد العزيز لأبنائه الملك ورث لهم قيامهم بالواجب الوطني	٣ — ٤٢٦
مواقف المرحوم الملك سعود بن عبد العزيز	٣ — ٤٢٧
مواقف الملك الشهيد فيصل بن عبد العزيز	٣ — ٤٣٤

الموضوع	صفحة
مواقف الملك خالد بن عبد العزيز	٣ — ٤٣٨
الخـــاتمة	٣ — ٤٤٣
كلمة شكر	٣ — ٤٥٦
الفهارس العامة	٣ — ٤٥٩
١ — فهرس الأعلام	٣ — ٤٦١
٢ — فهرس القبائل	٣ — ٤٧٩
٣ — فهرس الأماكن (ويشمل البلدان والدول والمعارك)	٣ — ٤٨١
٤ — فهرس الصور والمسائل	٣ — ٤٨٩
٥ — فهرس الموضوعات	٣ — ٤٩٥

مؤلف الكتاب وُلِدَ في مدينة حائل وتجول في السودان ومصر والشام وليبيا والعراق، درس الدراسة الأولية في حائل ثم في مصر ثم على علماء الرياض ثم التحق بدار التوحيد في الطائف سنة ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ م وفي سنة ١٣٦٨ هـ تولى قيادة عدد من المتطوعين السعوديين ووحدهم في فوج كامل ، شارك في حرب العرب مع اليهود ونال تقديراً وأوسمة من القيادة السورية ، التحق في السلك الدبلوماسي سنة ١٣٧٠ وعمل في دمشق وصنعاء وليبيا وأنقره وهو الآن برتبة وزير مفوض ، مارس الكتابة في الصحف والتأليف منذ سنة ١٣٦٨ ومن مؤلفاته المطبوعة :

١ — من شيم العرب ١/٤ .
٢ — هكذا يكون اصلاح .
٣ — هكذا نصلح أوضاعنا الاجتماعية .
٤ — التطور الفكري في جزيرة العرب .
٥ — بين الافساد والإصلاح .
٦ — كيف ننتصر على اسرائيل .
٧ — سجل الشرق .
٨ — اقتراح الصهاينة مصدق من مغفلي العرب .
٩ — الهدامون والبناؤون .

١٠ — فهد بن سعد ومعرفة ثلاثين عاماً ١/٢ .
١١ — من شيم الملك عبد العزيز .
ومن مؤلفاته المهيئة للطبع .
١ — جهاد فيصل الصامد وجانب من عظمته .
٢ — تاريخ جيل في حياة رجل محمد العوني
٣ — جيل يتهم جيل .
٤ — تاريخ الثورة الفلسطينية .
٥ — الجامل في الجزائر الثائرة .
٦ — مع ثوار ١٤ تموز .
٧ — من شيم العرب ج ٥ .
٨ — الأصاني الذي بنى مجداً بذويه .
٩ — من وحي الواقع / شعر .
١٠ — من الطفولة إلى الكهولة ١/ ٤ .